عنوان الأطروحة

الرسم القرآني وتأثير الخصوصية الحضارية المغربية

إعداد الطالب الباحث: محمد حافظ

إشراف الأستاذ الدكتور بنسالم الساهل

إهداء

إلى الذين يؤرقهم واقع الإنسان في كل مكان
إلى الشموع التي تحرق نفسها إشاعة للنور وتبديدا للظلام
إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. وعلمني العطاء بدون انتظار..
إلى والدي العزيز رحمه الله
إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى بسمة الحياة وسر الوجود
إلى أمي الحبيبة رحمها الله
إلى من بوجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها .. إلى من عرفت معهم معنى الحياة
إلى زوجتي العزيزة
إلى أبنائي البررة
إلى كل من علمني حرفا
أهدي ثمرة هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، له الحمد في الأولى والآخرة، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

الشكر لله من قبل ومن بعد وحيث لا قبل ولا بعد ، أن منَّ الله علي وهداني للنبع من معين كلماته الذي لا ينفد، وأن يسر لي سبل هذا العمل الذي أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله مني ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

ثم الشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور الساهل بنسالم الذي تفضل علي بقبوله الإشراف على هذا العمل، فغمرني بعطفه ورعايته وتوجيهاته وتضحيته بالوقت الكافي من أجل تنقيحها وتصويب مادتها فجزاه الله تعالى عني كل خير وله مني كل التقدير والاحترام.

كما لا يفوتني أن أشكر إدارة الكلية التي رافقتني في هذه الرحلة خطوة خطوة وأشكر بعض الأصدقاء الذين شجعوني على العودة إلى مدرجات الكلية ورحاب العلم لأنجز هذا العمل المتواضع.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لكل من مد لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

مقدمة

في مقدمة هذا البحث المتواضع سأعتمد الخطوات التالية:

ـ الحوافز

ـ العنوان

ـ المشكلات

أما بخصوص الحوافز: من بين هذه الحوافز الذاتية التي شجعتني على اقتحام هذا الميدان:

1 ـ ميل فطرت عليه منذ الصغر في كتابة القرآن برسمه الصحيح[1]، وأنا أعتز بهذا الميول وأحمد الله تعالى عليه، ولحد الآن عندما أقرأ القرآن مع الجماعة أو بمفردي استحضر كتابة الكلمة ومعناها وإعرابها.

2 ـ لما كنت أستاذا للأدب العربي بالتعليم الثانوي لم تفارقني ثقافة القرآن، بالاستعانة بها في تحقيق النصوص في دروس البلاغة، كالتماس الجناس في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[2]

أما الحوافز الموضوعية، فمنها:

1 ـ عودة المغاربة في السنين الأخيرة إلى العناية بالقرآن الكريم، بإيعاز من العناية الخاصة التي يوليها أمير المؤمنين سيدي محمد السادس حفظه الله، ومن ذلك تشييد مدارس التعليم العتيق، التي أحيت العناية بالقرآن الكريم حفظا وتدريسا مما أذكى في نفوس المتخصصين في الدراسات القرآنية عموما، كل ما له علاقة بالقرآن الكريم رسما

[1] ـ ومازلت أتذكر سنة 1961 وأنا بمسجد بومالن دادس إقليم تنغير الآن، أحفظ القرآن في ذا المسجد عند الفقيه سي لحسن بنعدي رحمه الله أملى علي الربع (قال قائل) من سورة يوسف، ولما قام بتصحيح لوحي جلس شيخ القبيلة بجانبه ولما أتم الفقيه تصحيح لوحي، قال لشيخ القبيلة بلغة أهل البلد (الأمازيغية) إن هذا الطفل سيكون له مستقبل في رسم القرآن أرأيت لم أضع القلم في لوحه.

[2] ـ الروم، 54.

وضبطا وقراءات، مع هذا كله أفلا ينبغي لي أن أساهم في هذا الحقل، بما تيسر مما تعلمته من شيوخي في بعض المدارس التي كان يضرب بها المثل في العناية بالقرآن الكريم، وترسيخه في أذهان طلابها، كسيدي الزوين مثلا.

2 ـ ومن الحوافز الموضوعية كذلك، الإشارة إلى أهمية الرسم القرآني الذي لا يعطيه بعض المتعلمين أهمية، ذلك ما ألاحظه من كثرة الأخطاء في رسم الكلمة القرآنية عند بعض خريجي المدارس القرآنية في جميع أنحاء المغرب، وعندما أقوم بتصحيح أوراق الراغبين في التزكيات أو في شهادات الحفظ، فرغم إتقانهم القرآن حفظا، لكن بعضهم غير ملمين برسمه، رغم أن القرآن كل لا يتجزأ، فالصحابة رضي الله عنهم كتبوا مصحف عثمان، كتبوا الكلمات كما وجدوها في الصحف والوسائل التي كتب فيها القرآن الكريم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا عند علماء الضبط في عهد التابعين ومن بعدهم من العلماء الذين أدوا أمانة الحفاظ على كتاب الله، نطقا ورسما وقراءة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، إذ مخالفة رسم الكلمة القرآنية يعتبر تغييرا للمعنى، وعند هذا لا يجوز في حق القرآن الكريم مثلا: إذا كتبنا (أصطفى البنات على البنين) بدون همزة قطع (اصطفى) واكتفينا بكتابة همزة وصل باعتبار الفعل خماسي، وستكون الجملة خبرية، وننسب إلى الله تعالى البنات، يختار البنات على البنين، وهذا محال في حقه تعالى.

فعلماء الضبط ضبطوا هذا الهمز، وكتبوا فوق الألف لدخول همزة الاستفهام على همزة الوصل (أصطفى) فحذفت همزة وصل وبقيت همزة قطع، فنابت عنها كما أشرت سابقا، ولهذا الاعتبار فالجملة إنشائية، ليست خبرية في عرف البلاغيين وهذا التساؤل حدث في بعض الآيات مثل (استغفرت) ما أشرت إلى ذلك.

ولصحة المعنى يجب المحافظة على رسم الكلمة القرآنية لتبقى الجمل إنشائية (هل اصطفى البنات على البنين طبعا لا).

3 ـ ومن الحوافز الموضوعية التي جعلتني اختار هذا الموضوع، ما للمغاربة من دور في الحفاظ على القرآن رسما وأداء، وهو ما يؤكده الواقع ويشهد به القاصي والداني على مر العصور ، فأقاموا الدليل القاطع على عنايتهم بالقرآن الكريم بما استنبطوه من النص القرآني نفسه من أجل الحفاظ عليه كظاهرة "الأنصاص" المكتوبة الأخرى التي أشرت إلى بعضها، كما توجد بعض القواعد التي يزودك بها الفقيه المصحح وتحفظها عن ظهر قلب من الوهلة الأولى مثل ضبط "نون" عيسى ابن مريم في قولهم:

يـَـــنَ يـــَـــا عِيسَى ابْنَ

عِـــــنُ عِيسى ابنُ

وَنِ وَعيسى ابنِ

بنِ بعيسى ابنِ

أفلا تستحق أمة خدمت القرآن الذي هو دستور الأمة الإسلامية أن توصف بأنها بهذه الوسائل استطاعت أن تحافظ على أصل الحضارة الإسلامية التي تعتبر القرآن منشأها ومبدأها.

من هذا المنطق جاء دمج رسم القرآن كفن وحضارة عنوانا للبحث بالإضافة إلى استنطاق رسم القرآن نفسه لاستخراج بعض الأسرار الخفية من كتابة الكلمات القرآنية وجاء العنوان كما يلي: "مذاهب تعليل الرسم القرآني: تاريخ وفن وحضارة".

لا يجادل أحد في كون القرآن الكريم أساس الحضارة الإسلامية، والتي هي جزء من الحضارة الإنسانية، أو بتعبير آخر لما للقرآن الكريم من مساهمة فعالة في الحضارة الإنسانية في الثقافة والتشريع والعمران والفنون وعمران المساجد والقصور في كل مكان مر منه المسلمون في العالم والتاريخ.

فلولا القرآن الكريم ما عرف العالم تاريخ الأقوام كعادٍ وثمود وقوم لوط وصالح والكنعان وبني إسرائيل وعاد إرم وما شيدوا و بنوا، مما أبانه البحث عن طريق الحفريات في الربع الخالي، واليمن، وسبإ، وسد مأرب، مدائن صالح، (وتنحتون من الجبال بيوتاً)، فالقرآن كتاب فيه العبر والحجج التي أقامها الله عز وجل ردا على عناد أقوام جحدوا ما جاءتهم به رسلهم وأنبياؤهم، ليكون ذلك عبرة لكفار قريش وغيرهم من الأمم المعاندة، فيما قص الله على نبيه وما لم يقصص عليه ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

هذا وقد سجل القرآن الكريم، عن طريق رسم بعض الكلمات المخالفة للإملاء العادي، بعض الحالات الدالة على أن تغيير المبنى يوذن بوجود تغيير في المعنى، كما في قصة سعة ثروة قارون وكثرة كنوزه التي تعجز جماعة عن حمل مفاتيح هذه الكنوز، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوا بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[3]. فكتابة الهمزة في (لتنوا) حسب الإملاء العادي للغة العربية، لا يقتضي كتابة الهمزة وسط الألف، ويكتفي بكتابة الهمزة أمام الواو في السطر هكذا (لتنوء) .

لكن علماء تعليل الرسم القرآني حسب السياق الذي جاءت فيه الكلمة في الآية الكريمة، يأتي بصدد وصف ثقل مفاتيح كنز قارون حيث يصعب على العصبة أو الجماعة حملها لثقلها بسبب عددها، فجاءت الهمزة هنا معتمدة على الألف في وسطه معضدة به للدلالة على الثقل (لتنوا) والله أعلم.

وهكذا جاء القرآن ليحدثنا عن بعض قصص القوم في وصف ثرائهم وأحوالهم.كما عرفنا قيمة مستشاري ملكة سبأ بسبب كتابة همزة (الملأ)فوق الواو عندما استشارتهم في

[1] ـ سورة غافر، الآية: 78
[2] ـ سورة يوسف، الآية : 111.
[3] ـ سورة القصص، الآية: 76

قضية نبي الله سليمان (قالت يا أيها الملؤا) (النمل، 29 ، 32 ، 39)، وعضد الملؤا برفع قيمته بكتابة همزته فوق الواو والزيادة في المبنى تعني الزيادة في المعنى.

إذن فرسم القرآن أيضا يعنينا في فهم تاريخ الأمم قبل الإسلام والأمثلة كثيرة من هذا القبيل، واكتفيت بهذين المثالين، ومن جانب آخر فلن أجانب الصواب إذا وصفت رسم القرآن واعتبرته فنّاً، والفن موهبة من الله، فظاهرة رسم القرآن علم وفن في الوقت نفسه، علم يتفرع من علوم القرآن، لأن القرآن متواتر لفظا ومعنى عن رسول الله كما نقله صحابته عنه صلى الله علية وسلم، وكتابته برسمه شرط في قرآنيته كما هو معلوم لدى علماء القراءات.

ورسم القرآن له قواعده وضوابطه، لاسيما إذا وُهب الكاتب خطا جميلا، كما نلاحظ في المصاحف المخطوطة عند المغاربة، وكما هو ثابتٌ في مصحف الألواح الذي أنجزته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مشكورة، وعليه فرسم القرآن قائم بذاته، بحث فيه العلماء في القديم والحديث، ولعلماء المغرب دور كبير في تعليل واستخراج الأسرار الخفية من رسم بعض الكلمات التي يخالف رسمها الإملاء العادي، كما بينت خلال المباحث التي خصصتها لبعض الحالات، فجاء دور الحفاظ فحافظوا على الرسم القرآني واخترع المغاربة أيضا هذه الوسائل التي أرسوا بها كتابة القرآن في أذهان المتعلمين، ومن هذه الأسباب وغيرها اقتحمت عقبة البحث في رسم القرآن ومنها اهتديت إلى العنوان : "مذاهب تعليلي الرسم القرآني: تاريخ وفن وحضارة". ولكون الكتاب الكريم كتاب حضارة بامتياز، قائم الذات لم تنله يد التحريف والتغيير، كما وصمت وجوه كتب أخرى قبله، بالزيادة والنقصان حسب الأهواء المغرضة.

هذا، غير أن البحث في مثل هذا الميدان صعب لكون الباحث لن يجد مجالا لإطلاق العنان للخيال، ليجد نفسه محتاجا للإستعانة بأبحاث تتعلق في مثل هذا الموضوع.

المشكلات:

ومن ضمن المشكلات التي تقف في وجه الباحث في مثل هذا الميدان منها:

1ـ قلة المصادر والمراجع المطبوعة

2 ـ وإن وجد بعضها وخطوطا فهو في أيدي الخواص فيما يخص "الأنصاص" مات كاتبها، والذي كتب أحيانا في أوراق وكراسات غير مرتبطة الأوراق وغير مرقمة ويقع فيها البتر إما في البداية أو النهاية ، إضافة إلى كونها مجهولة الكاتب والناس.

3 ـ نذرة الكتابة وقلة المتخصصين، وإن وجدوا فعلى رؤوس الأصابع، وأغلبهم مغاربة من شراح المنظومات وجمع الأنصاص والوسائل الأخرى، أمد الله في حياة من لا يزال حيا ورحم من انتقل إلى دار البقاء منهم رحمة واسعة لقاء ترك هذه الصدقة الجارية (علم ينتفع به) بين أيدي هواة هذا الجانب من علوم القرآن وهذا الثناء المقتضب قليل في حق من أمضى حياته كلها في البحث والتنقيب عن المخطوطات والمنظومات، وملأ الدنيا وشغل الناس بما ينفع الناس في ميدان قراءات القرآن وكيف يكتب القرآن إسهاما في المحافظة عليه مصداقا لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين.

كما لا يفوتني أن أشكر أستاذي الجليل على توجيهاته ونصائحه عموما، كما أشكر إدارة الكلية التي رافقتني في هذه الرحلة خطوة خطوة وأشكر بعض الأصدقاء الذين شجعوني على العودة إلى مدرجات الكلية ورحاب العلم لأنجز هذا العمل المتواضع.

الباب الأول

الباب الأول

الفصل الأول: تاريخ الرسم القرآني

المبحث الأول: دور الرسم في القراءات قبل كتابة مصحف عثمان

لم يختلف المسلمون بمكة قبل الهجرة فيما يقرءون من القرآن، لأن أغلبية المسلمين كانوا من قريش الذي نزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم بلهجتهم، وإنما حدث الاختلاف في القراءات بعد الهجرة والدليل على ذلك أن حكاية عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم[1] رضي الله عنهما وقعت بعد الهجرة في المسجد النبوي بالمدينة.

فبعد فتح **مكة في السنة الثامنة من الهجرة دخلت قبائل من العرب من غير قريش في الإسلام منها: هوازن وطيء[2] وغيرهما من القبائل التي تختلف لهجاتها قليلا عن لهجة قريش مما جعل بعض الصحابة يهرعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم في بعض الحروف التي يختلفون في قراءاتها بحكم اعتماد رخصة الأحرف السبعة التي يختلفون بعد الهجرة كما في قصة أبي بن كعب مع رجلين من الصحابة اختلفت قراءتهما عن قراءته فاحتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر قراءة أحد منهم فقال النبي عليه السلام: « إن ربي أَرسِل إلى أن أقرأَ القرآن على حرف فرددت إليه إلى أن هون على أمتي»[3] إلى أن أذن له أن يقرأه على سبعة أحرف** وتكررت القصة نفسها بين عبد الله بن مسعود وصحابي آخر فيما رواه الحاكم بسند صحيح، قال عبد الله فانطلقنا إلى رسول الله وإذا عنده رجل فقلت له اختلفنا في قراءتنا فإذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تغير فقال: «إنما أهلك من قبلكم الاختلاف» ثم أسر إلى علي فقال علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عُلّمَ فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفا لا يقرأها صاحبه[4].

ومن هذه الوقائع من اختلاف الصحابة في القراءات وكل واحد منهم لا ينكر قراءة صاحبه يظهر جليا أن النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة مكة لم يكن يُقرئ أصحابه الحرف أو الآية من القرآن الكريم بأكثر من وجه مراعاة للتدرج وتجنبا للاختلاف وما سينتج عنه من خلق بوادر الفتنة، وهذا ما يمكن فهمه مما حدث بين عبد الله بن مسعود وصحابي آخر الذي رواه الحاكم بسند صحيح « قال عبد الله

[1] ـ القصة أخرجها البخاري في فضائل القرآن فتح الباري (يراجع)
[2] ـ أحمد البيلي، الاختلاف في القرأءات ص: 39 (يراجع)
[3] ـ أنظر شرح النووي على صحيح مسلم 101/4
[4] ـ المستدرك 223/2 - 224 (يراجع)

أقرأني رسول الله سورة (حم) ورُحت إلى المسجد عشية فجلست إلى رهط فقلت إلى رجل من الرهط اقرأ علي فإذا هو يقرأ أحرفا لا أقرؤها فقلت من أقرأكها قال أقرأني رسول الله »1.

فلما اختلفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله: « فإذا وجه رسول الله قد تغير حين ذكرت له الاختلاف، فقال "إنما أهلك من قبلكم الاختلاف" ثم أسر إلى علي فقال علي: إن رسول الله صلى اله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل كما عٌلم»2 وهذا الإذن بأن يقرأ كل واحد كما علم هي بداية رخصة القراءة بالحروف السبعة وهو الحديث الذي رواه سبع وعشرون صحابيا3 منهم عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وغيرهم.

وهكذا حسم حديث الأحرف السبعة الأمر وبدد الاختلاف الذي سيؤدي إلى وهم اختلاف الأمة في قراءات القرآن، فأيما حرف قرؤوا به فقد أصابوا، كما قال العلماء لا مفهوم للعدد وإنما المراد التوسعة على الأمة وهو أيضا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، حيث الاختلاف في الحروف لا يؤدي إلى اختلاف في المعنى.

هذا وقد كثر الأخذ برخصة قراءة بعض الأحرف بأكثر من وجه واحد في بعض الكلمات القرآنية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي عهد الخليفة عثمان برز إلى الوجود بفضل انتشار الكتابة تراجع خطر الاختلاف باعتبار رخصة الأحرف السبعة تيسيرا على الأمة، لكن مع ظهور بوادر تفضيل قراءة صحابي4 على قراءة صحابي آخر بل وتخطئة المخالفين لبعضهم، جاءت فكرة توحيد رسم المصحف وحمل الناس على الاعتماد عليه وذلك المشروع الذي أمر بتنضيده الخليفة عثمان بمباركة من كبار الصحابة رضي الله عنهم جميعا.

---

[1] ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك 223/2.
[2] ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك 224/2.
[3] ـ أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، ص:42؛ ط 1988/1.
[4] ـ أحمد البيلي، مرجع سابق ص:54.

ب ـ دور تدوين المصاحف العثمانية في توحيد الرسم والقراءة

حسم عمل الخليفة عثمان الخلاف الذي شاع بين القراء بعد غزوة أرمينية[1] التي اجتمع فيها جنود الشام بالجند القادمين من العراق فكان الشاميون يعتمدون قراءة أبي بن كعب بينما جنود العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بم مسعود، فكاد القوم أن يقتتلوا بسبب الاختلاف في قراءة القرآن، ولم يقتصر الأمر على جند الشام وجند العراق، بل في المدينة أيضا نشأ الخلاف في القراءة بين معلمي الصبيان وتلاميذهم[2] وبسبب هذا وذاك استشار الخليفة عثمان رضي الله عنه كبار الصحابة في كتابة المصحف لتوحيد القراءة والرسم معا فكان ما كان من تكوين الخليفة لجنة لكتابة المصاحف برئاسة زيد بن ثابت الأنصاري الذي كان كاتبا من كتبة الوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى حفظه للقرآن كله، كما تولى الجمع الأول في عهد أبي بكر رضي الله عنه تولى لعم الميراث وإقراء القرآن[3].

وهكذا لم يجادل أحد من الصحابة رضوان الله عليهم من الذين لهم إلمام بالكتابة في طريقة كتابة القرآن الكريم بالرسم المعهود المنسوب إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه الذي أشرف على كتابة المصحف، لأن القرآن مكتوب والنبي صلى الله عليه وسلم حي، وجمع في عهد أبي بكر واحتفظت الصحف والأدوات عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها إلى أن اعتمدت لجنة عثمان على هذه الوثائق فنقلت ما فيها بأمانة إلى المصحف العثماني في أول المصاحف العثمانية مما يدل على أن القرآن الكريم لا يتجزأ بألفاظه وحروفه وطريقة كتابتها بإجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين فكان الرسم القرآني ركنا من أركان القراءة المتواترة التي لا تثبت قرآنية الحرف إلا بتوفر شروط منها موافقة الحرف لرسم المصحف العثماني فما بال الخلف إذن أضاعوا إجماع السلف الذي نقل بأمانة.

---

[1] ـ بلاد الأرمن الآن هي تركيا

[2] ـ السجستاني في كتاب المصاحف، ص:25

[3] ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 360/2.

الفصل الثاني : فقد اختلفت الآراء حول الرسم القرآني، رأينا فيما سبق أن القرآن الكريم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر أصحابه أن يكتبوا ما نزل منه خشية أن يختلط بغيره من حديثه صلى الله عليه وسلم حينما قال: «من كتب عني غير القرآن فليمحه» والتحق النبي عليه السلام بالرفيق الأعلى والقرآن كله مكتوب في اللحاف والعسب إلى أن جمع ودُوّن.

أضف إلى ذلك أنه كان أحيانا يشرف على عمليات الكتابة كقوله لمعاوية وكان إذاك من كتاب الوحي: «ألق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمان وجود الرحيم وضع قلمك على أدنك اليسرى فإني أذكر لك»[1] ولهذه الاعتبارات كلها يعتبر رسم القرآن الكريم جزءا من القرآن لا ينفصل عنه لفظا ومعنى، وعليه تجب المحافظة عليه سنة وإجماعا، وذلك ما سنبحث فيه مع الفريقين؛ المؤيدين للإتباع والقائلين بجواز عدم الإتباع.

المطلب الأول: أنصار الإتباع وحججهم:

يرى أصحاب المذهب التوقيفي هذا أن الكتابة بالرسم العثماني واجب للمحافظة على رسم الكلمة القرآنية كما هي مرسومة في المصاحف العثمانية التي كتبها الصحابة بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلت بأمانة إلى صحف أبي بكر الصديق إلى أن جاء الخليفة عثمان بعد قصة مشهورة بإيعاز من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلف لجنة من صحابة رسول الله فنقلوا صحف أبي بكر فجمعوها فصارت مصحف عثمان أو مصاحف عثمان التي وزعها على الأقطار الإسلامية واحتفظ لنفسه بواحد منها، مصاحف عثمان هي المعتمدة فيما نقرؤه من القرآن الكريم غلى اليوم.

فلا يجوز مخالفته على هذا الاعتبار في شيء مما رسم من القرآن في مصحف عثمان لنقله بالخط الإملائي العادي، أضف إلى ذلك أن الصحابة كلهم بإجماع لم يجادلوا في طريقة كتابة القرآن الكريم بالرسم المعهود المنسوب إلى الخليفة عثمان

[1]- ذكره السخاوي في الوسيلة عن العتيلة ص: 125

باعتباره مشرف عليه لا مخترعا له، حيث أمر اللجنة أن يكتبوا القرآن كما هو موجود في الصحف التي جمع القرآن الكريم في عهد سلفه أبي بكر الخليفة الأول رضي الله عنه.

وأئمة السلف والخلف حريصون على أن يحترم النص القرآني بعدم المساس برسم كلماته كما هي مرسومة في المصحف العثماني أو المصاحف العثمانية المشتملة على الرسم الأول للقرآن الكريم، فلا تجوز عقلا وشرعا مخالفته، فمخالفته تعني مخالفة إرادة الله تعالى الذي تكفل بحفظ القرآن الكريم من التغيير والتحريف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

كما أنه لا يعقل أن يتكفل الله تعالى بالقرآن الكريم ويهمل رسمه، والذي يجري على الكل يجري على الجزء، وإنه لا يجوز تجزئ كلام الله تعالى، إذ القرآن كله كلام الله تعالى، وكفى أن القرآن كله متعبد بكل ما تواتر منه تلاوة وعبادة، ورسمه لم يثبت تاريخيا أن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة العلماء غير أو بدل شيئا من مرسوم القرآن، فالإمام مالك رضي الله عنه لما سئل هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء فقال: لا إلا على الكتبة الأولى، كما روى ذلك عنه الإمام الداني بسند متصل[2].

وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت 241ه) «تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك».

وقال الإمام البيهقي في شعب الإيمان:«من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ولا يخالفهم فيها ولا يغير مما كتبوه شيئا

[1] ـ سورة الحجر، 9.

[2] ـ المقنع في ر سم المصاحف، ص: 9 ، والإمام الداني هو عثمان بن سعيد الداني المقرئ الأندلسي ت 444 هـ ومؤلف كتاب التيسير وجامع البيان وغيرهما في مجال الرسم والقراءات القرآنية.

فإنهم أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم»[1].

وروى البيهقي بسنده عن زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي الجليل كاتب الوحي ورئيس لجنة كتابة مصحف عثمان أنه قال: «القراءة سنة. فقال سليمان بن داوود الهاشمي المحدث المشهور معناه: «ألا تخالف الناس برأيك في الإتباع» وأوعز هذا المعنى إلى ما بلغ عن أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة 224 ه «إن القراء لم يلتفتوا إلى مذهب العربية في القراءة أنه خالف ذلك خط المصحف، وإتباع حروف المصاحف عندهم كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها»[2].

واستنادا إلى رأي هؤلاء العلماء في هذا الموضوع يتبن أن شرط صحة الرسم أقوى من وجه في العربية بالنسبة لصحة القراءة ولاسيما إذا تعززت القراءة بهما معا كما أسند إلى القراء في قوله: إتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافه. وإتباع المصحف ها يعني المصحف العثماني الذي يشتمل على ألفاظ القراءة وطريقة كتابتها (رسمها).

وعلى هذه الاعتبارات كلها يتضح أن القرآن كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقر الصحابة رضي الله تعالى عنهم على هذه الكتابة والتقرير أحد أقسام السنة وهو حجة عند المحدثين والأصوليين، فلو كان هناك خطأ في الكتابة لما أقرهم على ذلك[3].

وكما قال صاحب كتاب الإبريز نقلا عن شيخه عبد العزيز الدباغ:«رسم القرآن سر من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة وهو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم وليس للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمرهم أن يكتبوا على الهيئة المعروفة بزيادة

---

[1] ـ المرجع السابق ص: 9.
[2] ـ المرجع السابق ص: 9
[3] ـ شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ص:25، ط 3، 2013

الألف ونقصانها ونحو ذلك لأسرار لا تهتدي إليها العقول إلا بفتح رباني وهو سر من الأسرار التي خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، نظمه معجز فرسمه معجز أيضا»[1].

ويضاف إلى ذلك أنه فعل الصحابة رضوان الله عليهم، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بالخلفاء الراشدين فقال «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[2].

وإتباع المصحف العثماني في رسمه إجماع الصحابة والتابعين من بعدهم أنه رضي الله عنه نسخ المصاحف وبعث بها إلى الأمصار وتلقى الصحابة هذا العمل بالرضا والقبول ولم يشد أحد منهم على ذلك وكانوا أكثر من إثني عشر ألف صحابي فكان ذلك إجماعا منهم على صحة هذا العمل[3].

وينسب إلى القاضي عياض قوله في الشفا متحدثا عن القرآن الكريم: «وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول "الحمد لله رب العالمين" إلى آخر " قل أعوذ برب الناس" إنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف مكانه أو زاد حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر»[4].

وأدلة القائلين باتباع المصحف كثيرة منها ما استند فيها إلى النصوص والإجماع سد درائع الفتنة التي حاول أنصار المذهب المخالف للإتباع أن يثقبوا سفينة الإجماع.

المطلب الثاني : رأي القائلين بمخالفة الرسم العثماني

---

[1] ـ الشيخ عبد العزيز الدباغ، الإبريز، ص:70.

[2] ـ أخرجه أبو داوود في كتاب السنة 506/2 والترمذي في كتاب العلم 44/5 وابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين وأحمد في المسند 4/

[3] ـ شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ص:66 بتصرف.

[4] ـ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص:305.

وفي المقابل نجد رأي القائلين بمخالفة الرسم العثماني الذين يرون أن الرسم القرآني ليس توقيفيا فتجرأ بعضهم فقالوا تجوز مخالفة رسم المصحف الباقلاني من المتكلمين وابن خلدون من المتأخرين فقد ووجه موقفهما هذا بالرفض التام من قبل العلماء لاسيما وأن ابن خلدون عزا هذا إلى جهل الصحابة بقواعد الخط حيث قال: «فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لأجل ذلك من رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة إلى أن قال ولا تلتفتن في ذلك ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط»1.

وتحمس أبو بكر الباقلاني فقال:«وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة منها شيئا إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعين دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه»2.

مناقشة الاتجاهين على ضوء آراء القراء الكبار الذين يرون أن مخالفة رسم المصحف بعد الإجماع على صحة ما جاء في المصاحف العثمانية يعد خروجا عن الإجماع الحاصل يكون موافقة القرآن لرسم أحد المصاحف العثمانية يعتبر شرطا لصحتها وتواتر ما يصح التعبد بها إلى جانب الشرطين موافقة اللغة ولو بوجه وصحة السند.

فهذا مكي بن أبي طالب القيسي في الإبانة يقول: «إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق اللفظ بعد خط المصحف، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة ومن بعدهم عليه واطرح ما سواه مما يخالف خطه فقرئ بذلك الموافقة الخط لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه وبعث بها

---

[1] ـ تاريخ ابن خلدون، ج 1 ص 707 طبعة دار الفكر
[2] ـ الباقلاني،

إلى الأمصار وجمع المسلمين عليها ومنع القراءة بما يخالف خطها وساعده على ذلك زهاء إثنى عشر ألف من الصحابة والتابعين واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ وإن صحت ورويت»[1].

كما ذكر الإمام ابن الجزري أن كل قراءة تخالف رسم المصحف تمنع من يقرأ بها في الصلاة منع تحريم بعد ما أجمع الصحابة على رسم القراءة كما وجد في مصحف عثمان فقال: «فنحن نقطع بأن كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما خالف رسم المصاحف العثمانية قبل الإجماع عليه من زيادة كلمة و أكثر وإبدال أخرى بأخرى ونقص بعض الكلمات كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ونحن اليوم نمنع من يقرأ بها في الصلاة وغيرها منع تحريم لا منع كراهة ولا إشكال في ذلك»[2].

والإمام ابن الجزري على جلال قدره في علوم القرآن والقراءات يرى عدم جواز القراءة الشاذة في الصلاة وهي التي لم تسوف شروط التواتر الثلاثة والتي منها موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية، والأهمية موافقة القراءة والرسم لما في مصحف عثمان لتكو القراءة متواترة يصح التعبد بها أسوق كلاما لمكي في الإبانة أيضا قبل كتابة مصحف عثمان وبعد كتابته،«وإنما قرأ بهذه الحروف (يعني الحروف السبعة) التي تخالف المصحف قبل جمع عثمان رضي الله عنه الناس على المصحف فبقي ذلك في النقل غير معمول به عند الأكثر لمخالفته للخط المجمع عليه»[3]. يعني خط مصحف عثمان كما دونه صحابة رسول الله الذين كلفهم الخليفة الثالث بذلك رضوان الله عليهم أجمعين.

وكل كتابة للقرآن مخالفة للرسم العثماني تعتبر شاذة وإن صح سندها ولها وجه في العربية، وبعد عرض الآراء من المؤيدين لاتباع رسم المصحف كما دونه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بإشراف من الخليفة عثمان رضي الله عنه بمباركة من صحابة رسول الله، تفاديا لوقوع الفتنة، فتنة الخلاف في القرآن الكريم والتي لا

[1] ـ مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة، ص18، ط 1- 2006 تحقيق محي الدين
[2] ـ ابن الجزري منجد المقرئين ص: 21.
[3] ـ مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، ص:75، ط 1 - 2006

تزال قائمة، إذ المسلمون سايروا الآراء الشاذة عن إجماع المسلمين حول المحافظة على النص القرآني الإرث الذي ورثه المسلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان لايورث فما أجدرنا اليوم أن نحافظ على هذا التراث المقدس الذي كان أصلا لما نعتقده من دين وأساسا قويا بنيت عليه الحضارة الإسلامية ومن باب الحكم على الشيء فرع عن تصوره نحاول فيما يلي من الأبواب والفصول، الوقوف على ماهية الرسم القرآني من أوجه مختلفة من التصريف والتبيين والتعليل.

الباب الثاني

الباب الثاني:

الفصل الأول:

المبحث الأول: تعريف الرسم القرآني

الرسم في اللغة الأثر عموما وفي لسان العرب لابن منظور: «الرسم الأثر، وقيل بقية الاثر، وقيل هو ما ليس له شخص من الآثار، وقيل: هو لصق في الأرض منها ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقا بالأرض والجمع أرسم ورسوم. ورسم الغيث الدار عفَّاها وأبقى فيها أثرا لاصقا بالأرض»[1].

فاستشهد لهذا ببيت للحطيئة:

أمِن رسم دارٍ مربِعٌ وقصيفُ +++ لعينك من ماء الشؤون وكيفُ

وعفا رسم الدار انمحى أثرها بفعل عوامل طبيعية، كما يقول امرؤ القيس:

متوضع فالمقراة لا يعف رسمها +++ لما نسجتها من جنوب وشمال

[1] ـ ابن منظور لسان العرب، مجلد 12 ص:441 ، ط 6 ، دار صابر بيروت 1997م.

ويطلق الرسم أيضا على الخط والكتابة والسطر والرقم والرشم والرسم وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها، أو هو أثر الكتابة في اللفظ وعند إضافته إلى الإملاء أو الكتابة و الخط يعنى به عل الحروف الهجائية بمنزلة العلامة للملفوظ به والدلالة عليه[1].

هذا عن الرسم القياسي، أما الرسم المصطلح عليه بالعثماني فهو الرسم الذي كتب به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم القرآن بإشراف من الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأكثر أصول هذا الرسم موافق للرسم القياسي إلا قليلا.

وبعبارة أخرى فالرسم الاصطلاحي عندهم علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، أو هو مخالفة الخط للفظ[2]، ورسم القرآن الكريم يمثل نظاما إملائيا مستقلا ونمطا هجائيا خاصا لا يجوز أن يقاس عليه إذ هو موقوف على المصحف لا يجوز أن يتعداه[3].

وقد أشرنا في فصل سابق إلى موقفين مختلفين بين القائلين باتباع خط المصحف لما في ذلك من الحفاظ على النص القرآني من التغيير، وإغلاق باب الفتنة، على أساس أن رسم القرآن الكريم توقيفي يجب الأخذ به وإتباعه في كتابة القرآن ونسبوا التوقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكروا أنه قال لمعاوية رضي الله عنه أحد كتبة الوحي في زمان النبي صلى الله عليه وسلم: «ألق الدواة وحرف القلم ...» إلى آخر الحديث المعروف والذي اشرنا إليه في فصل سابق.

وبين القائلين بكتابة القرآن بالإملاء العادي وهم قلة لزعمهم أن الرسم القرآني اصطلاحي ولا مانع من مخالفته لأسباب سنذكرها بعد، والذي عليه الناس اليوم أن القرآن تجب كتابته بالرسم العثماني المعهود في المصحف[4]، «فهو الرسم الاصطلاحي

---

[1] ـ البديع في الرسم العثماني في المصاحف الشريفة ص21 نقلا عن الليث والخليل والأزهري.
[2] ـ دليل الحيران شرح مورد الظمآن، المارغيني، ص:25.
[3] ـ الرسم القرآني ضابطا من ضوابط القراءة الصحيحة، توفيق بن أحمد، ص: 59، ط الأولى ـ 2002.
[4] ـ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 149.

الذي توارثته الأمة منذ عهد عثمان رضي الله عنه والحفاظ عليه ضمان قوي لصيانة القرآن من التغيير»[1]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2].

وقبل الدخول في موضوع عرض أوجه الاختلاف بين الرسم العثماني والرسم القياسي ومحاولة تعليل هذا الاختلاف، أشير إلى بعض الإشكال الذي اعتمد عليه الذين يدعون أن أصل الاختلاف يعود إلى جهل العرب ـ وخاصة بعض الكاتبين منهم ـ بقواعد إملاء اللغة العربية قبل الإسلام، ولكن استنطاق المصادر التاريخية والأدلة العلمية تنفيان هذا الزعم، ذلك أن العرب والمكيين منهم عرفوا الكتابة قبل الإسلام بحكم رحلاتهم التجارية إلى الشام والعراق واليمن، يقول ابن النديم في الفهرست والمقالة الأولى ناسبا هذا الكلام لابن عباس: «أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان وهي قبيلة سكنوا الأنبار وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة، وأضاف واسأل أهل الحيرة ممن أخذتم العربية (لعله يقصد الحرف أو الخط) فقالوا من أهل الأنبار، ويقال إن الله تعالى أنطق إسماعيل بالعربية المبينة وهو ابن أربع وعشرين سنة»[3].

والقرائن التي يطمئن الباحث إليها أن العرب عرفوا الكتابة قبل الإسلام كثيرة منها:

ـ ما تذكر المصادر أن عمر بن زرارة كان يوصف بالكتاب محمد حكى ذلك غير واحد.

ـ وفي القرآن الكريم إشارة إلى زعم المشركين الذين يدعون أن القرآن الكريم كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه عن المتقدمين عليه زمانا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[4]. يستفاد من هذا الزعم أن الكتابة كانت موجودة، ومنها أيضا ما يؤيد أن العرب عرفوا الكتابة في صدر

---

[1] ـ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 149
[2] ـ سورة الحجر، 9.
[3] ـ الفهرست، ابن النديم ، ص: 12، الطبعة 3، لبنان ـ 2010
[4] ـ سورة الفرقان، 5.

الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قيدوا العلم بالكتاب»[1]. وورد عنه أيضا أنه قال: «ما حق امرئ يوصي فيه يبيت ثلاثا إلا ووصيته عنده مكتوبة» وقوله صلى الله عليه وسلم: «من كتب عني غير القرآن فليمحه» وغير ذلك مما ورد من لفظ لمادة كتب بجميع الصيغ، وهذا دليل على أن العرب عرفوا الكتابة قبل الإسلام، ومن الناحية العلمية نشهد قصة طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الأسرى المكيين الذين لا يستطيعون فداء أنفسهم بالمال في غزوة بدر تعليم عشرة من المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة، هذا يدل على أن المكيين بحكم علاقاتهم التجارية عرفوا الكتابة والقراءة.

واشتهر عمليا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث برسائل خطية إلى الملوك المجاورين كالمقوقس والنجاشي والمنذر بن ساوي يطلبهم فيها إلى الإسلام كما ثبت كتابتها في كتب السيرة والتاريخ[2].

ويستفاد من هذا كله أن العرب عرفوا الكتابة وأنهم مختلفون عليه من الوحي، والمعروف كذلك أن هناك لهجات تختلف من قبيلة إلى أخرى، والقرآن نزل بلغة قريش في أغلبه يشهد لذلك موقف عثمان احتكمت إليه لجنة كتابة المصحف حول اختلاف المكيين منهم مع زيد بن ثابت الأنصاري في كتابة (التابوت) فاختار أن تكتب الكلمة بالتاء تماشيا مع لغة قريش التي نزل القرآن بها عموما، وهذا دليل قاطع على أن إملاء العربية كلغة مكتوبة معروف لدى العرب في صدر الإسلام مما يؤكد أن بعض الفروق الموجودة بين الإملاء القياسي ورسم المصحف لا يرجع إلى جهل باللغة والكتابة، وإنما مرده إلى ملاءمة الرموز الكتابية لتمثيل الأصوات المنبثقة بالفطرة عن اللهجات العربية المختلفة، كما أن الصحابة فطنوا إلى ملاءمة هذا الخط الذي يوالم بين الرمز والصوت لحفظ النص القرآني كما علموه ورووه عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة أمينة في النقل على التعبير الصوتي في شكله المرئي والمسموع ولذا «استند

[1] ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد القلقشندي ، ج36/3.
[2] ـ علل القراءات، محي الدين سالم، ص: 109، ط1، 2009، القاهرة.

الصحابة في كتابة الكلمات القرآنية إلى تقاليد صوتية أحسوها في نطقهم فرسموا رموزها كما ذاقوها»[1].

وهذا يؤيد إطلاق اسم الهجاء على رسم القرآن الكريم[2]، وقد تطلق كلمة الهجاء ويراد بها الكتابة عند الحديث حول المصاحف «ومن يستقرئ الكتب المؤلفة في الرسم والخط لدى المستقدمين (يجد أن أغلب تسمية كتبهم تحمل هذا الاسم ويعنون به كما يظهر ذلك جليا عند ذكر مؤلفات..... المصاحف»[3].

والهجاء أيضا يطلق على الحروف العربية منفردة مستقلة وفي مرحلة التهجي عندما يتعلم الصبي في الكتاب كيفية معرفة صور الحروف منفردة أو مندمجة في بعضها لتكوين الكلمة ليكون منطوق الحرف جزءا من الكلمة وذلك قبل أن يلج الصبي عباب بحر الرسم القرآني والأداء الصوتي فيكتب حروفا في الكلمة ولا يقرؤها أو يؤدي أصواتا لا يكتبها وتلك مهمة الشيوخ والقرآء الذين لهم الفضل في تدليل عقبات الأداء القرآني خاصة بين القياس والاصطلاح ننتقل بحول الله إلى صدر أوجه الاختلاف بينهما في ما يلي:

المبحث الثاني: بعض مظاهر الاختلاف بين الرسم القياسي ورسم المصحف المعروف بالرسم العثماني

تمهيد:

وقبل دراسة مظاهر هذا الاختلاف ومحاولة تعليل هذه الاختلافات بين الرسم القياسي والرسم العثماني، أمهد لهذه المحاولة بذكر نبذة حول توجيه القراءات كعلم[4] متعلق أيضا بالكلمة القرآنية من حيث نسبة القراءة إلى القارئ مع ذكر العلة التي اعتمدها القارئ في اختياره لقراءة دون أخرى، وإن كان لا ينكر تواتر القراءة الأخرى ولكنه اختار هذا الوجه لعلة ذكرها أو لا يذكرها وكانت هذه الأوجه وتلك الاختيارات داخل القراءات المتواترة المقبولة بشروطها لا دخل فيها للاجتهاد. وكما قال ابن

---

[1] ـ تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، ص:212.

[2] ـ الرسم القرآني ضابط من ضوابط القراءة الصحيحة، توفيق العبقري، ص: 79، ط1-2002

[3] ـ مر على سيد عرباوي مقدمة دراسة تحقيق كتاب النقط في شكل المصاحف وكيفية ضبطها للإمام أبي عمر عثمان بن سعيد الداني، ص:28.

[4] ـ من أعلام علماء توجيه القراءات أبو علي الفارسي وابن خالويه ومكي بن أبي طالب القيسي وابن زنجلة ...

الجزري رحمه الله فهي: «إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»[1] .

وهل هناك علاقة بين الرسم والتوجيه والاختيار

أ ـ علاقة الرسم بفنون أخرى كالتوجيه:

لا دخل للتوجيه في تغيير المرسوم أو رسم الكلمة المكتوبة في المصحف العثماني، ولكن له دور في تبيين أثر اللهجات ولغات القبائل في النطق بالكلمة وصوت أدائها وتعليل كيفية كتابتها.

ب ـ أمثلة:

من ذلك حذف الياء في ﴿ يَوْمَ يَاتِ﴾ في لغة هذيل من آخر الفعل المضارع المعتل لغير جازم فقد عللوا هذا الحذف سواء منهم المفسرون المشتغلون بالقراءات أو الموجهون الذين يبحثون في أوجه القراءات والمهتمون بإعراب القرآن كما أشار أبو زكرياء الفراء من المهتمين بإعراب القرآن ومعاني القراءات بقوله: «وقوله (يوم يات لا تكلم) كتبت بغير الياء وهو في موضع رفع فإن أثبت فيه الياء إذا وصلت القراءة كان صوابا وإن حذفتها في القطع والوصل كان صوابا، قال فقد قرأه بذلك القراء، وعلل ذلك بكون العرب تحذف الواو والياء وتجتزئ بالضمة من الواو وبالكسرة من الياء وأنشد بعضهم: كفاك كف ما تليق درهما ++ جودا وأخرى تعط بالسيف الدما»[2].

وذلك بحذف الياء من تعط بدون جزم، أما إمام المفسرين القرطبي فذكر (يوم يات) فقرأ (يوم يات) لأن الياء تحذف إذا قبلها كسرة فقال: قال: النحاس قرأ أهل المدينة وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء في الإدراج أي في الوصل وحذفها في الوقف وقرأ الأعمش وحمزة (يوم يات) بغير الياء في الوقف والوصل[3].

---

[1] ـ النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ص:52.
[2] ـ معاني القرآن، أبو زكرياء الفراء، ج 2 ص 207، تحقيق محمد علي النجار.
[3] ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق الشيخ هشام سمير البخاري، ص 96 ج5 الطبعة الأولى 1995م؛ بيروت لبنان.

وذكر المؤلف أن قراءة حمزة بحذف الياء احتج لها أبو عبيد بحجتين أولها: رؤيته للكلمة مكتوبة بدون ياء في المصحف الإمام والثانية: أن هذه لغة هذيل واستشهد الإمام القرطبي بدوره بما استشهد به الفراء في البيت السابق:

كفاك كف ما تليق درهما +++ جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما

وعزا الزجاج أنه يرى اتباع المصحف وإجماع القراء لأن القراءة سنة متبعة، يعني: حذف الياء في (يوم يات).

أما علماء حجاج القراءات وتوجيهها فيقول أبو علي الفارسي: وأما حذف ابن عامر وعاصم وحمزة الياء في هذه الحروف في الوصل والوقف فإن حذفهم لها في الوقف كحذف من تقدم ذكره لأنها كالفواصل وأما حذفها في الوصل فلأنهم يحذفون ما ليس بفاصلة نحو[1] (يوم يات) في سورة هود[2] مع الإشارة إلى أن قراءة نافع وأبي عمرو في حذف الياء من (يوم يات) وكذا (ما كنا نبغ) في الكهف في الوقف كأنها فواصل أشبهت فواصل فحذفها لأنها موضع الوقف والوقف مما يغير فيه الكلم عن حالها في الوصل[3].

وأما أبو حيان في البحر فيقول: «وقرأ النحويان ونافع (ياتي) بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً وسقطت وابن كثير بإثباتها وصلاً ووقفا وهي ثابتة في مصحف أُبي و قرأ باقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا وسقطت في مصحف عثمان»[4].وأضاف « وذكر الزمخشري أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل»[5].

وقال مكي في الحجة إنهم «يحذفون الياء لدلالة الكسرة عليها وسكونها»[6]، أما شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري في (يوم يات) قراءة أهل المدينة بإثبات الياء

---

[1] ـ الحجة للقراء السبع، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: 377هـ) ، 44/3 تحقيق بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي راجعه ودققه :عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، ط 3 ، 1993م

[2] ـ سورة هود الآية: 105.

[3] ـ المرجع السابق44/3.

[4] ـ البحر المحيط أبو حيان الغرناطي 209/6.

[5] ـ نفسه 209/6.

[6] ـ الحجة للقراء السبعة، مرجع سابق 331/1.

فيه (يَوْمَ يَاتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فذكر الاختلاف في ذلك بين قراء المدينة وقاء الكوفة والبصرة في حذف الياء وإثباتها في الوصل والحذف إلى أن قال والصواب من القراءة في ذلك عندي (يوم يات) بحذف الياء في الوصل والوقف إتباعا لخط المصحف وأنها لغة معروفة لهذيل حيث شاع عندهم مثل (ما أدر ما تقول) واستشهد بالبيت السابق:

كفاك كف ما تليق درهما +++ جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما

وقد اتضح مما سبق في تعليل رسم الكلمة (يات) بحذف الياء بدون جازم بكونها مكتوبة بدون ياء في مصحف عثمان الذي وجب إتباعه في القراءة وفي صورة الكلمة وظهر من عرض الوجهين واختيار أحدهما للعلتين المذكورتين في الغالب إحداهما صورة في المصحف وثانيها لهجة قبيلة (هذيل).

هذا جانب من تعليل القراءة وذكر حجاجها إبراز الوجه الذي اختاره القارئ فكان لهذا العلم دور في تعليل رسم الكلمة أيضا لوجه من أوجه تعليل رسم الكلمة وقراءتها[1] لا تعليل المعنى الناتج عن اختلاف بين الرسم العثماني والرسم القياسي لموضوع دراستنا في هذا البحث كظاهرة الباحثين في الرسم القرآني في القديم والحديث.

المحور الثالث: تعليل مظاهر الاختلاف في كتابة بعض الكلمات القرآنية بين القياس اللغوي وهيئة كتابتها في المصحف

والقياس اللغوي هو وجود الكلمة بعدد حروفها وكيفية كتابتها وطريقة نطقها حسب حروف هجاء اللفظ وطبيعة اللغة العربية التي ينطق القارئ فيها السكون (الميت) في كان وقال وباع بل يكتفي بمد الصوت قبل هذا الحرف للإشارة إليه بالمد الطبيعي وغير هذه الحروف الساكنة فكل ما يكتب من الحروف ينطق مثل (قبل وبعد) وهذا ما سنلاحظه في بعض الكلمات القرآنية التي يخالف رسمها وكتابتها الرسم اللغوي والقياسي في المصحف، وهذه المخالفة تارة تكون بالنقص أو الزيادة، وهذه

[1] ـ جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، 2/ 34 ، ط 12.

المخالفة هي المصطلح عليها بالرسم العثماني نسبة إلى ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أرف على كتابة المصحف الشريف والذي تشرف صحابة رسول الله لكتابته، وذلك بنقل الصحف التي كتبت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعت وحوفظ عليها في بيت الصديق ثم بيت عمر رضي الله عنهما إلى لجنة الكتابة بإيعاز من الخليفة عثمان رضي الله تعالى عنه.

هذا والمتتبع لكتابة القرآن الكريم أحيانا يجد كلمة مكتوبة وفق الهجاء العربي بالإملاء العادي للكلمات العربية كتابة ونطقا، وأحيانا يقف أمام كلمة مخالفة في كتابتها الإملاء المعهود في لغة العرب إما بالزيادة أو النقص أو الحذف أو البدل أو بالفصل والوصل، واشتغل العلماء المسلمون بهذه الظاهرة منذ القرن الأول للهجرة إلى اليوم، وحاولوا تعليل هذه المخالفة الخطية تعليلات متباينة أشرنا إلى بعضها فيما مضى في فصل سابق من وجهة نظر مختلف للتعليل الذي نريده هنا، والمتعلق بتغيير المبنى نتيجة في المعنى أو للإشارة إلى سر في كتاب الله يدركه من وفقه الله لذلك.

المبحث الأول: تعليل الرسم القرآني محاولة في فهم أسراره.

وكما هو معلوم أن القرآن الكريم كان ولا يزال مصدر علوم الإسلام كلها كمصدر أول للتريع والاستنباط إلى كونه أساس علوم خاصة توصف بالقرآن ونضاف إليه كالقراءات والتفسير والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والمكي والمدني وجمع وكتابة المصحف والمصاحف...، ويعتب رسم القرآن الكريم من العلوم الدقيقة التي لها علاقة بالكلمة القرآنية من حيث كتابتها ونطقها ومعرفة مدلول سر كتابتها.

ولهذا السبب اشتغل بعض علماء المسلمين في بحث علم رسم القرآن الكريم بمحاولة إدراك كنهه والوقوف عند بعض أسراره، نعم استطعنا أن نقف على ما فهمه العلماء من معرفة أثر التغيير في المبنى في تغيير المعنى، نتدبر ما يوحي به اختلاف كتابة بعض الكلمات القرآنية عن الكتابة العادية للقرآن الكريم بالنسبة لبعض العلماء العارفين الذين فتح الله عليهم في هذا الباب.

المبحث الثاني: تغيير المبنى يؤدي إلى تغيير المعنى

ومن أمثلة ذلك بالزيادة + الهمز

باعتبار الهمز أو النبر من الحروف الهجائية حسب الأبجدية العربية والصوت الحاضر في الكلمة العربية، ومشكل الهمز في الرسم القرآني يحسب له ألف حساب في النطق وكيفية الكتابة حسب ما يعتريه من الأحوال وبين التحقيق.

ومن الكلمات القرآنية التي خالف رسمها الرسم الإملائي العادي وأثر وضع الهمز في الكلمة انتباه علماء رسم القرآن وذلك بكتابة الهمز فوق الواو في قوله تعالى: (الملؤاْ) في (المومنون) و (الملؤاْ) الثلاثة في (النمل) كما أشار إلى ذلك إمام القراءات والقراء أبو عمر الداني رحمه الله "المقنع في رسم مصاحف الأمصار" تحت عنوان: ذكر (الملؤاْ) قال: «قال محمد بن عيسى الأصبهاني وكتبوا الحرف الأول الذي في سورة (المومنون) فقال الملؤا بالواو والألف وكذلك الثلاثة المواضع التي في النمل: ﴿ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ (الآية 29)، و﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي ﴾ (الآية 32)، و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ ﴾ (الآية 38) وما سوى ذلك بالألف من غير واو»[1] وعن خلاف ما نسب لابن الأنباري أكد الشيخ صحة كتابة الأربعة كلها بالواو واستنادا إلى رواية «بشر بن عامر عن هارون عن عاصم الجحدري أن الأربعة في الإمام بالواو يعني كلمة (الملؤا) الأربعة الأولى في (المومنون) والثلاثة في النمل كلها وجدت مكتوبة بالواو في المصحف الإمام الذي أشرف الخليفة عثمان رضي الله عنه عن كتابته ونسب إليه رسمه فقيل الرسم العثماني»[2]. وهذه الشهادة الموثوقة حيث أدلى بها أحد القراء السبعة وهو عاصم[3] الجحدري القارئ شيخ حفص[4] تؤكد كتابة الكلمات المشار إليها لوضع الهمزة فوق الواو (الملؤا) مخالفة للإملاء العادي، هذا ولم يكتف

---

[1] ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ص: 63، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة بدون ذكر الطبعة وسنة النشر.

[2] ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص: 65.

[3] ـ عاصم هو:

[4] ـ حفص هو:

العلماء الباحثون في الرسم القرآني بالعلة الإعرابية حيث كلمة (الملؤا) في المواضع الأربعة في موقع الرفع بضمة الفاعل وبالمقارنة فإن كلمات كثيرة في القرآن الكريم من المادة نفسها تكتب بالإملاء العادي (الملأ) وهي في موقع الرفع (فاعل) وكتبت بالألف كما قال في المقنع «... فأما قوله في النساء الآية 140 ﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ وفي الأعراف وغيرها ﴿قَالَ المَلَأُ﴾ حاشا الحرف الأول من (المومنون) و الثلاثة الأحرف التي في النمل وقوله في التوبة الآية 130 (ظمأُ) وفي هود (ملأُ) فمرسوم ذلك بالألف في كل المصاحف»[1].

وكما أن القرينة الإعرابية ليست وحدها السبب في كتابة همزة (الملؤا) في الأولى من (المومنون) والثلاثة من (النمل) فوق الواو، وذلك نتيجة استقراء مثيلاتها من الكلمات والأحرف (الملأ) و (ملأ) و (ظمأ) و (يستهزأ بها) وغيرها من الكلمات التي كانت الهمزة فيها مضمومة ولكنها لم تكتب على الواو كما في (الملؤا) المشار إليها في (المومنون) و (النمل) وإنما ذلك بسبب علة أخرى.

علة أثر المبنى في المعنى

بالنسبة للكلمة القرآنية التي يخالف رسمها وكيفية كتابتها الرسم الإملائي العادي سواء كان سبب هذه المخالفة من قبيل الزيادة أو النقص أو البدل أو الوصل والفصل والحذف والإثبات كما أشار إلى ذلك الإمام الداني في المقنع[2] كما «وجد في مصاحف الأمصار من زيادة ونقص وحذف وإثبات من ذلك: (باب ذكر ما رسم بإثبات الياء زائدة أو لمعنى) من مثل (أَفإين مَّات) و (من نبإي المرسلين) وغير ذلك.

وكان العباس أحمد بن البناء المراكشي من العلماء المشتغلين بهذا التعليل فألف فيه كتابا قيما تحت عنوان: (عنوان الدليل من مرسوم التنزيل) والذي يقول في إشارة منه إلى هذا العمل الجليل بأن الحروف التي تحذف ولم تكتب فلمعنى جليل مختف عن

[1] ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، 67.
[2] ـ نفس المرجع ص: 53

الإدراك إلا من وفقه الله تعالى لإدراك هذه المعاني الخفية الجليلة وذلك بقوله: «فإذا بطنت حروفا في الخط ولم تكتب فمعنى باطن في الوجود عن الإدراك، وإذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك كما إذا وصلت فلمعنى موصول، وإذا حجزت فلمعنى مفصول، وإذا ضربت بضرب من التغير في المعنى في الوجود يظهر في الإدراك بالتدبر على ما نبينه بعد إن شاء الله»[1].

رغم اصطباغ هذا النص بصيغة فلسفية في مبناه ومعناه تبعا للمكونات الفكرية المتنوعة لابن البناء رحمه الله، فإنه أفاد القارئ بإدراك دلالات الكلمة القرآنية المكتوبة بكيفية تخالف الرسم العادي التي تغير بها أحوال النقص أو الزيادة أو الحذف أو غير ذلك. وأن هذه المخالفة أو هذا التغيير يفهم منه معنى باطن يدركه من ألهمه الله هذا السر المعجز في رسم القرآن الكريم.

ونبدأ هذه الرحلة المباركة مع الشيخ ابن البناء في تعليل وضع الهمزة مع زيادة الواو في الحروف (الملؤا) في سورتي (المومنون) و(النمل) حيث تخالف كتابة الحرف في السورتين الكتابة والإملاء العادي للحرف نفسه في القرآن الكريم حيث جاء مكتوبا هكذا (الملأ) بدون الواو، وقد علل ابن البناء كتابة الهمزة في (الملؤا) على الواو بعلو مرتبة هذا (الملؤا) فقد عضدت الهمزة بحرف حركتها مثل (الملؤا) أربعة أحرف عضدت فيها الهمزة بالواو تنبيها على أن معنى الكلمة ظاهر للفهم في قسم الملك من الوجود فهؤلاء (الملؤا) هم أرفع الطبقات وهم أصحاب الأمر المرجوع إليهم في المشورة والتدبير فقوى معنى الهمزة فعضدت وزيدت الألف بعد الواو المهموزة تنبيها على أنهم أحد قسمي (الملأ)؛ فظهورهم هو بالنسبة إلى القسم الآخر في الوجود ؛ إذ منهم التابع والمتبوع قد انفصلا في الوجود[2].

[1] ـ عنوان الدليل من مرسوم التنزيل، أبو العباس المراكشي، ص: 34، تحقيق هند شلبي، ط 1، لبنان 1990.
[2] ـ عنوان الدليل في مرسوم الرسم، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، ص: 36-37.

ويضيف الشيخ ابن البناء المراكشي زيادة في إيضاح المعنى بزيادة هذه الحروف أو نقصها وما لذلك في سبب تغيير المعنى الذي يبدو ظاهرا بالمعنى الباطني للحرف (الملؤا) « فزيادة هذه الحروف ونقصانها ينوب مناب ذكر صفات الوجود»[1].

نضرب المثل لهذا التأويل بما جاء في سورة (المومنون) في قصة نوح في وصف الملأ بالذين كفروا وبعده نسبوا إلى قومه وقالوا (لقومهم) (يريد أن يتفضل عليكم)[2] ثم قالوا كما في الآية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ ويشير إلى مكانة هذه الجماعة المؤثرة في المجتمع التي تستطيع أن تؤثر كما نقول اليوم في الرأي العام فاتهمت النبي نوحا عليه السلام بالجنون وأمرت القوم بانتظار ما ستؤول إليه حاله، فقال الشيخ مبرزا أهمية هذه الجماعة (الملؤا) في قومهم (فلهم الأمر في قومهم ولا يرون أحدا من البشر فوقهم) لدرجة أنهم سفهوا دعوة نوح إلى عبادة الله فقالوا لو شاء الله ما يدعيه نوح كما في قوله تعالى: ﴿ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ﴾[3] يباشرون الدعوة بدلا من نوح، ولهذا السبب وغيره من الاستهزاء بنوح وطرح البديل يرى الشيخ ابن البناء المراكشي أنهم (الطبقة العليا في الملأ)[4] ، ولذا علل كتابة الهمزة فوق الواو في كلمة (الملؤا) للإشارة إلى علو مكانتهم في المجتمع ووزنهم في توجيه القوم.

وقرن ابن البناء المراكشي هذه الطبقة بطبقة أخرى من الملإ من قوم ملكة سبأ بلقيس التي أخذت بمشورتهم فيما تفعل في أمر نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام فعضدت همزتهم فوضعت فوق الواو (الملؤا) وذلك حين أخبرتهم بورود كتاب من سليمان فاستشارتهم نظرا لمكانتهم ووزنهم في قومهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ ﴾[5].

---

[1] ـ المصدر نفسه ص: 37.
[2] ـ المومنون، الآية 25.
[3] ـ المومنون، الآية 24
[4] ـ عنوان الدليل في مرسوم الرسم، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي ص: 37.
[5] ـ سورة النمل، الآية: 29.

وكذا قيل في كتابة ﴿عُلَمَاؤُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ والعلماء الذين يخشون الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُ﴾[1] «عضدت الهمزة تنبيها على علو درجتهم في العلم وظهورهم في الأجود في أرفع طبقة المرجوع إليهم في جزئيات العلم وكلياته ولذلك جعلهم الله آية»[2].

والثانية في فاطر ﴿مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُ ﴾[3] قال الداني: « وفي فاطر (من عباده العلماؤ) بالواو والألف»[4] يعني كتب أيضا بالواو والألف في مصاحف أهل العراق[5] المنسوخة عن مصاحف عثمان، وقد أشار ابن البناء رحمه الله إلى اختلاف «المصاحف في حرف آخر وهو: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُ ﴾[6]، وأشار إلى مكانة العلماء الذين حصر الله تعالى خشيته فيهم باستعمال أداة حصر (إنما).

قال العلماء في كتابة همزة العلماؤ الذين يخشون الله « وفي هذه الآية يتبين لنا من هذه الصورة الخاصة (العلماؤ) وهي التي لا تأتي إلا في محل (رفع) دقة وعظمة القرآن للرد على هؤلاء الذين يقولون إن كلمة (العلماء) مفعول به أي في محل نصب حيث جاءت الضمة والواو تؤكدان الرفع»[7].

بهذا يريد الشيخ شملول أن يرفع الالتباس الحاصل في بعض القراءات من حيث الضبط والإعراب التابع لمعنى القراءات التي تجعل اسم الجلالة فاعلا والعلماء مفعولا به[8] على اعتبار أن الله تعالى هو الذي يخشى يخشى العلماء وهذا المعنى يحتاج إلى تأويل سليم غير بعيد عن السياق القرآني الذي ينزه الله تعالى عن الاحتياج والمماثلة، وحكاية الزمخشري ونسبته هذه القراءة إلى عمر بن عبد العزيز وحكايتها أيضا عن

---

[1] ـ سورة فاطر، الآية: 28.
[2] ـ عنوان الدليل في مرسوم التنزيل، ابن البناء، ص: 39.
[3] ـ سورة فاطر، الآية: 28.
[4] ـ المقنع ص: 61.
[5] ـ المقنع ص: 61.
[6] ـ سورة فاطر، الآية: 61.
[7] ـ إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة ، محمود شملول، ص: 157 ـ 158 الطبعة الثانية 2010 دار السلام للطبع والنشر
[8] ـ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُ) نسب الزمخشري قراءتها برفع اسم الجلالة ونصب العلماء إلى عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي المعروف كما حكيت عن أبي حنيفة.

أبي حنيفة حسبها صاحب الكشاف « استعارة والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيبُ المخشي من الرجال بين الناس»[1].

ومن الاختلافات التي أشار إليها الكعبري في الموضوع قوله: « ... وكذلك في موضوع نصب: أي اختلافا مثل ذلك (العلماؤُ) بالرفع وهو الوجه ويقرأ برفع اسم الله ونصب العلماء على معنى إنما يعظم الله من عباده العلماؤ»[2].

وهذا تأويل مقبول وكما يقول البلاغيون بتقديم العامل على المعمول يفيد الحصر، فحصر خشية الله في العلماء كما في (إياك نعبد وإياك نستعين) بحصر العبادة لله والاستعانة به وحده. أما مؤلف الإعجاز القرآني في الرسم العثماني فيرى: « إن همة (العلماؤ) وكتابة همزتها فوق الواو لتدل على مكانة العلماء وأنهم بعلمهم يعرفون الله حق المعرفة ويخشون عذابه»[3].

والواو باعتبار القياس النسبي لحرف المد كالألف والياء يدل على الارتفاع والظهور كما عبر عنه الشيخ أبو العباس ابن البناء بقوله « والواو تدل على الظهور والارتفاع والارتقاء فهي جامعة لأنها عن غلظ الصوت وارتفاعه بالشفة إلى أبعد رتبة في الظهور»[4].

ولم يكتف الشيخ ابن البناء في هذا النص بالإشارة إلى دور زيادة المبنى في زيادة المعنى بصورة الهمزة فوق الواو كدليل على علو همة العلماء بل أضاف دليلا آخر ناتجا عن صورة الكلمة وهو صوت النطق بالواو بارتفاع الصوت بمد الشفة إلى أبعد رتبة في الظهور والبيان شأنهم في الإشمام والروم والاختلاس حيث للنطق والصوت دور في صورة الكلمة وأصلها كما في (قيل) و (نعما) و(سيء) ومن هنا ندرك أهمية كتابة الكلمة القرآنية ورسمها وصوتها في توضيح المعنى والفضل في ذلك يرجع إلى الأئمة القراء الذين نقلوا القرآن برسمه وصوت الأداء لبعض القبائل بما

[1] ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، 548/3 مكتبة مصر للنشر الطبعة الأولى 2010.
[2] ـ إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، الكعبري عبد الله بن الحسين المتوفى سنة 616 هـ ص: 444، المكتبة العصرية للطباعة والنشر الطبعة الأولى
[3] ـ الإعجاز القرآني في الرم العثماني، عبد المنعم كامل شعير ص: 99.
[4] ـ عنوان الدليل، ابن البناء، ص: 32.

اصطلح عليه بالروم والإشمام[1] مثل نطق كثير عن بني أسد أمثال كلمات (قيل وبيع) بإمال الشفتين نحو واو مما جعل العلماء يبحثون في هذه الظواهر الصوتية المساعدة عن الأداء لأن القراءة (سنة) بأدائها الأصلي تعين على معرفة أصل الكلمة في رسمها ومعناها,

ومن هذه الكلمات أو الحروف القرآنية ما كان وجه التغيير فيها المخالف للإملاء العادي بالبدل أو بالحذف أو النقص أو بالزيادة فالتجأ علماء الضبط باجتهادهم ومعرفتهم بأصول اللغة العربية وأصواتها إلى وضع علامات تدل عن الأداء الصحيح للكلمة القرآنية فسموها إشماما واختلاسا أو إمال ليدل الرسم والنطق على أصل الكلمة ومعناها. وسمي هذا العلم الذي انبثق من كلام العرب ضبطا دور الرسم القرآني في الأداء الصوتي في معرفة بناء الكلمة ومعناها، من هذه الحروف (لا تامننا)[2]، فأوجه ضبط الحرف ونطقه في كلمة (لاتامننا)، هكذا كتب علماء الضبط هذه الكلمة في القرآن الكريم من الآية 11 من سورة يوسف تبعا لما ثبت عندهم عن طريق الرواية في الأداء والنطق بها، وهنا يتضح جليا أن العلاقة بين رسم الكلمة القرآنية وأدائها لازمة لأداء الصوت والصورة، فالصحابة سمعوا الأداء من النبي صلى الله عليه وسلم كما كتبت الكلمة في صحف أبي بكر ونقلت بأمانة إلى المصحف العثماني، وفي عصر التدوين وزمن نقط المصاحف وضبطها وضع علماء الفن بعض العلامات التي تساعد القارئ على الأداء.

قال الإمام الزرقاني في مناهل العرفان في ذكر رسم المصحف « ويراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابه كلمات القرآن وحروفه والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا

---

[1] ـ والإشمام أيضا عند القراء وحدهم الإشارة بالشفتين إلى الضمة المحذوفة من آخر الكلمة الموقوف عليها من غير تصويت بهذه الضمة ولذا قالوا والأعمى لا يحس بهذه الحركة بعكس الروم عندهم: بسرعة النطق بالحركة التي في آخر الكلمة الموقوف عليها مع إدراك السمع لها وهو أكثر من الإشمام لأنه يدرك بالسمع.
وتوضيح كيفية النطق بالإشمام والروم بالوقوف هذين البيتين لابن بري رحمه الله:
فالروم اضعاف صوت الحركة من غير أن يذهب رأس وصفة الاشمام إطباق الشفاه بعد السكون والضرير لا يراه.
ولكننا اليوم من الصعب أن تجد من يطبق الروم والاشمام وربما الإمالة أيضا مما جعل الشيخ الجشتيمي رحمه الله يقول:
ولا تكسر الحرف الممال بل الزمن +++ له الفتح إذ علم الإمالة في القبر.

[2] ـ سورة يوسف، الآية: 11.

تغيير، لكن المصاحف العثمانية أهمل فيها هذا الأصل»[1]؛ واستدرك أن في القرآن حروفا « كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد»[2]. وسأقف عند هذا الكلام أثناء محاولتي تعليل رسم هذا الحرف وأدائه.

وكما أشرت في بداية حديثي حول الحرف وكتابته تبعا لنطقه، فإن عملية التنقيط والضبط بدأ مبكرا وذلك ما أشار إليه محقق البرهان بقوله: « أما رسم المصحف وما يتعلق به من تنقيط وضبط يساعد على صحة القراءة، فيبدو أنه بدأ منذ فترة مبكرة من عصر الصحابة ولعله سبق ولعله سبق تقسيم القراءة إلى أعشار أو أخماس[3] مشيرا إلى قول الداني في (المحكم) في نقط المصاحف تحت عنوان: باب ذكر المصاحف وكيف كانت عارية من النقط وخالية من الشكل ومن نقطها أولا من السلف والسبب في ذلك.

فقال الراوي: حدثنا الأوزاعي: قال سمع يحيى بن ابن كثير يقول: كان القرآن مجردا في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء، وقالوا لا بأس به هو نور له ثم أحدثوا نقطا عند منتهى الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم[4] وفي رواية أخرى عن قتادة أنه قال واصفا الصحابة (بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا). وقد علق الداني على هذه العبارة بأنها تدل على أن الصحابة وأكابر التابعين رضوان الله عليهم هم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور ؛ لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم ، إذ هو من التابعين ، وقوله بدءوا... الخ دليل على أن ذلك كان عن اتفاق من جماعتهم[5].

والسبب في ذلك اعتمادهم في صحة الأداء عن الثقات من حفظة القرآن الذين حفظوه في صدورهم كما تلقوا الأداء الصحيح عن التابعين الذين تلقوه عن الصحابة رضوان الله عليهم وذلك خشية أن يتسرب اللحن إلى النص القرآني المعجز، فهداهم

---

[1] ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، الإمام محمد عبد العظيم الزرقاني، 204/1.

[2] ـ نفسه 204/1.

[3] ـ مقدمة تحقيق كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله المتوفى سنة 794 هـ ،48/1 ط 1، دار المعارف بيروت لبنان 1990.

[4] ـ المحكم، الداني ، ص:11، الناشر دار الصحابة للتراث.

[5] ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 1/ 48.

الله إلى اختراع هذه الوسيلة لحفظ كتابه من التزييف والتحريف والعهد لا يزال قريبا من أخذ القرآن من أفواه الرجال ولأن القرآن سنة متبعة للحفاظ على الأصل، ولهذا احترز الإمام مالك رحمه الله بأن يبقى المصحف الإمام خاليا من الشكل والضبط كما حكى الداني في المحكم قال الراوي: «قال ابن وهب وابن القاسم: سمعنا مالكا سئل عن المصاحف تكتب ضبط خواتم السور في كل سورة ما فيها من آية فقال: «لأني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو يشكل فأما ما يتعلم فيه الصبيان من المصاحف فلا أرى بذلك بأسا»[1] وفي رواية أخرى عن ابن وهب «وقال لي مالك أما هذه المصاحف الصغار فلا أرى بأسا وأما الأمهات فلا»[2].

ويعني بالأمهات مصاحف عثمان وما نسخ منها بداية الأمر حفاظا على الأصل والرجوع إليه كلما اقتضى الأمر ذلك، ولكن لما فشا اللحن في الأمة شرع العلماء في ضبط المصاحف حفاظا على الأداء الصوتي والرسم معا، وهذا حال الحرف الذي أتينا به للاستدلال على صعوبة الرسم القرآني وعلاقة بناء الكلمة بالمعنى وهو حال (لاَتَمَننَا) في يوسف.

هذا الحرف أشكل رسمه ونطقه فاختلفت قراءاته من قارئ لآخر بين الإخفاء والاختلاس والإشمام فقال الداني في باب ذكر أحكام نقط ما يخفى من المدغم عن (لاَ تَمَننا) في يوسف فإنه جاء مرسوما في جميع المصاحف بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح وأجمع أئمة القرآن على الإشارة إلى النون الأولى المدغمة في الثانية واختلف أهل الأداء وعلماء العربية في كيفية تلك الإشارة فقال بعضهم: هي الإشارة بالعضو (أي بالشفتين) إلى ضمة النون التي كانت لها في الأصل قبل الإدغام. وقال آخرون وهم الأكثر في الإشارة بالحركة إلى النون التأكيد دلالة ذلك على أصل الكلمة[3].

وهنا لابد من متابعة السير في هذا مع هذا المصدر الذي يعتبر المصدر الأساس في مثل هذه الحروف ونتابع مع الإمام الداني رحمه الله في رسم هذا الحرف ونقطه

---

[1] ـ المحكم، الداني، ص: 31

[2] ـ المحكم، الداني، ص:27.

[3] ـ المحكم في نقط المصاحف، للإمام الداني، ص: 76 ط 1.

بإثبات النص على طوله لأن اختزاله يؤدي إلى بتر المعنى فقارن أبو عمرو رحمه الله بين أقوال العلماء في هذا مبينا رأي الفريقين:

فالأولون الذين سبقت الإشارة إليهم من الذين قالوا بالإشارة بالشفتين إلى ضمة النون فهؤلاء يجعلون النون الأولى مدغمة في النون الثانية إدغاما تاما لأن الإشارة بالشفتين ليست بصوت وإنما هي تهيئة العضو ـ الشفتين ـ للدلالة على كيفية الحركة لا غير.

والآخرون يجعلون النون الأولى مخفاة غير مدغمة لأن الإشارة بالحركة إليها هي تضعيف الصوت بها، فإن نقط ذلك على مذهب من جعله إدغاما صحيحا جعل على النون السوداء علامة التشديد وجعل قبلها نقطة علامة الإشارة التي هي الإشمام هكذا تامنـــنّـــا و يجوز أن تجعل تلك النقطة الدالة عليه بعد النون لأن من علماء العربية من يقول: إن العضو يهيأ للإشمام بعد إخلاص السكون للنون الأولى وقبل حصول إدغامها ومنهم من يقول: إنه يهيأ لها بعد الفراغ من الإدغام وصورة الرسم الأخير هي تامنّـــنا[1] وأن نقط ذلك على مذهب من جعله إخفاء ففيه وجهان:

أحدهما: أن تلحق نون بالحمراء[2] بين الميم والنون السوداء وهي النون التي هي آخر الفعل المصلة بالإخفاء وتجعل أمامها نقطة ونجعل على النون السوداء علامة التشديد هكذا (تامـــنّا).

والثاني: ألا نلحق النون وتجعل النقطة في موضعها وتشدد النون السوداء فتسدل بالوجهين على الإخفاء الذي حكمه أن يضعف الصوت بحركته ولا يمطط فيمتنع الحرف الأول من الحرفين (أي النونين) بذلك من أن ينقلب إلى لفظ الثاني هكذا (تَامَنّـــا)[3].

ووجد اختار الإمام القراءة بالإخفاء في الصورة الأخيرة وذلك بقوله « والقول بالإخفاء في ذلك أوجه وعليه أكثر العلماء»[1] والإخفاء يرادفه الاختلاس عند القراء،

---

[1] ـ المحكم، الداني، ص: 76.
[2] ـ بعض العلامات التي تعين على الأداء وليست من الحروف تكتب باللون الأحمر عند علماء الضبط.
[3] ـ المحكم، الداني، ص: 76 - 77.

قال مؤلف المحجة[2] ولم يرد الاختلاس عند الأزرق إلا في حركة النون الأولى من مالك (لا تامنْــنا) وهو أحد الوجوه المشهورة في قراءة هذا اللفظ عند الأزرق وأكثر الروايات والطرق في (المقنع في رسم مصاحف الأمصار) يقول المؤلف نفسه « فإن كان الحرف الأول قد أدغم في الثاني وبقي بعض حركته وذلك عند القراء والنحويين إخفاء الحركة المضعفة تفصل بين المدغم والمدغم فيه فيمتنع القلب الصحيح وذلك في قوله عز وجل : (مالك لاتامنْنّا)[3] رسم في المصحف بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح وأجمع القراء على الإشارة فيه. والإشارة عندنا تكون بالحركة إلى النون المدغمة ليدل بذلك على الأصل وهو قول الأكابر من علمائنا وإن شئت أن تلحق نونا بالحمراء[4] قبل النون السوداء وتجعل أمامها نقطة وتشدد النون السوداء و إن شئت لم تلحق النون وجعلت في موضعها النقطة وبالله التوفيق[5].

وقد لخص المؤلف في المقنع ما كتبه بالتفصيل في المحكم فيما يتعلق بهذا الحرف ونرجع إليه في مؤلف آخر جامع البيان، إذ يقول تحت عنوان ذكر اختلافهم في سورة يوسف: « وكلكم قرأ (مالك لاتامنا) بالإشارة إلى النون المدغمة بالضم إلا ما اختلف فيه عن قالون عن نافع وعن الأعمش عن أبي بكر عن عاصم ما روى عن قالون وهو أحد تلاميذ نافع (أنه يجزم) وروي عنه الإشمام ثم رجع فقال: (بنصب الميم والنون)»[6].

وبعد ذكر الاختلافات حول الحرف بين الإشمام وهو الإشارة بالشفتين إلى الضم وبين الإدغام الخالص للنون في النون خلص المؤلف رحمه الله إلى صعوبة النطق ببعض الجوانب الصوتية التي يقول بها بعض القراء في حرف (تامنا) وذلك لضيق

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص: 77.

5 ـ محمد الإبراهيمي، المحجة في تجويد القرآن الكريم، مقرأ نافع، رواية ورش، طريق الأزرق، مذهب الداني.

[3] ـ المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق جمال السيد رفاعي ، ص: 144، ط 1 2007 المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة.

[4] ـ الحمراء هي نقطة الإشمام وهي علامة صوتية بإطباق الشفتين تهيأ للنطق بالضمة مشوبة بالكسرة

[5] ـ نفسه ص : 144.

[6] ـ جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي المتوفى سنة 444 هـ ، تحقيق محمد صدوق الجزائري، ص : 561 ، ط 1 ـ 2005 المكتبة العلمية بيروت.

المهلة في قوله : «القائلون بهذا يجعلون ذلك إدغاما خالصا ويأتون بتلك الإشارة بعد الإدغام»[1].

وقال: « وإعمال العضو لها في كلا الوجهتين متعذر جدا لدخول المدغم فيما أدغم فيه دخولا شديدا لا فرجة بينها ولا مهلة ولاتصال فتحة النون الثانية بالآلف من غير فصل بينهما أيضا فتعذرت الإشارة كذلك»[2]. ومعناه أنه يتعذر النطق بالإدغام الخالص بين النونين والإشارة في الوقت نفسه بالشفتين إلى تهيئة النطق بالضم يراه الراء ولا يسمعه السامع ونظرا لتزاحم الزمان والمكان للنطق الصوتي إنه وارد عند أكثر القراء، واقتصر المغاربة على فك الإدغام وقرأوا (لاتامَـنُـنَا) وهي قراءة أكثر المغاربة رغم أن الإمام الداني ذكر أن (لا تامننا) في سورة يوسف «جاء مرسوما في ميع المصاحف بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح»[3].

ورجع المؤلف ليؤكد صعوبة قراءة هذا الحرف حسب بعض الروايات ويختار الإخفاء فمهد لذلك بسرد أقوال كبار القراء والنحويين فقال: « قال محمد بن السري النحوي، الإدغام مع الإشمام محال لا يمكن معه لأنه لا فصل بين الحرفين إذا أدغما بحال من الأحوال ومنهم من يقول: هو إشارة إلى النون بالضمة لا إلى الضمة بالعضو وإذا كان الغرض الإتيان بالإشارة إنما هو الإدغام بأصل هذه الكلمة لا بكيفية حركة آخر الفعل المتصل لضمير الجماعة وليفرق أيضا بذلك بين ما يسكن للإدغام خاصة وبين ما يسكن على كل حال»[4]. وقال: «والقائلون بهذا يجعلون ذلك إخفاء لا إدغاما محضا» وأضاف أن «الأصبهاني عن ورش قرأ (تامننا) بفتح التاء وترك الهمز وتشديد النون من غير مبالغة وإشمامها الضم وذلك الإخفاء بعينه»[5]

والعلامات في الاصطلاحات الصوتية الواردة في قراءة الحرف (لا تامننا)

---

[1] ـ نفسه ، ص: 561.
[2] ـ نفسه ، ص: 561.
[3] ـ المحكم، الداني، ص: 76
[4] ـ جامع البيان، الإمام الداني، ص: 562
[5] ـ نفسه ص: 562.

(1) الإدغام

(2) الإخفاء

(3) الإختلاس

(4) الإشمام

(5) الروم

(6) الإلحاق

كل هذه العلامات والاصطلاحات الصوتية التي أحدثها علماء النقط والضبط لضبط الأداء للحرف كما سمع من أفواه القراء تنطبق كلها على حرف (لاتامننا) على اختلاف بين العلماء ولكي ينسجم الصوت والرسم أو ليساعد الرسم على الأداء الصوتي.

وغلى ذلك حاول أهل الأداء والرسم أن يرسموا حرف (تامننا) على الإيقاع الصوتي الذي سمع من القراء وعلماء الضبط منها ما حكاه الداني في كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط يقول الإمام الداني في فصل عقد للعريف بالإخفاء عند القراء والنحويين في الحركة المضعفة التي تفصل بين المدغم والمدغم فيه وضرب مثلا لذلك في قوله تعالى: (مالك لاتامننا) وحكى أنه رسم في المصاحف بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح، قال: وأجمع القراء على الإشارة فيه والإشارة عندنا بالحركة إلى النون المدغمة ليدلك بذلك على الأصل وهو قول الأكابر من علمائنا فإن شئت أن تلحق نونا بالحمراء قبل النون السوداء وتجعل أمامها نقطة وتشدد النون السوداء وإن شئت لم تلحق النون وجعلت في موضعها النقطة وشددت أيضا فتوذن بذلك أنه إخفاء لا إدغام[1].

ونظرا لمكانة الإمام الداني في ميدان القراءات لاسيما ما يتعلق بجانب الضبط والرسم القرآني نغمات تكرار النص في كتابة الحرف حسب الاختيارات التي أشار إليهما الداني وهي:

[1] - جامع البيان، ص: 48.

الأول: (لاتامَـنَّا) والأصل (تامنُنَا) أدغمت النون الأولى في الثانية لكننا هنا تعوزنا الإشارة أي الشفتين كتابة في حال القراءة إلى ضمة النون الأولى المرفوع وهو ما يعرف بالإشمام عند أهل الأداء.

الثاني: والذي قصده بقوله (فإن شئت أن تلحق نونا بالحمراء قبل النون السوداء وصورته أي الاختيار الثاني (لا تامنْـنَّا) وهذا الخط الرقيق في النون الأولى يسمى "الإلحاق" ويكتب عند علماء الرسم بشق القلم ليكون أدق وأرق من كتابة الحروف ويكتب بلون مغاير وتسمى هذه النون بالحمراء، كما تكتب كذلك ياء (إيلافهم) ياء ملحقة والنقطة بين النون الأولى الملقبة بالحمراء والنون الثانية الموصوفة بالسوداء هي الإشمام للدلالة على عدم النطق بالضمة الخالصة[1] الثالثة في قوله وإن شئت لم تلحق النو وجعلت في موضعها النقطة وشددت أيضا فتوذن بذلك أنه إخفاء لا إدغام (لاتامَـــــنَّا) وسميت النون الأخيرة بالسوداء عند علماء الضبط لكونها أصلية ومنطوقة وهي ضمير مفعول به دال على جماعة إخوة يوسف وتكتب هذه النون بالسوداء كباقي حروف القرآن الأصلية التي لم تزد ولم تنقص من أجل الضبط أو الاحتمال في شأن أوجهها كما في النون الأولى من (تامنا) ولقد شغل رسم تامننا ونطقه بال المشتغلين برسم القرآن وضبطه؛ وهذا إمام أهل الضبط والرسم الشيخ محمد بن محمد الشريشي الفاسي المشهور بالخراز[2] يقول في منظومته (مورد الظمآن) :

ونون (تامنَّا) إذا الحقته +++ فانقط أماما أو به عوضته

وبعد كلام طويل للشارح[3] حول هذا البيت الذي خصه الناظم لضبط حرف (لا تامنا) في سورة يوسف إشارة إلى أن الناظم لم يتعرض في البيت إلى جميع الأوجه

---

[1]- كما في سيء وسيئت للإشارة إلى نطق كسرة مشوبة بالضمة للإشارة إلى أصل الياء (واو) من يسوء وكما في قيل وغيض

[2] - أبو عبد الله محمد بن محمد الأهوى الشريشي الشهير بالخراز من أصل الأندلس سكن فاس وبها توفي ودفن ، قال مؤلف (دليل الحيران على مورد الظمآن) الشيخ المراغني وذكر مولاي محمد الإدريسي الطاهر مؤلف (استعمال الألوان في اصطلاحات ضبط المصاحف أنه الخراز توفي 718 هـ ص: 15 منقولا عن بعض المصادر له تآليف وأعمال جليلة فيما يخص رسم القرآن وضبطه منها نظم في هذا الباب قبل (مورد الظمآن) سماه عمدة البيان يقول في تسمية هذا النظم: سميته بعمدة البيان في رسم ما خط في القرآن وله شرح على منظومة ابن بري (الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع) وقيل له شرح أيضا على العقيلة للإمام الشاطبي.

[3] - هو الشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي هذا الشرح الذي سماه (دليل الحيران على مورد الظمآن) المتوفى سنة 1341هـ.

الثلاثة في ضبط (الحرف) وإنما يتعرض إلى ضبطها على الوجه الثاني الذي هو الإخفاء فذكر فيها وجهين منصوصين لأهل الفن

<u>أحدهما</u>: أن تشدد النون الكحلاء وتلحق نونا حمراء قبلها وتجعل نقطة بالحمراء[1] أمام النون الحمراء دلالة على ضمتها كما هو الشأن في الحركة المختلسة فتشديد الكحلاء دليل على الإدغام، وجعل النقطة الدالة على ضمة النون الحمراء دليل على نقصانه وإلى هذا الوجه أشار الناظم بقوله: (ونون تامنا إذا ألحقته فانقط أماما هكذا تـامنـــنـا) ومعنى قوله إذا ألحقته إذا قرأت بالإخفاء الذي يترتب عليه الإلحاق.

<u>الوجه الثاني</u>: أن تشدد النون الكحلاء وتعوض النون الحمراء بالنقط بأن تستغنى عن إلحاق الحمراء بجعل النقطة الدالة على الضمة في موضعها وإلى هذا الوجه أشار بقوله: (وبه عوضته)[2] أي وعوض النون الحمراء بالنقط الدال على ضمتها هكذا (لا تـامـــنًّا)، فقال الشارح: وإنما وضعت علامة الحركة هنا بدون حرفها (يعني النقط الذي هو الشمام ـــــ الذي استغنى به عن حركة النون الأولى لكون الحركة خالصة)[3] ، وأما الحركة الخالصة فلا يجوز عندهم وضع علامتها بدون حرفها[4]؛ أي أنهم لا يضعون العلامة على الحرف إذا كانت حركته خالصة في النطق في كتابة حرف (تامننا).

ومن الأنصاص[5] المتداولة بين المغاربة قول صاحب النص:

كيفية الأداء عند الناس ++ في لفظ تامنـــنا بلا التباس

فاقرأ بنونين بلا إشكال ++ هذا الصحيح في الأقوال

فالنون الأصلي ف تشده ++ ونقطة الإشمام قبله

---

[1] ـ شاع استعمال الألوان في ضبط المصاحف وذلك من أجل عدم الخلط بين المرسوم الذي كان من عمل الصحابة الذي يكون بالسوداء وبين النقط والضبط الذي أحدثه التابعون.

[2] ـ دليل الحيران على مورد الظمآن، الشيخ المراغني، ص: 258 ـ 259.

[3] ـ نفسه ص: 259

[4] ـ نفسه ص: 259

[5] ـ الأنصاص مع نص وهو نظم التجأ إليه حفظة القرآن وفقهاء المساجد والكتاتيب في بلادنا المغرب لضبط رسم القرآن

وفتحة بالحمراء فوق الثاني ++ والحقن الأول فخذ بياني

والثاني مظهر وأول خفى ++ مع اختلاس ضمِّه فالتعرف[1]

بذا جرى العمل خذ دليلي ++ لدى العقيلة مع التنزيل

ومنصف والداني قد تضمنا ++ تخفيفها في اللفظ شاع عندنا

ذكر هذا شيخنا ابن القاضي ++ إمام غربنا بلا اعتراض[2]

ومن ذكر المريد من أقوال علمائنا في ضبط الكلمة وقراءتها بعد الإشارة إلى منظومة الخراز[3] "مورد الظمآن" نرجع مرة أخرى إلى هذا العالم الجليل ذيل مورد الظمآن في فن ضبط مرسوم القرآن ولنقف على زيادة في الإيضاح والاختصار على هامش النظم مع الأستاذ البويحياوي مبينا قول الناظم في الذيل:

ونون تامنا إذا لحقته ++ فانقط أماما أوبه عوضته

وقال في الهامش ما نصه: «تعرض هنا لضبط تامنـــــنا بيوسف على وجه الإخفاء لا الإشمام وهو المقدم والمختار وعليه العمل وذكر فيه وجهين في ضبطها:

1 ـ إلحاق النون الأولى ووضع نقطة أمامها دلالة على الروم والاختلاس[4] ورسم الكلمة إسنادا إلى قوله في هذا الوجه لاتامنـــــنـــا.

2 ـ الاكتفاء بنقطة موضعها عن الإلحاق وإليه أشار بقوله(أو به عوضته) أي بالنقط عوضت النون الملحقة، ثم قال: وبالأول جرى العمل أي الوجه الأول مع شد النون الثانية بناء على القول لأنها مظهرة غير مدغمة إدغاما خالصا مع الإخفاء[5] وإليه أشار الشاطبي بقوله: وتامننا للكل يخفى مفصلا» وأضاف موضحا شطر بيت

---

[1] ـ كتبت الكلمة في المرجع فالتعريف فاعتقدت أنه يريد فلتعرف كعادة أصحاب هذا النظم

[2] ـ كتاب الأنصاص القرآنية، الدكتور عبد العزيز العيادي العروسي عضو المجلس العلمي طنجة، الجزء الثاني ص: 612 الطبعة السابعة 2010

[3] ـ الخراز أبو عبد الله محمد بن محمد الشريشي المتوفى بفاس 718 هـ تقديم وتقريب الأستاذ مصطفى البويحياوي أمد الله في عمره.

[4] ـ ذيل مورد الظمآن في فن ضبط مرسوم القرآن للإمام الخراز تقديم وتقريب مصطفى البويحياوي، سلسلة علوم المصحف ص: 41

[5] ـ نفسه

الشاطبي «أي مفصولة نونه الأولى من الثانية أفاده الجعبري في الكنز»[1] وهذه صورة الكلمة حسب ذلك الوجه الذي ذكره الشارح في الهامش المشار إليه، وهو الاكتفاء بالنقطة عوض الإلحاق وهي: (لاتـــامنـــنـــا)

وفي وضع هذه النقطة إشكال بين علماء الضبط والرسم وفي ذلك يقول الشيخ إدريس بن عبد الله الودغيري رحمه الله في التوضيح والبيان في مقرأ الإمام نافع بن عبد الرحمان، قال في باب النون: فصل قرأ الجميع حركته نون تامنـــا الأولى بالروم وحقيقته هي الإسراع أيضا بالحركة والاختطاف وهو عين الاختلاس السالف وعلامته خطاً هو جل ضمة النون نقطة كبرى أمام النون في محل الضمة أن لو وضعت لا فوق السطرين النونين كما يفعله بعض الناس[2]

ومن أنصاص مغاربة ولتانة بإقليم أزيلال قول بعضهم:

وتامـنـنـــا بالاخفا شاع وشهر ++ فنقطه قل شكل مدورٌ أمام

هذا وقد شغل رسم (تامننا) وقراءته علماء الضبط والرسم واللغة أيضا، ففي كتاب القواعد والإشارات في أصول القراءات للقاضي الحموي رحمه الله وحول الاختلاس والإخفاء والروم أشار المحقق في الهامش إلى أن «الروم عند القراء غير الاختلاس وغير الإخفاء أيضا ولكنهم أحيانا يعبرون بكل واحد منهما عن الآخر كما ذكروا في: (أرنا) و (نعمَّا) ورما بالإخفاء عن الروم أيضا كما ذكر بعضهم في (تامنَّـا) توسعا».

وأشار إلى أن القراءة سنة متبعة كما قال زيد بن ثابت وكما ينسب إلى عروة بن الزبير أنه قال: "قراءة القرآن من السنن فاقرءوا كما أقرئتموه" عن أبي عبيد بمعنى أن قاء القرآن على مر الدهور يجب أن يتبعوا القراءة أداء وصوتا وأن هذه المصطلحات الصوتية الواردة في قراءة حرف (تامنـــنا) يجب إتباعها حفاظا على

---

[1] ـ ذيل مورد الظمآن، م س ص: 41.

[2] ـ التوضيح والبيان في مقرأ الإمام نافع بن عبد الرحمان تأليف الشيخ إدريس بن عبد الودغيري الإدريسي الحسن المتوفى سنة 1237 هـ تحقيق الأستاذ عبد العزيز العمراوي مطبعة أنفوا السيدو فاس بدون طبعة ولا سنة الطبع.

النص، ولكن ذلك لا يتأتى إلا بالتلقي عن شيوخ الإقراء لاسيما مثل هذا الحرف الذي يصعب ضبط أدائه وفق ما ذكر من المصطلحات الصوتية في شأنه، من ذلك ما ذكره أبو البقاء العكبري ضمن قوله في إعراب «لا تامننا في موضع الحال والجمهور على الإشارة إلى ضمة النون الأولى فمنهم من يختلس الضمة بحيث يدركها السمع ومنهم من يدل عليها بضم الشفة فلا يدركها السمع ومنهم من يدغمها من غير إشمام وفي الشاء من يظهر النون وهو القياس»[1].

من هذه الاختلافات الصوتية في الأداء أشار الشيخ العكبري رحمه الله أن إظهار النون من الشواذ وهي قراءة المغاربة حاليا ولكنه أشار إلى أنه هو القياس، ومع ذلك يبقى أداء الحرف (لاتامنا) صعبا على مستوى الأداء الصوتي الذي له علاقة وحيدة برسم الكلمة وذلك ما سنحاول إيضاحه من خلال تعليلات علماء الفن والاختصاص تعليل صعوبة أداء الحرف (لاتامنـــنـــا) رسما ونطقا يبقى التعليل مقاربة نوعية لتقريب ظاهرة الرسم القرآني المعجز إلى الأذهان باعتبار العلة أو السبب لكتابة هذه الكلمة من القرآن الكريم بهذه الطريقة لاسيما حين يرتبط الصوت بالصورة لأداء الحرف أداء سليما وصحيحا وهذا لا يتأتى إلا بأخذ الكلمة سماعا من أفواه الشيوخ حيث لا يعتد بقراءة من عول على الكلمة كما هي مكتوبة في أحد المصاحف على مستوى الأداء إذ لابد من أخذ الكلمة سماعا من شيوخ القراءة لأن القراءة سنة يأخذها التلميذ عن الشيخ.

ولهذه الصعوبة في الأداء «قرر العلماء أنه لا يجوز التعويل على المصاحف وحدها بل لابد من التثبت في الأداء والقراءة بالأخذ عن حفاظ ثقة»[2].

وزاد الإمام الزرقاني توضيحا فقال: «وإن كنت في شك فقل لي بربك هل يستطيع المصحف وحده بأي رسم يكون أن يدل قارئا أيا كان على النطق الصحيح بفواتح

[1] ـ إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري.
[2] ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد شمس الدين ج 1،ص: 208، دار الكتب العلمية بيروت، ط 4 ، 2013.

السور الكريمة مثل: (كهيعص) ، (حم عسق)، (طسم) ومن هذا الباب الروم والإشمام في قوله سبحانه (مالك لاتامننا على يوسف)»[1].

وعلى هذه الصعوبة المشار إليها في أداء الحرف (تامننا) من الإدغام غير المحض للنون أو إخفائها أو اختلاسها أو إشمامها وكيفية كتابة الحرف مراعاة لهذه الأوجه في الأداء أرجع العلماء ذلك كله إلى الحالة النفسية التي كان عليها نبي الله يعقوب عليه السلام وشكوكه في نوايا أبنائه الذين يكنون الحقد لأخيهم من أبيهم يوسف عليه السلام، وأخفوا حقيقة نواياهم بالمكيدة التي يضمرونها له ولما تيقنوا من عدم اطمئنان أبيهم إلى رفقتهم مع أخيهم للصيد تساءلوا وقالوا لأبيهم (مالك لاتامننا على يوسف) لما رأوا عدم الرضا في وجه أبيهم واعتمادا على هذه الأحوال النفسية غير الواضحة عل العلماء غموض كتابة الكلمة ورسمها ونطقها إذ القرآن معجز في ضبطه ومعناه ورسمه أيضا فمن القدماء:

ـ ابن عطية الأندلسي في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وقبل ذكر القراءات الواردة في الحرف (لاتامننا) مشيرا إلى أن الآية الأولى يعني قوله تعالى على لسان إخوة يوسف الذين وجهوا تساؤلا إلى أبيهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ فقال رحمه «الآية الأولى تقتضي أن أباهم أي إخوة يوسف قد كان علم منهم إرادتهم الخبيثة في جهة يوسف وهذه أنهم علموا هم منه بعلمه ذلك»[2].

وفي غيث النفع في القراءات السبع[3] يقول مؤلفه الشيخ علي النوري المتوفى سنة 1118 ه عن اضطراب أقوال العلماء في قاءة (لاتامنا) فصرح بذلك رحمه الله بقوله (لاتامنا) اضطربت في هذه اللفظة أقوال العلماء فمنهم من يجعل فيها وجهين ومنهم من يجعل فيها ثلاثة.

---

[1] ـ نفسه ص: 208.

[2] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ص: 431، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة :الأولى - 1422 هـ .

[3] ـ غيث النفع في القراءات السبع ، الشيخ علي النوري السفاقسي، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان،ص: 318، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 3، 2008.

والوجهان هما «الإدغام مع الإشمام أو الإخفاء والثالث هو الإدغام المحض من غير إشمام ولا روم وهذا الاضطراب يوجب للقاصر الحيرة والتوقف وللماهر التثبت والتعرف»[1].

وأضاف باحث آخر من المعاصرين إيضاحات حول غموض في الموقفين: شكوك الأب وغدر الإخوة مما أدى إلى اضطراب في القراءة هذا ما صرح به مؤلف إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة بعدد تعليل قراءة حرف (لاتامننا) بالإشمام والتعريف بالمصطلح قال: «والإشمام في التلاوة هو ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمة ولكنه في الحقيقة ينطقها فتحة، وأضاف وقد جاء هذا الحكم في تلاوة قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وقراءة الميم قبيل النون المشددة في كلمة (تامننا) هو ما يسمى بالإشمام».

وزاد الشيخ توضيحا أكثر بقوله «وحين نقرأ الميم في هذه الكلمة بالفتحة وشفتان مضمومتان فينتج عن ذلك نطق يدل على التردد وعدم الثقة في إجابة الطلب وهو بالفعل ما كان عليه إخوة يوسف حينما طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم لأنهم كانوا يكيدون لأخيهم وكانوا في ريبهم يترددون لذا كان هذا الحكم في التلاوة ليوضح المعنى أصدق توضيح»[2].

والمؤلف نفسه ذكر في مقدمة الكتاب أنه سيحاول في هذا القسم من الدراسة أن يتعرض لبعض هذه الكلمات القرآنية التي جاء رسمها مخالفا للقواعد الإملائية ونحاول أن نلتمس الحكمة في ذلك لأننا نعتقد كما قال الإمام الرازي أن كل حرف وكل كلمة وكل حركة في القرآن الكريم لها فائدة، واستدرك الشيخ فقال: وبالطبع لن نصل إليها كاملة فهناك متسع لمزيد من الاجتهادات والتدبر في معاني هذه الكلمات القرآنية وأسرارها ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا **﴾(الإسراء، الآية: 20)[3] .**

---

[1] ـ نفسه، ص: 318.

[2] ـ إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمود شملول، ص: 20، دار السلام للطباعة والنشر، ط: 3، 2010م القاهرة.

[3] ـ نفسه ص: 20.

وهناك محاولة أخرى لتعليل رسم (لاتامنـــنا) من قبل باحث معاصر أيضا استعان في محاولته باقتفاء أثر من تقدمه من العلماء في استكناه أسرار رسم القرآن الكريم واستحسن عمله هذا كبار العلماء الذين دبجوا تقارير يظهر في تعريف بالكتاب ومجهود الكاتب في جديد بحثه القيم الذي يحمل عنوان "الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم"، ذلكم هو البحث الذي سهر على إخراجه الدكتور سامح القليني في مجلدين والذي نقتبس منه هذه المحاولة في فهم صعوبة كلمة (لاتامننا) في رسمها وقراءتها، فقال تحت عنوان: الوقفات والسكتات اللطيفة في القرآن «وفي سورة يوسف الآية: ﴿ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَامَنـــنا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ أي فنحن نحبه ونشفق عليه ونريد له الخير»[1].

ثم أشار إلى أن قراءة (لاتامنـــــنا) «بالتشديد والإدغام للنون (لاتامننا) بنونين وإنما أدغمتا فجرى التشديد لبيان الشدة التي كانوا يعانونها من حب أبيهم لأخيهم من أبيهم يوسف حسدا وكيدا وبيان شدة الخوف في نفس يعقوب على ولده يوسف عليهما السلام، بل وللتعبير برسم وجرس الكلمة على شدة الغيظ الذي يعتمل في داخل صدور الأبناء وهم يكلمون أباهم فالشدة تبين قوة وشدة هذا الشعور»[2].

ثم قال: « وعلى القارئ أن يعيد التأمل في هذا الرسم والجرس ويحاول أن يستبدله بالكلمة الأخرى (لاتامنُنَا) إضافة إلى أن القارئ عليه أن يضم شفتيه وهو يقرأ (لاتامنا) عند النطق بالنون المشددة (ليرى) السامع شفتيه حيث إن هذا الضم لا يسمع له صوت فيعرف أن الأصل (لاتامننا) وهو ما يسمى في عمل التجويد (الإشمام) ولم يرد غيره في القرآن يراه البصير دون الضرير فهي طريقة أخرى لتصوير بدواخل النفوس التي لم ينطقوا بها ولكن ربما تظهر على رسمياء للبصير»[3].

---

[1] ـ الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم، الدكتور سامح القليني،256/1، ط 4، مكتبة وهبة القاهرة 2011.

[2] ـ المرجع نفسه، 1/ 256.

[3] ـ المرجع نفسه، 1/ 256.

وقد حاول الكاتب أن يستنطق الأصوات والمصطلحات الصوتية وهيئة الأعضاء (الشفاه) لمعرفة ما يختلج النفوس وتخفيه من غليان الحقد بالنسبة لإخوة يوسف من أبيه ومن الخوف الشديد بالنسبة ليعقوب عليه السلام على ابنه يوسف وهي محاولة في فهم ما وراء الكلمة القرآنية من خلال صورتها ورسمها ونطقها فإن أصاب فله أجران وإن كانت الأخرى فله أجر واحد.

وقد سبقه إلى هذا الميدان علماء من عيار ابن البناء المراكشي في كتابه عنوان الدليل كما وقلنا عند محاولة في كلمة (الملؤا)[1] ومعنى السبب في تعضيد الهمزة وكتابتها فقال الواو لمكانة (ملأ) الملكة بلقيس في مجتمع وكذا (ملؤا) نبي الله سليمان و(علمـــؤا) بني إسرائيل وكذا تعضيد همزة العلمـــؤا الذين شرفهم الله وحصر خشية الله فيهم.

وعن الحكمة في اختلاف رسم الكلمات القرآنية في المصحف كما قال الإمام الزركشي في البرهان[2] بإشارته إلى كون ابن البناء المراكشي كان مهتما بهذه الأسرار الربانية التي وضعها الله تعالى في الكلمات القرآنية، فقال رحمه الله: « واعلم أن الخط جرى على وجوده: فيها ما زيد عليه على اللفظ ومنها ما نقص ومنها ما كتب على لفظه وذلك لحكم خفية وأسرار بهية تصدى لها أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء في كتابه (عنوان الدليل في مرسوم التنزيل) وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط ولحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها»[3]، ثم أضاف ومنها: « التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ومراتب الوجود والمقامات والخط إنما يرسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي»[4].

وبعد عقد مقارنة بين ما سطره ابن البناء رحمه اله في الموضوع وما نقل عنه من قبل الإمام الزركشي نجد تأثر الأخير بالأول إلى درجة الحفاظ على المصطلحات

---

[1] ـ إشارة إلى تعليل كتابة همزة (الملؤا) (وعلمؤا بني إسرائيل) (وإنما يخشى الله من عباده العلمؤا).
[2] ـ البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة 794هـ.
[3] ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص:161.
[4] ـ المصدر نفسه، ص: 161.

نفسها وعلى الجمل بعينها، وتحت عنوان: اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه[1] قال في القسم الثالث: حذف الياء وفي تعليل هذا الحرف قال: « الثالث حذف الياء اكتفاء بالكسرة نحو (فَــرْهَبُونِ) (فَاعْبُدُونِ) »[2].

ثم قال أبو العباس (يعني ابن البناء) الياء الناقصة في الخط ضربان: ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة وضرب محذوف فيهما فالأول: هو باعتبار ملكوتي باطن وينقسم إلى قسمين ما هو ضمير المتكلم، وما هو لام الكلمة[3]، فضرب مثلا للأول:بكون الياء ضميرا للمتكلم مثل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[4] ثبت الياء الأولى لأنه فعل ملكوتي ومع ذلك يوجد انقطاع بين الأصل المنقول عنه حيث يقرر ابن البناء تثبت الأولى لأنه فعل ملكي وحذفت الثانية لأنه فعل ملكوتي.

يعني ثبت الياء وإزالتها في الآية ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فالياء الأولى غير محذوفة في ﴿ ـَعذَابِي﴾ والياء الثانية محذوفة في الخط في ﴿نُذُرِ﴾[5]، ومن هذه المقارنة الجزئية تبين أن الزركشي تأثر بطريقة ابن البناء في التعليل وباعتماد مصطلحاته كالملكوتي والوجود، وللزيادة في الإيضاح عند ابن البناء في مصطلحاته لنعرف الفر بين الملكي والملكوتي فعندما يتعلق الأمر بلفظ يدل على المشاهدة والمحسوس فهو عنده ملكي موجود وعندما يتعلق الأمر بلفظ له معنى باطني غير محسوس فهو ملكوتي يقول رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَلا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[6]، هذا المسؤول غيب ملكوتي يدلك عليه قوله تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فهو على غير حال ﴿فَلَا تَسْئَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[7]، لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام المشاهدة مثل: خرق السفينة وقتل الغلام وإقام الجدار ولهذا الاعبار حذفت الياء في (تسئلن) في هود 46 لأن المعنى متعلق بغيب علم الله باطني غير مرئي وتبتت

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص: 161

[2] ـ البرهان، ص: 271، يعني بحذف ياء المتكلم من (فارهبون) و (فاعبدون).

[3] ـ البرهان، ص: 271.

[4] ـ سورة القمر، الآية: 16.

[5] ـ غير أن بعض الناس في تعليل حذف الياءات في القمر تسبب مراعاة الانسجام الصوتي في رؤوس الآي كغيرها في بعض السور المكية.

[6] ـ سورة هود، الآية: 46.

[7] ـ سورة الكهف، الآية: 70.

الياء في (تسئلني) في الكهف 70 لأن الأمر يتعلق بشيء محسوس مثل : خرق السفينة من قبل الخضر وقتل الغلام وإقام الجدار.

وهذه الياء في (تسئلن) حذفت في الخط فقط ولكنها ثبتت في اللفظ كسائر الزوائد في القرآن الكريم ما في ﴿ فَمَا ءاتَيـنِۦَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءاتَيـكُم﴾[1] ومثل الياءين في ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] وحذف الضمير في الخط دلالة على الدعاء الذي من جهة الملكوت بإخلاص الباطن[3].

وعندهم أ علماء الحجاز رسم القرآن إن حذف حرف في الكلمة القرآنية يعني التعجيل وسرعة الحدث (سندع الزبانية) حذفت الواو من رسم الكلمة كما في المصاحف دلالة على سرعة استجابة الزبانية لرمي أبي جهل في النار، وكذا سرعة استجابة الدعاء في حذف (واوات) أخرى في كلمات أخرى مكتوبة بدون واو في مصحف عثمان كما قال الداني عن أبي عمرو فيما حذف من الواوات في الرسم وجملة ذلك أربعة مواضع في الإسراء (11) و(يدع الإنسان) وفي الشورى 24 (ويمح الله الباطل) وفي القمر 6 (يدع الداع) وفي العلق 18 (سندع الزبانية) الوصل بالواو والسكت على الكتاب[4] ومعنى هذه العبارة الأخيرة أن هذه الكلمات تقرأ محذوفة الواو في الوصل والوقف لأنها وجدت مكتوبة هكذا في الكتاب أي في مصحف عثمان.

أما الشيخ ابن البناء فيقول في تعليل الواو الناقصة من الخط « وكذلك سقطت من أربعة أفعال دلالة على سرعة وقوع الفعل ويسارته على الفاعل وشدة قبول المنفعل للتأثر به في الوجود مثل (سندع الزبانية) فيه سرعة الفعل وسرعة إجابة الزبانية

---

[1] ـ سورة النمل، الآية: 37.
[2] ـ سورة البقرة، الآية: 185.
[3] ـ عنوان الدليل، ابن البناء، ص: 93.
[4] ـ جامع البيان في القراءات المشهورة، الداني أبو عمرو، تحقيق الحافظ المقرئ محمد صدوق الجزائري، ص: 374، ط 1، بيروت لبنان 2005.

وقوة البطش وهو وعيد ذكر مبدؤه وحذف آخره ويدل على هذا قوله تعالى:﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[1]**»**[2]**.**

وكعادة الشيخ أنه يستدل بدليل من القرآن نفسه على الحكم الذي استنبطه من علة رسم الكلمة القرآنية كما في الآية الأخيرة من سرعة لمح البصر الذي شبه به سبحانه وتعالى سرعة أمره وبعد علة حذف الياء وحذف الواو باعتبار العلة المعنوية والسر الإلهي في رسم القرآن ننتقل إلى معتمد العلماء الذين يرجعون اختلاف كتابة بعض الكلمات القرآنية عن الكتابة العادية إلى سر من أسرار النص القرآني الذي لا تنقضي عجائبه.

ومن حذف الياء والواو إلى حذف الألف الأخيرة من النداء في ثلاث كلمات في القرآن الكريم وهي: ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[3] ﴿أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾[4] ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[5]**. وقد أشار الإمام الداني في كتابه المقنع إلى هذه الكلمات أنها كتبت في القرآن بغير ألف لكنه لم يذكر العلة «وكل شيء في القرآن من ذكر (أيها) فهو بالألف إلا ثلاثة مواضع فإن الألف فيها محذوفة أولها في النور** ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ **وفي الزخرف** ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ **وفي الرحمان** ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾**»**[6]**.**

فهذه الحروف كتبت بغير الألف الأخيرة في القرآن الكريم في جميع المصاحف وكما تلقينا ذلك عن شيوخنا في مغربنا غير أن مخالفة كتابة هذه الكلمات بشكل يخالف الكتابة العادية في (أيها) استرعى انتباه العلماء المشتغلين بتعليل هذه الكتابة المرسومة في القرآن الكريم هكذا (أيه) بدون ألف فاستنبطوا عن طريق الحدس الرباني دلالة هذا الحذف يقول إمام القراء والعلماء في زمانه ابن البناء المراكشي:

---

[1] ـ سورة القمر، الآية: 50.
[2] ـ عنوان الدليل، ابن البناء، ص: 88.
[3] ـ سورة النور، الآية: 31.
[4] ـ سورة الزخرف، الآية: 48.
[5] ـ سورة الرحمان، الآية: 41.
[6] ـ المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق جمال السيد الرفاعي، ص: 42، ط1، القاهرة 2007.

«وكذلك سقط الألف الزائدة لتطويل هاء التنبيه في النداء في ثلاثة أحرف (أيه المومنون) (أيه الساحر) (أيه الثقلان)»[1].

فقال الشيخ معللا هذا الحذف «إشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس في الفهم رتبة يمتد النداء إليها وتنبيها على الاقتصار والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ما ينبغي»[2]. وأضاف مفصلا: «فقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾[3] يدل على أنهم كل المومنين على العموم والاستغراق وقوله تعالى: حكاية عن قول فرعون﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ وقول فرعون أيضا ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ يدل على عظمة علمه عندهم ليس فوقه أحد»[4].

ومن عادة الشيخ ابن البناء أن يستعين بمحيط الآية أو الكلمة لبلوغ مراده من المعنى على طريقته في فهم الكلمة في السياق وفي آية الرحمان (أيه الثقلان) يقول الإمام: «فإقامة الوصف مقام الموصوف يدل على عظمة الصفة الملكية فإنها تتضمن جميع الصفات الملكوتية والجبروتية فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاء اله في بيان النعم ليشكروا وبيان النقم ليحذروا»[5]. أما الإمام الزركشي رحمه الله في البرهان فلم يزد على عبارات ابن البناء ولو حرفا واحدا[6].

ومن المعاصرين المهتمين بموضوع تعليل الرسم القرآني ممن أدلوا بدلوهم في الميدان الدكتور سامح القليني في كتابه الجلال والجمال تحت عنوان: النداء؛ عالج الباحث ما يتعلق بحذف الألف بعد الهاء في النداء بعد ذكر أنه «كثر النداء في القرآن الكريم ب (أيها) بإثبات الألف بعد الهاء»[7]. وقد وردت هذه الصيغة بإثبات الألف

---

[1] ـ الدليل من مرسوم التنزيل، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، تحقيق هند شلبي، ص: 74-75، ط 1، بيروت لبنان، 1990.
[2] ـ المرجع نفسه، ص: 75.
[3] ـ سورة النور، الآية: 31.
[4] ـ الدليل من مرسوم التنزيل، ابن البناء، ص: 75.
[5] ـ الدليل من مرسوم التنزيل، ابن البناء، ص: 75.
[6] ـ البرهان في علوم القرآن، ص: 270.
[7] ـ الجمال والجلال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم 675/2.

الأخيرة في (أيها) في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، ثم ذكر إلا في ثلاثة مواضع ترى الألف محذوفا فيها وهي على الترتيب المصحفي على النسق الآتي[1] : يـــأيـــُـهَ

الموضع الأول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

الموضع الثاني: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[3].

الموضع الثالث: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[4].

وقد أجاب الأستاذ الباحث عن سؤال عريض بقوله ويرد على هذا سؤال لحول: لماذا أثبت (الألف) في رسم المصحف في جميع ما ورد فيه من (أيها) وحذف من هذه المواضع الثلاثة؟[5].

ونظرا لدقة تساؤل الباحث ووضوح أجوبته احتفظ بعباراته تتميما للفائدة؛ ولذا قال في الجواب عن السؤال «إنه لمن المحال أن يكون هذا التصرف لغير حكمة أو لغير معنى مراد أو لغير مقتضى اقتضاه. إذن فما الذي اقتضى الحذف في هذه الآيات ياترى؟»[6].

أثنى الكاتب على علمائنا الذين أجابوا عن هذا التساؤل إجابة صائبة يوافق صوابها المقام والسياق الذي ورد فيه هذا الحذف[7]، فأشار إلى أن العلماء ذكروا في توجيه[8] هذا الحذف والسر في سقوط الألف بعد الهاء في هذه الحروف «إشارة إلى معنى الانتهاء إلىغاية ليس وراءها غاية في الفهم يمتد النداء إليها حيث لا يوجد في نهاية الكلمة مد»[9].

---

[1] ـ المرجع نفسه 675/2.
[2] ـ سورة النور، 31.
[3] ـ سورة الزخرف، 49.
[4] ـ سورة الرحمان، 31.
[5] ـ المرجع السابق ص: 279.
[6] ـ نفسه، ص: 279.
[7] ـ المرجع نفسه بشي من التصرف، ص: 280.
[8] ـ ذكر المؤلف مصطلح (توجيه) يدل على أن التوجيه شأن آخر عند علماء القراءات يذكر أوجه تعليل القراءات من حيث الرواية واللغة والإعراب أو الاختيار.
[9] ـ المرجع السابق، ص: 281.

وقد أجمل الباحث هذه المعاني اللطيفة لسر حذف الألف في هذه الحروف انطلاقا من سياقها كما حرر ذلك العالمان الجليلان ابن البناء والزركشي مشيرا إلى أنها «إجابة علمائنا الأقربين خدمة في كشف اللثام عن السر اللطيف وراء حذف الألف بعد الهاء من الصيغة الندائية الكثيرة الموروردة في القرآن (يـــايـــها)»[1].

وهنا قصد الباحث تعميم الفائدة بتوضيح هذه الآيات التي كتبت بهذه الصيغة ولتقريب معانيها اللطيفة إلى القارئ وذلك بفتح باب المزيد من الفهم وذلك بوضع عنوان: وهنا نقف لنحاول أن نلتمس أسرارا أخرى وراء هذا الحذف[2].

فشرع في استعراض هذه الحروف تباعا في سياقاتها في القرآن الكريم، ففي آية النور يقول في سياقها مبينا خطورة الموقف الداعي إلى الإسراع بالتوبة إلى الله والرجوع إليه، مشيرا إلى الآية التي وردت في سياق هام وخطير وفي مناسبة عصيبة في سياق آيات سورة النور وحادثة الإفك ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ **﴾[3].**

وخطورة موقف الإفك باتهام من برأها الله من فوق سبع سموات من التهمة يقتضي الموقف رجوع المومنين إلى الله جميعا وعدم الخوض في الأعراض، وهنا يلاحظ الباحث «النداء العاجل في نبرة السياق وخاصة بعد الحديث عن العفة (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا) وخاصة في سياق السورة الملتهبة بأخطر قضية "حادثة الإفك" التي

[1] ـ المرجع السابق، ص: 282
[2] ـ الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، الدكتور سامح القليني، ص: 670.
[3] ـ سورة النور، الآيتين: 30 - 31.

كانت نذيرا رهيبا بهدم المجتمع ويحتاج الأمر سرعة إرساء قواعد العفة والتوبة السريعة»[1].

ولاحظ الباحث أيضا سرعة التوبة في سياق تقديم التوبة على الخطاب (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ) ولم يقل سبحانه وتعالى (يا أيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله) التي تعطي ملمح البطء في التوبة أما تقديمها (وتوبوا) فهو الاعتناء بالتوبة والسرعة في طلبها فالأمر لا يحتمل تأجيل أو تهاون بعد ما حدث، وهنا يشير الباحث إلى لحظ (ملمح السرعة والأهمية في ملفت الالتفات أيضا وهو نداء للسرعة والقرب يناسبه حذف الألف)[2] كحاجز بين سرعة التوبة و (المومنون).

وعلة السرعة نفسها اعتمدها المؤلف في الحرفين: (أيه الساحر) (أيه الثقلان)، وبدون إطالة كما سبق فالثقلان الإنس والجن الذين لا ينبغي لهم أن يكذبوا بنعم الله كما تكرر ذلك في سورة الرحمان 32 مرة، هددهم الله بالانتقام منهم إذا استمروا في التكذيب بنعم الله وشركهم فهددهم بالتفرغ إليهم لا يشغله شاغل، وسرعة الانتقام يقتضي وصوله إلى «غاية ما بعده غاية»[3] في شأن التقليل والتهوين من أمر الإنس والجن عند الله وعظمة قدرته.

وهنا أشير إلى تعليل في الموضوع لباحث معاصر مهتم بموضوع رسم القرآن الكريم وإعجاز تلاوته جاعلا من رسم الكلمة القرآنية أمرا يدعو إلى التأمل فيما تحمله هذه الكلمات القرآنية في كتابتها من أسرار سواء عند الزيادة أو النقص في حروفها ذلك ما سيطلعنا عليه الدكتور محمد شملول من خلال شذرات من كتابه: **"**إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة **"**[4]، **وبهذا الصدد يشير المؤلف إلى أن « نقص المبنى أي نقص بعض حروف الكلمة عن أصل حروفها يمكن أن يدل على نقص زمن الحدث وبالتالي على**

[1] ـ الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، الدكتور سامح القليني، ص: 671.
[2] ـ المرجع نفسه، ص: 671.
[3] ـ المرجع نفسه، ص: 671.
[4] ـ إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، ط 3 القاهرة 2010.

سرعته أو عجلته»[1] وهذا ينطبق على ما تقدم عن هذه الحروف في حذف الألف في (أيه) والإعجاز في رسم القرآن لا ينحصر في صيغة الكتابة أي كتابة الكلمة بشكل يوحي بمعنى أو سر من أسرار القرآن الكريم بل ينطبق على زمن الأداء الصوتي وذلك «من ناحية الرسم القرآني فإن مضاعفة الزمن المبذول في كتابة الكلمة القرآنية أو نقص هذا الزمان حسب زيادة أو نقص الحروف عن أصول الكلمة يوحي بنفس ما يوحي إليه زيادة أو نقص زمان الصوت لأن إعجاز الكلمة القرآنية يتمثل في كتابتها وتلاوتها وبيانها»[2].

وأغلب الباحثين في الموضوع لم يتجاوز ـ إلا قليلا ـ حدود أقوال ابن البناء في استكناه مدلول رسم الكلمة بل البعض منهم احتفظ بعباراته كالإمام الزركشي في البرهان ومنهم مؤلف كتاب الإعجاز القرآني في الرسم العثماني[3] والذي أشار إلى قوله تعالى:﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ بقوله يدل على أنهم كل المومنين على العموم. « ونقص مبنى الكلمة هنا معناها أسرعوا إلى التوبة أيها المومنون وفي آية الزخرف (أيُّهَ) الساحر يقول «حكاية عن فرعون الذي قال في حق موسى: (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وتدل الصيغة على عظم علمه عندهم ليس فوقه أحد وهنا يتعجل فرعون من موسى أن يأتي بالآيات»[4].

وأقام الوصف مقام الموصوف في (الثقلان) عبارة كررها الجميع « فإنها تشمل جميع الصفات الباطنية والجبروتية، ولهذا يجب عليكم أيها الثقلان أن تكونوا حذرين فتشكروا نعم الله في بيان نعم الله عليكم وأن تحذروا نقم الله قبل أن تمسكم»[5].

ثم أشار إلى تعليل حذف الألف قصد سرعة الإيقاع بقوله «وما أسرع الوصول إليكم يا معشر الجن والإنس بالرغم من عظم ثقلكم فإن الله بجبروته وبقدرته التي ليس بعدها قدرة ـ فاشكروا الله على نعمه واحذروا غضبه ونقمته»[1].

---

[1] ـ المرجع السابق، ص:3.
[2] ـ المرجع السابق، ص:3.
[3] ـ الإعجاز القرآني في الرسم العثماني، تأليف عبد المنعم كامل شعير
[4] ـ الإعجاز القرآني في الرسم العثماني، ص: عبد المنعم كامل شعير، ص: 46.
[5] ـ المرجع نفسه، ص:46.

وهكذا لم يتعد علماؤنا الأجلاء، الذين حاولوا استجلاء المعاني، من خلال رسم الكلمات القرآنية عن الصواب في توضيح معاني القرآن الكريم، ولم يجانبوا الصواب في المعاني الدقيقة للقرآن الكريم، وهنا نقف إجلالا أمام جهود علمائنا في هذا الاتجاه كما سنولي وجهتنا نحو علم آخر من علوم القرآن في توجيه[2] قراءات هذه الحروف نظرا لحاجتنا إلى معرفة رأي العلماء في قراءتها.

يقول مكي بن أبي طالب القيسي رحمه الله: «قوله (أيه المومنون) قرأ ابن عامر (أيه المومنون) و (أيه الثقلان) و (أيه الساحر) بضم الهاء وقرأ الباقون بالفتح، وكلهم وقف بغير ألف إلا أبا عمرو والكسائي فإنهما وقفا بألفه»[3].

فانتقد الشيخ في هذا الصدد من يضم الهاء في الحروف الثلاثة من القراء السبعة وهو ابن عامر وحده يقرأ (أيُّهُ) وحكم على هذه القراءات بالضعف لأنها لغة غير مسموعة يقصد في كلام العرب فقرأ الباقون وهم الكثرة المطلقة بفتح الهاء (أيُّهَ) بغير ألف في الأخير ـ غير أبي عمرو البصري والكسائي فإنهما يقفان على الألف.

وبعد جمع الحجج لمن ضم الهاء أو وقف على الألف بعد الهاء انتهى إلى اختياره بقوله: « وحجة من فتح الهاء في الوصل أنه لما حذف الألف لالتقاء الساكنين أبقى الفتحة على حالها، تدل على الألف المحذوفة فالفتح هو الأصل وهو ما عليه الجماعة من فتح الهاء وحذف الألف في الوقف اتباعا للخط وهو الاختيار»[4].

والعلة هنا التي اعتمدها شيخ الموجهين والقراء هنا لكتابة الحروف بفتح الهاء وبدون ألف

ـ يقال الفتحة تدل على الألف المحذوفة إذ الفتح هو الأصل

---

[1] ـ نفسه، ص: 46.

[2] ـ توجيه القراءات علم خاص بالبحث في ذكر علل القراءات وذكر الأوجه أو الوجه الذي اعتمده القارئ فاختار هذه القراءة عن الأخرى ومن علماء هذا الفن: أبو علي الفارسي ومكي بن طالب القيسي وابن خالويه. مكي ابن أبي طالب القيسي مؤلف كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 437هـ كان معاصرا للإمام الداني وهما معا من علماء القراءات في الغرب الإسلامي.

[3] ـ الحجة، 136/2، تحقيق محيي الدين رمضان، ط 3، 1984.

[4] ـ المرجع السابق، 136/2.

ـ وكون الجماعة على هذا الفتح أي كثرة القراء

ـ وحذف الألف في الوقف ذلك إتباعا للخط أي ما كتب في مصحف عثمان لهذه الأسباب اختار مكي هذه القراءة وعبر عنه بعبارة (وهو الاختيار)[1] كعادته..

ومن الكلمات أو الحروف التي استرعت انتباه المشتغلين من العلماء باستكناه أسرار الرسم القرآني في بعض الحروف التي يخالف رسمها وكتابتها الرسم الإملائي العادي للهجاء العربي ومنها لفظ (الميعاد)؛ وردت كلمة الميعاد في القرآن خمس مرات بصورتها الإملائية ثابتة الألف (الميعاد) وهي على الترتيب المصحفي:

[1] ـ وأما الاختيار في عرف علماء توجيه القراءات والقراء عموما هو أن القارئ اختار قراءة بهذا الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به وقصد فيه وأخذ عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد.عن النشر في القراءات العشر لابن الجزري 52/1.

- ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[1]

- ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[2]

- ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾[3]

- ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[4]

- ﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾[5].

وكلمة الميعاد في هذه الآيات السابقة هو ميعاد الله الحق أضيف إليه تعالى، وجاء واضحا ثابتا لاشك فيه لا يتغير موعده، غير أن هذه الكلمة نفسها وردت مرة واحدة في القرآن الكريم بالحذف أي بدون ألف ثابتة (المعيـــد) وذلك حين نسب هذا الميعاد إلى البشر[6] حيث قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَـــــدِ﴾[7].

والجدير بالذكر أن العلماء أولوا أهمية لهذه الظاهرة، ظاهرة رسم القرآن الكريم حيث تختلف بعض الكلمات القرآنية عن مثيلتها في الحروف والصورة في كتابتها ولم تكون هذه المخالفة من باب الصدفة كما لاحظنا في كلمة (الميعاد) في كتابتها بالألف الثابتة عندما يتعلق موضوعها بميعاد الله الذي لا يتبدل ولا يتغير، وكتابتها بالحذف حين تعلق أمرها بميعاد البشر الذي ه معرض للتبديل والتغير وعدم الوفاء نظرا لبشريته ولذا فإن « وجود كلمة قرآنية برسم متلف في آية يلفت إلى أن هناك أمرا عظيما يجب تدبره»[8].

ولهذا أشار مؤلف إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب إتباعه في رسم القرآن[9] إلى الكلمة نفسها في إطار القائلين أن رسم القرآن توقيفي فقال: «ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وه الذي أمرهم أن

---

[1] - سورة آل عمران، الآية: 9.
[2] - سورة آل عمران، الآية: 194.
[3] - سورة سبأ، الآية: 30.
[4] - سورة الرعد، الآية: 31.
[5] - سورة الزمر، الآية:20.
[6] - إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، ص: 85
[7] - سورة الأنفال، الآية:42.
[8] - إعجاز رسم القرآن، ص: 22.
[9] - إرشاد الحيران إلى ما يجب اتباعه في رسم القرآن، الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد.

يكتبوه على الهيئة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من أسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية»[1].

وضرب المثل بالكثير من الكلمات القرآنية التي كتبت بطريقة مختلفة عن مثيلاتها فتساءل « كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من (قرءنـــا) يوسف 3 والزخرف 4 وإثباته في سائر المواضع وإثبات الألف بعد واو (سموات) في فصلت 12 حذفت من غيرها، وإثبات الألف في الميعاد مطلقا وحذفه من الموضع الذي في الأنفال 9 وعلى سبيل الاختصار اكتفيت بهذه وحدها وأضاف كيف تتوصل أي العقول إلى وجه فتح بعض التاءات وربط بعضها الآخر ببعض السور من نفس الكلمات مثل (رحمت) و (رحمة) و(نعمت) و (نعمة) «فكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أول السور فإن لها أسرارا عظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ولا يدركون شيئا من المعاني الإلهية التي أشير إليها فكذلك أمر الرسم القرآني الذي في القرآن حرفا بحرف»[2]

هذا موقف القائلين بأن رسم القرآن توقيفي، وفي ذلك يقول الخراز:

والحذف في الأنفال في الميعد +++ وعن أبي داوود في الاشهاد

وقال الشارح: أخبر مع الإطلاق الذي يشير به إلى اتفاق شيوخ النقل بحذف ألف الميعاد الواقع في الأنفال وهو: ﴿ **وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَـــدِ** ﴾ واحترز بقوله في الأنفال عن الميعاد الواقع في غيرها فإن ألفه ثابتة نحو: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾ في الرعد والزمر وآل عمران، والفرق مابين ما في الأنفال وفي غيره أن ما في الأنفال ميعاد من المخلوق وهو قد يتخلف فناسبه الحذف بخلاف ميعاد الخالق. وهو من الذين تتبعوا معجزة الرسم القرآني الذي لا يعرفه إلا من وفقه الله إلى إدراك سره في ذلك، أما الشيخ المراغني فيرى في كتابه دليل الحيران أن الحذف الواقع في المصاحف إما حذف إشارة أو حذف اختصار أو حذف اقتصار[3] ، وحذف الاقتصار هو ما اختص بكلمة أو بكلمات دون نظائرها (كالميعـــــد) في الأنفال[4]؛ وبقيت حروف من القرآن الكريم مالفة للإملاء العادي وقدم علماؤنا الأجلاء تعليلات في رسمها محاولين تفسير معناها

---

[1] ـ المرجع نفسه، وقد اعتمد الكاتب على ما نقله عن كتاب (الذهب الإبريز) لأحمد بن المبارك والذي نقله عن شيخه عبد العزيز الدباغ رحم الله الجميع.

[2] ـ إرشاد الحيران، محمد بن علي بن خلف الحسيني، ص: 65.

[3] ـ دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط، وو عبارة عن شرح منظومة الخراز المعروفة مورد الظمآن في فني الرسم والضبط وناظمها سيدي محمد بن محمد الشريشي أندلسي أصلا الفاسي دارا الشهير بالخراز، ودليل الحيران عبارة عن شرح المنظومة وهو عمل الفقيه المراغني التونسي.

[4] ـ دليل الحيران، ص:27.

حسب مبناها، ضمن هذا البحث اعتمادا على ما أودعه الله في أفئدتهم من معرفة باطنية يستجلون بها الأسرار المكنونة في كتابة تلك الحروف التي تخالف في رسمها وكتابتها الإملاء العادي للكلمة العربية في القرآن الكريم وهو ما اصطلح عليه بالرسم الاصطلاحي أو الرسم العثماني نسبة إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أمر بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد ونسخ نسخا منه بعثت إلى الأمصار، وبقيت الكلمة القرآنية في هذه المصاحف التي حررتها لجنة عثمان المكونة من صحابة رسول الله محفوظة كما كتبت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وستبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

غير أن بعض الباحثين على قلتهم ينظرون إلى عمل العلماء الذين فتح الله عليهم في شرح تلك الكلمات المخالفة والتعبير عن الأسرار الربانية في كتابتها يرون أنها مبالغة في ذلك ومغالون في التكلف ونفتح نافذة للإطلالة على هذا الجانب.

التيار الرافض لتعليل الرسم القرآني الاصطلاحي:

ظهر جيل جديد من الباحثين متأثرين بآراء المستشرقين حول الرسم القرآني والدراسات اللغوية الحديثة كالبنيوية والسيميائية، فعن لهم إسقاطها على النص القرآني الكريم بعدما خلعوا عباءة العالم المسلم الذي ينظر إلى النص القرآني نظرة تقديس بعدم المساس بما كتبه الصحابة رضوان الله عليهم في حضرة الذي أنزل عليه القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم، والعالم المسلم الذي اكتسب الملكة المعرفية من القرآن نفسه فعالج قضايا الرسم القرآني المتجلي في ألفاظه ومعانيه وهذا الجيل الجديد كما أسلفت وجد ضالته عند بعض الأقدمين الذين يرجعون رسم القرآن الكريم إلى أمور ووجها بدحض زعمهم في حينه.

ومن هؤلاء المعاصرين الدكتور أحمد البايبى[1] فالكاتب بذل مجهودا يشكرا عليه حول القراءات القرآنية ومنها نستنشق وصفه المشتغلين بهذا التفسير الذوقي أو

[1] ـ وكتابه القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، الطبعة الأولى 2012، دار عالم الكتب الحديثة، إربد الأردن.

الصوفي ـ كما أطلق عليهم بالمتكلين ـ وهذا ما سنراه حول كتابة قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاَ اْ ذْبَحَنَّهُ ﴾1.

وكما يقال بالمثال يتضح المقال وذلك بالوقوف على تعليل أبي العباس المراكشي بألف الزائدة في هذا الحرف فالضرب الذي تزاد فيه الألف في أول الكلمة « هذا ويكون باعتبار معنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل (أولا اذبحنه) زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المقدم عليه لفظا فالذبح أشد من العذاب»2.

ولم يضف الإمام الزركشي في البرهان شيئا على تعليل ابن البناء للحرف والذي علل زيادة الألف في (لا اذبحنه) في كون الال لفظا أشد من المتقدم، زيدت تنبيها على أن المتأخر أشد، مثل هذا التفسير لا يروق للسيد أحمد البايبى لأن أصحاب الاتجاه يجدهم أحيانا مغالين في التناقضات ومبالغين في التكلف ويقول تحت عنوان صغير: الطبيعة الأصواتية لقواعد الكتابة القرآنية الظاهرة التطريزية مشيرا إلى أن دارسي القرآن اتبعوا في دراسة رسمه « طرقا مختلفة في تعليل ظواهره ـ أي الرسم القرآني ـ فمنهم من عللها بمعطيات صوفية ذوقية ومنهم من عللها بحسب ما كانت عليه الكتابة في عصر تدوين القرآن وهو ما يعود في بعض جوانبه إلى الأصول النبطية للخط العربي ومنهم من أرجع وضعية الخط القرآني إلى ضعف مستوى الكتاب من الصحابة رضي الله عنهم وعدم براعتهم في الخط فجاء رسم المصحف مضطربا ومنهم صنف رابع اشتغل بالأداء القرآني وقدم تعليلات أصواتية لظواهر الرسم القرآني»3.

وقبل أن ننتقل إلى تفصيل الكاتب في الموضوع نلاحظ من خلال هذا التمهيد أن الكاتب تجرد من القدسية التي يغلف بها الدارسون حديثهم حول القرآن الكريم، أو كأنه أملاه من محبرة (تاريخ القرآن) للمستشرق (نولدكة)4 وغيره من الذين ينظرون إلى

---

[1] ـ سورة النمل، الآية: 21.

[2] ـ عنوان الدليل في مرسوم التنزيل، أبو العباس أحمد ابن البناء، ص:56.

[3] ـ القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، أحمد البايبى، 198/1

[4] ـ القراءات القرآنية والرسم العثماني في كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني (نولدكة) عرض ونقد ، تأليف الدكتور مالك حسين شعبان حسن، الطبعة 1 ، الدار الاثرية للطباعة والنشر 2014.

القرآن ورسمه نظرة أخرى غير التي ينظر بها المسلمون إلى كتابهم العزيز وفيما يلي تفاصيل الدكتور البايبى:

أشار الكاتب في بداية هذا التفصيل إلى الرائد الأول أبو العباس المراكشي الذي أسس هذا الاتجاه المتعلق بتعليل ظاهرة الرسم القرآني في إطار مخالفة بعض الأحرف في كتابتها للكتابة القياسية في اللغة العربية والذي ألف في هذا الشأن كتابه "عنوان الدليل في مرسوم التنزيل" والذي أشرنا إليه مرارا، هذا الكتاب الذي يعد مرجعا في العالم الإسلامي في ميدان تعليل ظاهرة الرسم القرآني واعتبر الكاتب أصحاب هذا الاتجاه من الصنف الرابع الذي « قدم تعليلات أصواتية لظواهر الرسم القرآني وفيما يلي تفصيل ذلك: لقد دشن المسلك الصوتي الذوقي ابن البناء المراكشي وتبعه الزركشي والسيوطي وابن المبارك السجلماسي ويرى هذا الفريق أن ثمة أسرارا وحكما خفية وراء مخالفة الرسم القرآني للرسم الحديث (ويطلق عليه أيضا الرسم القياسي) والنحوي»[1].

ونقل فقرة لابن البناء المراكشي من مقدمة عنوان الدليل: «لما كان خط المصحف الذي هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام ولا يعدو رسومه ولا يتجاوز مرسومه قد خالف خط الأنام في كثير من الحروف والأعلام ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق بحثت عن وجوه ذلك بمقتضى الميزان وأوفى الرجحان ووقفت منه على عجائب ورأيت منه غرائب» ونقل الكاتب قولا لابن المبارك السجلماسي عن شيخه عبد العزيز الدباغ مفاده أن هذه الأسرار إشراقة ربانية « ومن فتح الله عليه ونظر في أشكال الرسم التي في ألواح القرآن ثم نظر في أشكال الكتابة التي في اللوح المحفوظ وجد بينهما تشابها وعاين زيادة الألف في اللوح المحفوظ في

[1] ـ القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، 198/1.

كفروا أو آمنوا»[1] وغير ذلك مما سبق، وعلم أسرارا في ذلك كله وعلم أن تلك الأسرار من وراء العقول[2].

غير أن الكاتب ذكر أنه لم يكن ليلتفت إلى هذه التعليلات الصوفية لولا ما كتبه الزركشي والسيوطي « وما كنا لنلتفت لتعليلات صوفية بعيدة عن مقدمات الخطاب العلمي لولا صداها القوي في ما كتبه علماء من عيار الزركشي والسيوطي»[3] ثم نقل كلاما للزركشي رحمه الله بقوله: « وفي هذا الصدد يقول الأول واعلم أن الخط جرى على وجوه فيما زيد عليه على اللفظ ومنها ما نقص ومنها ما كتب على لفظه وذلك لحكم خفية وأسرار بهية تصدى له أبو العباس المراكشي وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها»[4].

فالكاتب لم يكن ليلتفت إلى هذه الأفكار لولا تبنيها من طرف الزركشي والسيوطي مع العلم أن الزركشي ينقل حرفيا عن ابن البناء كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، وذكر في الأخير أن أصحاب هذا التيار اجتهدوا في الكشف عن هذه الأسرار الخفية من غيرهم، وبعد ذكر بعض الأفعال التي حذفت الواو من آخرها بدو مسوغ صرفي أو نحوي في القرآن الكريم من مثل (سندع الزبانية)[5]، حيث كتبوا عن السر في ذلك وقالوا إنها سقطت من أجل سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش، وبعد الإشارة إلى هذه الأفعال ذكر أن هذا الحديث «لا يخلو من طرافة وتكلف ملحوظ في تلمس أسرار الزيادة والنقصان ويزيد الأمر غرابة أنهم استقصوا ل مواطن تميز الرسم القرآني على الرسم القياسي وحاولوا أن يجدوا لكل ظاهرة تفسيرا مما أوقعهم أحيانا في التناقض»[6]

فقد أصدر الكاتب هذا الحكم على جهود هذا الفريق من العلماء الذين أفنوا حياتهم في خدمة القرآن واجتهدوا فإن وفقهم الله وأصابوا فلهم أجران وإن كانت الأخرى

---

[1] ـ التطريز ، ص: 199، نقلا عن عنوان الدليل، لابن البناء، ص: 30

[2] ـ الابريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، ابن المبارك، ص:104.

[3] ـ التطريز، أحمد البابي 199/1.

[4] ـ نفسه ص 195، نقلا عن الزركشي في البرهان.

[5] ـ سورة العلق، الآية:18.

[6] ـ التطريز، أحمد البابي، 200/1.

فيكفيهم أجر الاجتهاد شأنهم شأن الكثيرين، نعم استقصوا جميع الكلمات التي يخالف رسمها وكتابتها الرسم القياسي في القرآن فوجدوا لكل ظاهرة تفسيرا بشهادة نظرائهم من أهل العلم المعتدلين الذين لا يسعون إلى الشهرة بهدم قديم قر الناس إلى فهم القرآن الكريم وبناء جديد متعسف لا يفهمه المشتغلون به أنفسهم، فكيف بغيرهم من غير المتخصصين من عامة الناس فالقرآن الكريم أول علم اشتغل به المسلمون حفظا وكتابة وأداء فكانت الوسائل التي ساعدتهم على الإتقان والفهم والإفهام وسائل مستقاة من البيئة والمحيط الذي نزل فيه القرآن الكريم منها:

ـ صحة الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من كلام الله عز وجل حفظا ونطقا وكتابة.

ـ الاستعانة في الفهم والتدبر بكلام العرب شعرهم ونثرهم من مختلف القبائل لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم ولهذا شرعت الأحرف السبعة واشتملت لغة القرآن على الفصيح والأفصح من مختلف اللهجات وكانت النتيجة استنباط علوم من القرآن لفهم القرآن من قراءات ونحو وصرف وتوجيه وبلاغة وتفسير فتضافرت هذه العلوم كلها التي نبعت من معين القرآن من أجل فهم القرآن، وكان القرآن الكريم أنزل ليفهم ويتدبر وليُبَيّن وقد كانت مهمة هذا التبيين وكلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أسندت مهمة التبيين القرآني إلى العلماء وهذه إشارة متواضعة إلى وجوب خدمة القرآن بعلوم القرآن وعدم الاستهزاء بتراث الأمة وإرثها الحضاري والثقافي في مجال القرآن.

وإذا رجعنا إلى الكاتب أحمد البايبى الذي أشار إلى أن هناك من يشاطره الرأي في الرؤيا السلبية إلى بعض آثار القدماء في تعليل الرسم القرآني وذكر منهم: غانم قدوري[2] الذي قال فيه الكاتب: وهذا الرأي الأصواتي انتصر إليه من المحدثين غانم

[1] ـ سورة النحل، الآية: 44.

[2] ـ غانم قدوري الحمد مؤلف كتاب: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ط 2، دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن، 2009.

قدوري الحمد وزيد عمر مصطفى وحسام النعيمي ونعتبر عملنا هذا امتدادا وتطويرا له حيث ننتصر إلى التفسير الأصواتي في قضايا الرسم العثماني إلا ما استثني فعاد في الراجح إلى الأصل النبطي التي احتوى جوانب من التعاقد لا تنضبط صوره للأصل الأصواتي.

من هذه العبارات الواردة في المقطع السابق يبدو أن الباحث يرجع ظاهرة اختلاف الرسم القرآني في بعض الحروف للرسم القياسي إلى عدم معرفة الصحابة بالخط فأبقوا بعض الكلمات على أصلها النبطي تبعا لمن يرجعون اختلاف الرسم القرآني عن القياسي إلى جهل الصحابة بالكتابة والهجاء العربي زمن كتابة المصاحف العثمانية، وهذه المسألة حسم فيها المحققون من العلماء والمنصفون من المتخصصين بأن هذا الاختلاف لا يرجع إلى جهل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء العربي وإنما ذلك راجع إلى أمور وأسرار يعرفها من فتح الله عليه وهداه إلى المكنون من الأسرار الإلهية في هذه الحروف كما سبقت الإشارة إلى ذلك وكما ستأتي مرة أخرى بحول الله تعالى، ولولا المخافة من أن يخرج هذا البحث عن موضوعه الأصلي لقمت بجولات مع الكاتب حول بعض المواقف من حروف بعينها ولكن لكل امرئ ما نوى.

نعم أشار الكاتب إلى أن بعض الباحثين انتصروا لمذهبه وذكر أسماء منهم غانم قدوري وهذا الرجل الذي الرجل الذي أسدى خيرا للمكتبة العربية لاسيما ما يتعلق بالدراسات القرآنية، يظهر ذلك جليا في مؤلفه القيم "رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية" بدل فيه الباحث مجهودا يشكر لخدمة القرآن الكريم جزاه الله عن القرآن والإسلام خيرا.

غير أن هناك ما يجمع مؤلف التطريز الدكتور أحمد البايبى والدكتور غانم قدوري في الإشارة إلى أنه انتصر إلى موقفه من علماء تعليل الرسم القرآني ومع ذلك فكتاب الأستاذ غانم قدوري غني في معناه ومبناه ينم عن جهد عالم محيط بمجال بحثه القيم وله الحق أن يؤيد أو يعارض اتجاها معينا بناء على قناعاته و ميولاته أو ما يراه

مبررا لتعليل ظاهرة اختلاف بعض الحروف في الرسم القرآني عن الرسم القياسي أو يقف موقفا يشبه موقف ابن خلدون أو الباقلاني ولكن غيرة الباحث قدوري على القرآن الكريم برزت في كتابه المشار إليه في أبوابه وفصوله لا سيما في تعليقه في هامش الصفحة 176 ـ 177 على ماكتب حول الرسم القرآني في القرن الماضي مما ورد في كتاب الفرقان لابن الخطيب محمد بن محمد عبد اللطيف الصادر سنة 1948 من دار الكتب المصرية، ونتابع مع الكاتب تعليقه على هذا الكتاب الذي صادره الأزهر سنة 1948 ومما جاء في الكتاب بين إجماع الرسم إلى جهل الصحابة بالكتابة «لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة عاجزين في الإملاء لأميتهم وبداوتهم وبعدهم عن العلوم والفنون كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع غير محكمة الصنع وجاءت الكتابة الأولى مزيجة من أخطاء فاحشة ومناقشات متباينة في الهجاء والرسم» ونقل عنه أيضا قوله«وفضلا عن هذا فإن فيه تناقضا غريبا وتنافرا معيبا لا يمكن ولا يستطاع تأويله» وعلق الدكتور غانيم على هذا الكلام السخيف بقوله:«وقد أبدى الكاتب جهلا مطبقا بالرسم وبالقراءات وقال كلاما تأنف أسماع الجهلة قبل العلماء عن سماعه، وقد أصدر شيخ الأزهر آنئذ قرارا يتألف من لجنة من علماء الأزهر فبحث ما جاء في الكتاب من أباطيل ... فصودر الكتاب»[1].

غير أن ما شجع الدكتور البايبي إلى زعم أن الدكتور غانيم في صفه والمنتصرين لرايه في موقف التعليل الصوفي الذي وصف به البايبي عمل ابن البناء وغيره من العلماء كما في قوله: « ورغم الصور المنطقية التي يعرض فيها المراكشي مذهبه فإن هذا الاتجاه بعيد كل البعد عن طبيعة الموضوع فلم يَدُر في خلد الصحابة رضوان الله عليهم شيء من تلك المعاني التي يحاول أبو العباس المراكشي أن يعلل بها رسم الكلمات في المصحف في صورة فلسفية باطنية فقد كانوا مشغولين بمعاني القرآن الناصعة وآياته المحكمة عن تلك المعاني الفلسفية الباطنية الغامضة البعيدة عن روح

[1] ـ رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، الدكتور غانيم قدوري، ص: 176-177. ط 2 الأردن 2003.

الوضوح واليسر والتي يحتاج فهمها إلى لون معين من الثقافة»[1]. وقد اضطررت للإتيان بهذه الفقرة على طولها من أجل عدم بتر الفكرة لتبيان موقف الكاتب من التعليل الباطني للرسم القرآني هذا النهج الذي يعتبر ابن البناء رائده الأول كما صرح بذلك الكاتب بقوله: « وقد مرت قرون طويلة على كتابة القرآن دون أن ينقل أحد شيئا من تلك المعاني حتى جاء أبو العباس المراكشي فكشف عنها بتأمل ذاتي باطني فلسفي غامض متكلف بعيد عن طبيعة الكتابة التي هي وسيلة لتخليد الألفاظ الدالة على المعاني دون ان يكون لكتابة ـ أصلا ـ دور في تحديد المعنى أو تفصيله أو الإيحاء بمعاني دقيقة عن طريق التصرف في هجاء الكلمات وتحويره »[2] .

فرغ اعتراف الكاتب بريادة ابن البناء رحمه الله في هذا الباب، غير أنه لم يستسغ هذا النهج فصار يصفه بالبعد عن المنطق، مع أن جمهورا من علماء الإسلام أشادوا بجهود ابن البناء في هذا الباب، الذي لم يشهد له منطق الاجتهاد حين نقف على جميع الحالات التي دونها ابن البناء في كتابه "عنوان الدليل في مرسوم التنزيل" إلا أن يكون هناك ما سبق إلى ذكره ابن حزم بكونه شمسا في جو العلوم، غير أن مطلعه الغرب[3] وأنأى بالكاتب الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بعلمه وأدبه أن يقع في مزلق الشرق والغرب.

وكما لهذا التعليل الباطني للرسم القرآني معارضون فله مؤيدو أيضا من مختلف الأعصر والأزمنة.

التيار المؤيد لتعليل الرسم القرآني غير القياسي أو التوفيقي

هنا لابد من الإشارة إلى أن العلماء والباحثين الذين اتبعوا نهج أبي العباس المراكشي في تعليل الرسم القرآني من مبدأ تغيير رسم الكلمة ومخالفتها للرسم القياسي يوذن بتغيير جوهري في المعنى كما لاحظنا في الحالات والحروف موضوع البحث، أما مبدأ

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص:177.

[2] ـ رسم المصحف، غانيم قدوري، ص: 192.

[3] ـ مطلع قصيدة ابن حزم في الموضوع: أنا ذا الشمس في جو العلوم منيرة +++ لكن عيبي أن مطلعي الغربُ
ولو أنني من جانب الشرق طالع +++ فيما ضاع من ذكرى النهبُ

المحافظة على الرسم القرآني المثبت في مصاحف سيدنا عثمان فلا جدال في الإيمان الراسخ في المحافظة عليه لأسباب نذكرها فيما بعد بحول الله، فمن القدماء الذين استحسنوا صنع الشيخ أبي العباس المراكشي المعروف بابن البناء، الغمام الزركشي (ت794ه) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" والغمام السيوطي (ت911ه) في كتابه " الإتقان في علوم القرآن " والإمام القسطلاني (ت923ه) في كتابه "لطائف الإشارات" والدمياطي (ت1117ه) في كتابه " إتحاف فضلاء البشر"[1].

ومما قال الإمام الزركشي رحمه الله في كتابه البرهان تحت عنوان: "مرسوم الخط" ما نصه «ولما كان خط المصحف هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام ولا يعدو رسومه ولا يتجاوز مرسومه قد خالف خط الإمام في كثير من الحروف والأعلام ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق وجب الاعتناء به والوقوف على سببه»2. ونظرا لتأثر الإمام الزركشي بابن البناء احتفظ بهذا المدخل الذي نقله حرفيا من كتاب: " عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" لابن البناء3.

ولا غرو في ذلك فقد عاصره وعاشا معا في القرن الثامن الهجري، توفي أبو العباس سنة 721ه وتوفي الزركشي سنة 794ه فالمدة الزمانية التي تفصل بين وفاتيهما رحمهما الله كفيلة بأن يصل صيت ابن البناء إلى علم الزركشي في الميدان لاسيما وأنهما معا مهتمان بعلوم القرآن رغم تباعد الديار.

وبعد مقدمة تحت عنوان: "مرسوم الخط" أخذ الكاتب في التذكير بأقوال العلماء الكبار في الحفاظ على الرسم القرآني كالإمام مالك والإمام أحمد رحمهما الله وغيرهما كالفراء أبي زكرياء رضي الله عن الجميع.

---

[1] - رسم القرآن دراسة لغوية تاريخية، غانيم قدوري، ص: 153.
[2] - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص:11، ط 1 ، 1990
[3] - ص: 30.

ولما أراد الإمام أن يبدأ بتعليل بعض الظواهر في الرسم القرآن المخالفة للرسم القياسي مهد لذلك بذكر صاحب السبق في هذا المضمار وذلك بقوله «واعلم أن الخط جرى على وجوه: منها ما زيد فيه على اللفظ ومنها ما نقص ومنها ما كتب على لفظه وذلك لحكم خفية وأسرار بهية تصدى لها أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء في كتابه "عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل" وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها، ومنها التنبيه على العوالم: الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات، والخط إنما يرسم على الأمر الحقيقي لا على الوهمي»[1].

وعرض الكاتب جميع الحالات التي نشأ حولها الكلام في الرسم القرآني بالزيادة أو النقص أو الإثبات ويحيل الكلام غالبا على ابن البناء محتفظا بمصطلحاته كما في قوله: الزائد الثالث الياء: زيدت علامة لاختصاص ملكوتي باطن[2] وذلك في تسعة مواضع كما قال في المقنع[3]:

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ **(آل عمران 144)** ؛﴿ من نبإي المرسلين﴾ **(الأنعام 34)** ؛ ﴿ من تلقاءى نفسي ﴾ (يونس15) ؛ ﴿ وايتاءى ذي القربى ﴾ (النحل 90) ؛﴿ ومن ءاناءي اليل ﴾ (طه 130) ؛ ﴿افإين متَّ ﴾ (الأنبياء 24) ؛ ﴿ أو من وراءى حجاب ﴾(الشورى 51) ؛ ﴿ و السماء بنيناها بِأَييد ﴾ (الذاريات 47) ؛ ﴿ بأييكم المفتون ﴾ (القلم 6).

ولما أراد الشيخ أن يبدأ الكلام على هذه الحروف وتعليل زيادة الياء في كتابتها كما وجدت في المصحف العثماني قال: قال أبو العباس المراكشي أنما كتبت (بأييد) في الداريات بيائين فرقا بين (الأيد) الذي هو القوة وبين الأيدي (جمع يد) ولا شك أن

[1] ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص: 15-16.
[2] ـ البرهان ، الزركشي ، (م ـ س)
[3] ـ المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار لإمام الداني ت 444 هـ

القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتي في الوجود[1].

ومن منهج الزركشي في البرهان اتضح جليا أنه لم يخالف سلفه ابن البناء في تعليل مظاهر الرسم المخالف للقياس بل تبنى الفكرة واقتفى أثر ابن البناء كغيره من العلماء الذين جاؤوا بعده كالإمام السيوطي الذي ألف عدة مؤلفات منها "الإتقان في علوم القرآن" سلك فيه مسلك صاحب البرهان حتى قيل ما الإتقان إلا تلخيص للبرهان ورغم ذلك فالكل اجتهد وأصاب وقرب المادة إلى الأذهان، ففي كتاب الإتقان تعرض الإمام السيوطي في النوع السادس والسبعون في مرسوم الخط وآداب كتابته فقال: أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم أبو عمرو الداني وألف في توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشي كتابا سماه (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) بين فيه أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلا أحوال معاني كلماتها. وسأشير هنا إلى مقاصد ذلك إن شاء الله[2].

ومن القدماء الذين تحدثوا عن الرسم القرآني وتعليله بالإشارة إلى ابن البناء المراكشي الإمام شهاب الدين القسطلاني في كتابه (لطائف الإشارات إلى فنون القراءات) وتحت عنوان: مرسوم الخط (فهو أحد أركان القرآن الثلاثة عليها مدارها)[3] أشار في البداية إلى قول مالك في الحفاظ على الرسم القرآني ودور العز بن عبد السلام وابن حنبل، ثم أشار إلى تاريخ الكتابة العربية وفي كلامه وما يستدل به من نقول أن العرب عرفوا القراءة والكتابة وأن قريشا تعلموا من أهل الأنبار، واهتدى إلى أن الخط (هو تصوير اللفظ بحروف هجائه)[4].

ثم أشار إلى تعريف الرسم الذي قال عنه إنه « ينقسم إلى قسمين: قياسي: وهو موافقة الخط للفظ، واصطلاحي: وهو مخالفته ببدل أو زيادة أو حذف أو فصل أو وصل

---

[1] ـ البرهان، الزركشي، 20/2.
[2] ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 676/2.
[3] ـ لطائف الإشارة لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، ص: 283 القاهرة 1972.
[4] ـ نفسه، ص:284.

للدلالة على ذلك الحرف أو أصله أو فرعه أو رفع لبس أو نحو ذلك من الحكم والمناسبات»[1].

ولم يلبث الشيخ أن أشار إلى ظاهرة مخالفة الرسم القرآني في بعض الحالات لقواعد العربية وأشار إلى محاولة ابن البناء في معرفة هذا السر، وذلك بقوله: «وأكثر رسم المصاحف موافق لقواعد العربية إلا أنه قد خرجت أشياء عنها يجب علينا إتباع مرسومها والوقوف على رسومها فمنها ما عرف حكمه ومنها ما غاب عنا علمه ولم ذلك من الصحابة كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق ولأبي العباس ابن البناء كتاب عنوانه (الدليل من مرسوم خط التنزيل) »[2].

وقد حافظ الشيخ على موقف ابن البناء في لفظه ومعناه بأن هذه المخالفة لم تات من الصحابة صدفة (كما اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق) وأشار إلى محاولة ابن البناء كما قال: «مفتاح لتدبر ما غاب عن كثير علمه وخفي رسمه»[3].

يعني القرآن الكريم وطريقة كتابة بعض حروفه التي لا يعرف الحكمة من ذلك إلا من وفقه الله لتلك الغاية والمراد، وقد حافظ الشيخ على مصطلح ابن البناء عندما بدأ بأحوال الهمزة «وحروف المد واللين مناسبة لأحوال الوجود»[4].

وكذلك فعل في الفقرات المتتالية في الصفحة 286 محتفظا بعبارات ابن البناء ومصطلحاته الفلسفية في الموضوع، بالوجود، والملكوت، والجبروت، والإدراك، والباطن، كما في قوله: « فالألف يدل على قسم الوجود والواو على قسم الملك منه لأنه أظهر للإدراك والياء على قسم الملكوت منه لأنه أبطن في الإدراك فإذا بطنت حروف في الخط ولم تكتب فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك وإذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك»[5].

---

[1] ـ نفسه، ص:284.
[2] ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عبد الصبور شاهين وعامر السيد عثمان، ص: 285، القاهرة 1972.
[3] ـ نفسه، ص: 285.
[4] ـ نفسه، ص: 285.
[5] ـ نفسه، ص: 286.

وهذه الفقرة مثبتة في الصفحة 34 من عنوان الدليل، نشير إليها للأمانة العلمية وإلا فللشيخ أن يتأثر بابن البناء وغيره من العلماء وأن يختار من العبارات ما يؤدي به المعاني التي في نفسه وضر مثلا لزيادة الألف بالحرف (لا أ ذبحنه) النمل 31 (ولاوضعوا) التوبة 47 معللا زيادة الألف فيهما بقوله: «فإن زيدت الألف في أول الكلمة لمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل (لا أ ذبحنه) و (ولا وضعوا خللكم) زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المتقدم عليه لفظا، فالذبح أشد من العذاب، والايضاع أشد إفسادا من شدة الخبال»[1].

وتكلم في الفقرات المتتالية على الحروف القرآنية التي وردت مكتوبة بالرسم العثماني في الاصطلاحي بطريقه كموجه لغوي أكثر منه معللا بالمعنى كما في قوله: «وكتبوا في كل المصاحف بعد ميم (مائة) ألفاً كيف جاءت موحدة ومثناة وواقعة موقع الجمع للفرق بينه وبين (منه) نحو﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِاْئَتَيْنِ﴾[2]»[3].

ورحم الله الشيخ القسطلاني الذي أبان عن تمكنه من علوم القرآن ورسمه وعلل رسمه وكتابته؛ وسنقف هنيهة عند عالم مهتم بالقرآن وبرسمه وتعليله ذلكم هو العلامة الشيخ أحمد بن محمد البناء المعروف بالدمياطي وكتابه: "إتحاف فضلاء في القراءات الأربعة عشر الموصوف منتهى الآماني والمسرات في علوم القراءات والإتحاف كما هو معروف عند أهل الفن" كتاب لا يستغني عنه الباحث في القرآن وعلومه ورسمه.

قال المؤلف رحمه الله في البداية معرفا بالخط والهجاء: « ثم إن الخط تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها ولذا حذفوا صورة التنوين وأثبتوا صورة همزة الوصل»[4]. و«الهجاء هو التلفظ بأسماء الحروف لا مسمياتها

---

[1] ـ لطائف الإشارات، القسطلاني، ص: 287.
[2] ـ سورة الأنفال،الآية: 20.
[3] ـ لطائف الإشارات، القسطلاني، ص: 287.
[4] ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد البناء الدمياطي، تحقيق الدكتور محمد إسماعيل، 72/1، الطبعة الأولى القاهرة.

لبيان مفرداتها وجاء الرسم على المسمى»[1].والرسم عنده قسمان: قياسي: وهو موافقة الخط للفظ، واصطلاحي هو مخالفته ببدل أو زيادة[2] والشيخ مقتف أثر الشيخ القسطلاني في هذا التعريف..

وأشار إلى أن «موافقة المصاحف تكون تحقيقا كقراءة (ملك يوم الدين) بالقصر يعني بدون ألف وتقديرا كقراءة المد وهذا الاختلاف اختلاف تغاير وهو في حكم الموافقة لا اختلاف ذو تناقض»[3].

ولما علق الشيخ على رسم المصاحف لم أجد في كلامه جديدا عما قدمه سلفه القسطلاني في كتابه (لطائف الإشارات) «وأكثر رسم المصاحف موافق لقواعد العربية إلا أنه قد خرجت أشياء عنها يجب علينا إتباع مرسومها فمنها ما عرف حكمه ومنها ما غاب عنا علمه ولم يكن ذلك من الصحابة كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق»[4].

العبارات نفسها ساقها القسطلاني وقبله ابن البناء وانبرى الشيخ بذكر حالات الحروف المحذوفة وفي الفصل والوصل إلى غير ذلك.

ومن الباحثين المعاصرين الذين أفادوا كثيرا الراغبين في المزيد من علوم القرآن وتقريبها إلى المشتغلين بها العلامة الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن" ففي حديثه عن رسم المصحف الذي «يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابته كلمات القرآن في حروفه»[5].

لقد أنار الشيخ الطريق أمام القارئ بفقرة مفيدة ومختصرة لما سيأتي من تفصيل وذلك بقوله: «والأصل في المكتوب أن يكو موافقا للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها

---

[1] ـ نفسه، ص: 82.
[2] ـ نفسه، ص: 82.
[3] ـ نفسه، ص: 83.
[4] ـ نفسه، ص: 83.
[5] ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد بن عبد العظيم الزرقاني، 204/1، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 4 ، 2013.

حروف كثيرة جاء رسمها مخالف لإملاء النطق وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد»[1]

وقد أشار إلى أن العلماء عنوا «بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء خطها على غير مقياس لفظها وقد أفرده بعضهم بالتأليف»[2]. من هذا التأليف ومؤلفيها "المقنع" للإمام الداني و"عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل" لأبي العباس المراكشي والشيخ المتولي ومنظومته اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم وشرح الشيخ محمد خلف الحسيني لتلك المنظومة تحت عنوان: مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن[3].

وفي معرض حديثه حول قواعد رسم المصحف بين قاعدة الحذف والبدل والزيادة فلم يخرج عن نطاق من سبقوه في مجالي التعليل والتوجيه إلا ما استثني من حسن التبويب والإحاطة بالموضوع كما أنه لا يعارض تعليل الحذف بدلالة المعنى الخفي في حذف الواو من الأفعال التي كتبت في المصحف العثماني هكذا ﴿يدع الإنسان﴾﴿ويمح الله الباطل﴾﴿يوم يدع الداع﴾﴿سندع الزبانية﴾ قال ولكن من غير نقط ولا شكل في الجميع للدلالة على «أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلى الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير والسر في حذفها من ﴿ويمح الله الباطل﴾ في سورة الشورى الآية 24 الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله والسر في حذفها من ﴿يوم يدع الداع﴾ القمر 6 الإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين، والسر في حذفها من ﴿سندع الزبانية﴾ سورة العلق 18 الإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش»[4].

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص: 205.

[2] ـ مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، ص: 204.

[3] ـ الإمام الداني أبو عمرو عثمان ت 444 هـ ، أبو العباس المراكشي المعروف بابن البناء ت 797 هـ، الشيخ المتولي محمد بن محمد تولى مشيخة الإقراء بالازهر ت 1313 هـ، الشيخ حسن بن خلف الحسيني مؤلف الرحيق المختوم ت 1342 هـ.

[4] ـ مناهل العرفان، الزرقاني، ص: 207-208.

ثم قال الكاتب ويجمع هذه الأسرار كلها قول المراكشي «والسر في حذفها من هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المتفعل المتأثر به في الوجود»[1].

ومن هذه النقول من المصادر والمراجع المختلفة التي راجعها الشيخ في الموضوع ندرك سر إحاطته بموضوع الرسم القرآني الذي أشار في حقه إلى عدم الاتكال على الرسم من أجل الأداء الجيد للقرآن الكريم إذ لابد من أخذ القرآن من أفواه الشيوخ.

وأضاف الشيخ إلى هذه النصائح تأييده لأراء العلماء الذين قالوا باحترام كتابة القرآن بالرسم الذي كتب به القرآن الكريم من قبل الصحابة كتبة المصحف أو اللجنة الرباعية التي كونها الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه تجنبا للفتنة والتبرك بآثار الصحابة الذين عاشوا ظاهرة نزول القرآن الكريم على صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحديث عن الرسم القرآني وتعليل ظاهرة مخالفته للرسم القياسي أشبعه العلماء بحثا في القديم والحديث ومن العلماء المغاربة المتأخرين زمنيا عمن ابن البناء والزركشي والسيوطي نذكر أبا العباس المعروف بابن المبارك وكتابه الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز[2] والذي أورد في هذا الكتاب بعض المساجلات بينه وبين شيخه الصوفي عبد العزيز الدباغ منها ما يتعلق بظاهرة الرسم القرآني وبعدما استفسر المريد الشيخ عن سر بعض الحروف فكان يجيبه ويزيد بعفوية واطمئنان إلى ما قر في نفسه من اليقين بصحة الأجوبة.

ومن هذه الأسئلة: وسألته عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» رواه البخاري ومسلم. قال: «فأجاب بأجوبة عديدة وبقيت النفس متشوقة إلى الجواب الشافي والذي أوجب الإشكال أن لفظ الحرف ظاهرة

---

[1] ـ مناهل العرفان، الزرقاني، نقلا عن عنوان الدليل، ص: 208.

[2] ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، مؤلفه الشيخ أبو العباس أحمد أحمد بن مبارك السجلماسي أصلا الفاسي داراً ولد سنة 1090 ونشأ بسجلماسة (تافلالت) وانتقل إلى فاس فقرأ بها وأقرأ والف وتوفي فيها سنة 1192 هـ، أنظر الأعلام للزركشي 202/1 ومعجم المؤلفين 56/2 طبع الكتاب محققا لأول مرة بتحقيق الشيخ أحمد ضريف المزيدي، الطبعة الأولى، 2010 القاهرة.

لغة لا إشكال فيه مثل الإشكال في خواتم السور[1] ومع ظهور لغة فقد اختلف العلماء فيه اختلافا شديدا ولا يزيد الواقف عليه الأخيرة وإشكالا فإنه صلى الله عليه وسلم لم يرد إلا معنى واحد وحكاية الخلاف فيه إلى أربعين قولا توجب إبهامه وغموضه»[2].

ثم قال معلقا على أن كثرة الأقوال في شيء تعود عليه بالجهل في مراده « مع تجويز أن يكون مراده صلى الله عليه وسلم خارجا عن تلك الأقوال»[3].

وبعدها استمر في ذكر أسماء الصحابة الذين سمعوا هذا الحديث أي حديث الأحرف السبعة من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة وذلك في هذا الإطار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام خطيبا على المنبر فقال: أُنشد الله امرءً سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف وكلٌّ لشأنٍ، إلا قام فقام الصحابة من كل جانب حتى ما أحصى عددهم وكل واحد يقول أنا سمعته يقول يقول ذلك فقال عثمان وأنا سمعته يقول ذلك»[4].

وذكر الشيخ العلماء الذين شرحوا هذا الحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال المؤلف أي ابن المبارك فقلت للشيخ يعني القطب الشيخ عبد العزيز الدباغ الملقب العارف بالله «لا أسألك إلا مراد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: غداً نجيبك إن شاء الله فلما كان من الغد قال لي وقد فيما قال: قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مراده بهذا الحديث فأجابني عن مراده»[5].

وأضاف المؤلف المريد «وقد تكلمت مع الشيخ في ذلك ثلاثة أيام وهو يبين لي المعنى المراد فعلمت لهذا الحديث شأنا كبيراً وسمعت فيه من الأسرار ما لا يكيف ولا يطاق»[6].

---

[1] ـ خواتم مثل: (الم) (حم) (المص) وغيرها.
[2] ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي الفاسي ت 1156 هـ.
[3] ـ نفسه، ص: 89.
[4] ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، أحمد بن المبارك السجلماسي، ص:90.
[5] ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، أحمد بن المبارك السجلماسي، ص: 91.
[6] ـ نفسه، ص: 91.

فذكر الشيخ المريد أن للنبي صلى الله عليه وسلم قوة طبعت عليها ذاته الشريفة وتنوعت أنوارها إلى سبعة أوجه. ثم سأله مرة أخرى وما هذه الأنوار السبعة التي أشير إليها بالأحرف السبعة فقال: هي حرف النبوة وحرف الرسالة وحرف الآدمية وحرف الروم وحرف العلم وحرف القبض وحرف البسط[1].

ثم شرع في شرح هذه الأحرف حسب معرفة أهل المعرفة الباطنية المبنية على الإشارات التي تساعد المتتبع إلى المعاني وهذه الشروح إذا تم الإمعان فيها تراها مقبولة وسأقف عند شرحه لحرف البسط قال الشيخ بهذا الصدد: « وحرف البسط علامته أن ترى الآية متعرضة لنعم الله تعالى على الخلق وتعدادها فإذا التفت صلى الله عليه وسلم إلى نعمه تعالى على خلقه وقع له بسط فخرجت الآية من مقام البسط»[2].

ولما بين أحوال هذه الحروف باختصار فروى عنه تلميذه قوله: «هذه أمارة كل حرف من الأحرف على التقريب وإلا ففي كل حرف من هذه الأحرف ثلاثمائة وستة وستون وجها»[3].

ثم قال: « ولو شرحت هذه الأوجه في كل حرف وبينت ما في كل آية لظهر باطنه صلى الله عليه وسلم للناس ظهور الشمس ولكنه من السر الذي يجب كتمه ومن فتح الله عليه كبيراً علمه ومن لا فتح له فليترك على حاله»[4].

إذن ففي قراءات القرآن على سبعة أحرف أسرار أقل ما يقال عنها أنها لتيسير قراءة الكتاب الكريم وتسهيل تلاوته على العرب جميعا بمختلف لهجاتهم ولغاتهم وقبائلهم ولا يعني ذلك أن كل حرف في القرآن قرئ بسبعة أوجه أو بعبارة أخرى:

---

[1] ـ نفسه، ص: 91.
[2] ـ نفسه، ص: 92.
[3] ـ الإبريز، ص: 93.
[4] ـ نفسه، ص: 93.

«إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني»[1].

لقد قال العلماء الكثير في حديث الأحرف السبعة حتى أطلق عليه بعض المشايخ[2] في مغربنا: الحديث المتشابه الذي يعرف تأويله إلا الرسول صلى الله عليه وسلم والذين أوتوا العلم حيث ذهب كل مذهبه في محاولة فهم المقصود بمعنى هذا الحديث المتواتر وحتى العارفون بالله فهموا الحديث على ضوء أذواقهم الصوفية كما رأينا عند الشيخ الدباغ على أن هناك أسرارا خفية كما أشار مؤلف الإبريز أن الشيخ الدباغ تكلم في الموضوع ثلاثة أيام فأشار إلى قوة طبعت عليها ذاته صلى الله عليه وسلم وتنوعت أنوارها إلى سبعة أوجه هي حرف النبوة وحرف الرسالة وحرف الروم وحرف العلم وحرف القبض وحرف البسط[3].

وقد تمت الإشارة إلى محاولة بسط حرف "البسط" فيما مضى وسبق أن قلنا في بداية هذا البحث المتواضع أن اعتماد القراءة بالأحرف السبعة لم تكن في المرحلة المكية وإنما اعتبرت في مرحلة المدينة بسبب انتشار الإسلام في مختلف القبائل التي تخالف لهجاتها لهجة قريش في النطق ببعض الكلمات فكان بعض العرب أو الأعراب لا يستطيعون فطريا النطق ببعض الحروف التي تخالف في نطقها لهجتهم الأصلية فكان ما كان من رخصة القراءة بالأحرف السبعة.

دور الحروف السبعة في تيسير النطق بالقرآن

إذن ففي قراءات القرآن على سبعة أحرف سر من أسرار القرآن وجه من أوجه إعجازه وأقل ما يقال عن هذه القراءات أنها لتيسير قراءة القرآن الكريم وتسهيل تلاوته على العرب جميعا بمختلف لهجاتهم ولغاتهم وقبائلهم ولا يعني ذلك أن كل حرف في القرآن قرئ بسبعة أوجه.

---

[1] ـ في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص: 98، دار المعارف القاهرة.

[2] ـ منهم أستاذنا وشيخنا الدكتور التهامي الراجي الهاشمي أمد الله في عمره سمعت منه هذا الوصف خلال درس في القراءات في رحاب كلية الآداب جامعة محمد الخامس الرباط سنة 1989م.

[3] ـ الابريز، السجلماسي ابن المبارك، ص: 91.

وحالة العرب حال نزول القرآن كانت لهجاتهم متعددة منها اللهجة الفصحى وغيرها من اللهجات المستهجنة «لكن بنو تميم لهم ظواهر معينة صوتية غير موجودة في لهجات القبائل الأخرى مثل غطفان، ثقيف، أزد (شنوئة)وقوم النبي صلى الله عليه وسلم قريش ومنهم بنو حنيفة والأنباط والأوس والخرج وحمير[1] وبالجملة كانت هناك قبائل عربية متعددة اللهجات»[2].

وقال العلماء عن الأحرف السبعة إن «القرآن أنزل على لهجات عربية ثم قالوا هل هي سبعة في العدد أو سبعة بمعنى لهجات متعددة لأن العرب تستخدم سبعة وسبعين وسبعمائة وليس مرادهم هذا العدد»[3].

قال قرأ أعرابي في الحرم فقال:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[4] **فقال له** (طُوبَىٰ) فقال الأعرابي (طيبى) فقلت له (طوبى) قال الأعرابي (طيبى) قال فلما طال علي قلت (طو، طو) فقال الأعرابي (طى، طى).

ثم قال ابن تيمية «فهذا الخبر فيه دلالة على صعوبة نطق العربي القديم بغير ما اعتاد من ظواهر نطقية في قبيلته»[5].

وعلى هذا فالأحرف السبعة تعني قراءة بعض الأحرف القرآنية بنطق يخالف اللهجة القرآنية أو غيرها متفرقة في القرآن الكريم أو « إنما هي أحرف سبع متفرقة في سور القرآن لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني»[6].

ويعجبني تعليق أورده محقق كتاب رسالة ابن تيمية في الأحرف السبعة منسوبا إلى الأستاذ الدكتور أيمن سويد نقل عنه في محاضرة ألقاها بجدة قوله «والأفضل التوقف في

---

[1] ـ حمير ومضر وفي قصة رجل من مضر قصد حمير فوجد أميرهم فوق سطح قصره مع حاشيته فلما سلم قال له الملك: ثب يريد اجلس فوثب المضري من فوق السطح فانكسرت ساقه فقال الملك لحاشيته: ما باله، فقالوا: إن (ثب) في لغة مضر بمعنى اقفز فقال الملك" من دخل ظفار حمر) أي من دخل ظفار وهي مدينة باليمن تكلم باللغة الحميرية أي بلهجتهم.

[2] ـ رسالة ابن تيمية في الأحرف السبعة وهو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ت 768 هـ تحقيق فرغلى سيد عرباوي باحث في علم صوتيات التجويد والقراءات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط 1 ؛ 2008 ص:29.

[3] ـ رسالة ابن تيمية في الأحرف السبعة، ص:34.

[4] ـ سورة الرعد، الآية: 29.

[5] ـ الأحرف السبعة، ابن تيمية، ص: 34.

[6] ـ في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص: 98.

بحث ما هي الأحرف السبعة لأنه لا طائل تحته لن يسألنا الله عنه يوم القيامة، يكفينا أن نعرف أن الله أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف وأن القراءات نقلت إلينا من الأحرف السبعة من غير تعيين»[1].

وللمزيد من الإيضاح حول الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها نستنير في الموضوع ونستأنس بتوضيح العالم المدقق الشيخ ابن تيمية في رسالته التي أجاب فيها عن سؤال سائل فأجاب رحمه الله «الحمد لله رب العالمين، هذه مسألة كبيرة قد تكلم فيها أصناف العلماء من الفقهاء والقراء وأهل الحديث والتفسير والكلام وشرح الغريب وغيرهم حتى صنف فيها التصنيف المفرد»[2].

إلى أن قال رحمه الله: «لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن هذه الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد»[3].

ثم وضح الشيخ مراد ابن مجاهد في كتابه (قراءات القراء السبع المشهورة) حيث لا يقصد بهذا العدد الأحرف السبعة وإنما «أراد بذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قاء هذه الأمصار ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة أو أن هؤلاء المعنيين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءاتهم»[4].

ثم فصل القول في ذلك بقوله: «ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبع التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا»[5] ناسبا الفضل في ذلك إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود لما وضع حقيقة الأحرف السبعة «إنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال بمعنى أن معنى أحد هذه

[1] ـ مقدمة كتاب رسالة ابن تيمية في الأحرف السبع، تأليف تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.
[2] ـ رسالة ابن تيمية في الأحرف السبعة، ص: 50.
[3] ـ نفسه، ص: 52.
[4] ـ نفسه، ص: 52.
[5] ـ نفسه، ص: 52.

الكلمات لا يضاد الكلمة الأخرى ولكن كلها حق وهذا اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض»[1].

ولمكي بن أبي طالب القيسي رأي محترم في الموضوع بقوله: (تحت باب معنى أنزل القرآن على سبعة أحرف) «فإن سأل سائل فقال: ما الذي تعتقد في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (أنزل القرآن على سبعة أحرف؟ وما المراد بذلك؟ فالجواب أن هذا المعنى قد ثر اختلاف الناس فيه والذي نعتقده في ذلك ونقول به وهو الصواب إن شاء الله أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي لغات متفرقة في القرآن ومعان في ألفاظ تسمع في القراءة مختلفة في السمع متفقة في المعنى»[2].وأضاف زيادة في الإيضاح بأمثلة ك «وتعبير حركات في موقع حركات أخرى وإسكان حركة، وتشديد وتخفيف وتقديم وتأخير»[3]، مما ليس له دخل في تغيير المعنى «وليس هو مما يحتوي على المعاني المستترة كقول من قال: الأحرف السبعة حلال وحرام وناسخ ومنسوخ وأمر ونهي وشبه هذا»[4]؛ وهذه الأوجه كلها صحيحة إذا توفرت فيها الشروط المعروفة كصحة السند وله وجه في اللغة العربية وثبتت كتابتها في أحد المصاحف العثمانية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، إذ القراءة سنة متبعة كما يقول الإمام الداني: «وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»[5].

ومن أمثلة القراءة التي ليس لها دخل في تغيير المعنى قراءة : (ميسَرة،وميسُرة)[6] قرأ نافع بضم السين وقرأ الباقون بالفتح و (ماهن أمهاتِهم) و (ماهن أمهاتُهم)[7] قال مكي:

---

[1] ـ رسالة الأحرف السبعة، ابن تيمية، ص: 54.
[2] ـ الإبانة، مكي بن أطالب القيسي، ص: 71.
[3] ـ نفسه، ص: 72.
[4] ـ نفسه، ص: 72.
[5] ـ الداني،
[6] ـ سورة البقرة، الآية: 280، النشر، 236/2 ، الإبانة، مكي ص:74.
[7] ـ سورة المجادلة، الآية: 2 ، قرأ الجمهور (أمهاتِهم) بالكسر على لغة الحجاز والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم كما هو معروف عند أهل النحو أن (ما) تعمل عمل (ليس) على لغة الحجاز ويسمونها (ما) الحجازية كما قال صاحب الألفية تحت عنوان : فصل في ما ولا ولات وأن المشبهات بليس.

وهو كثير يقرأ منه بما صحت روايته ووضح وجهه في العربية ولأنه غير مخالف لخط المصحف على اعتبار أن قراءة (ميسَرة) بفتح السين أو ضمها لا يغير المعنى وكذا (أمهاتهم) بالفتح أو الضم في التاء، لا يغير المعنى، وهذه مهمة القراءة بالأحرف السبعة عند العلماء كما ثبت ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل التخفيف من وطأة صعوبة نطق القبائل لغير ما تعودته من ألفاظ خارج لهجتها كما تمت الإشارة إلى ذلك ولا بأس بإعادة علة الأحرف السبعة وفائدتها مرة أخرى.

كما يرى ذلك شيخ القراء والإقراء في الغرب الإسلامي مكي ابن أبي طالب القيسي بقوله كجواب عن سؤال مفترض: « فالجواب أن الله عز وجل لم يجعل على عباده حرجا في دينهم ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلة ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى الأبعد تكلف ومؤنة شديدة فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ... ليقرأ كل قوم على لغتهم»[1].

وخلاصة القول في ظاهرة تعليل الرسم القرآني كما تقدم من خلال كيفية كتابة عرض بعض الحروف ورسمها واستعراض أقوال العلماء من أهل الاختصاص في شأنها باعتبار القرآن والكلمة القرآنية شيئا لا يتجزأ، فكل حرف من القرآن أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام فأملاه النبي على صحابته الكرام فكتبوه كما سمعوه فسمع جمع غفير منهم القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم بعد العرضة الأخيرة على جبريل فأمرهم أن يتلقوا عنه القرآن ، ومن كتب غير القرآن فليمحه والتحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى والقرآن الكريم كله مكتوب في السطور ومحفوظ في صدور الصحابة الذين أودعوا هذه الأمانة بأمان في المصاحف

إعمال " ليس " أعملت " ما " دون " إن " * مع بقا النفي ، وترتيب زكن
وسبق حرف جر أو ظرف ك " ما * بي أنت معنيا " أجاز العلما
وقال الشارح: ولغة أهل الحجاز إعمالها كعمل ليس (بقصد ما) فيرفعون بها الإسم وينصبون بها الخبر كقوله تعالى (ما هذا بشرا) يوسف 31، (ما هن أمهاتهم) المجادلة 2، وذكر شروط إعمالها لا يسع المقام لذكرها، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد 240/1، ط1 دار الطلائع القاهرة 2009.

[1] ـ الإبانة عن معاني القراءات، ص:8.

التي أمر الخليفة عثمان رضي الله عنه بكتابتها وشهد هذا العمل أكثر من اثني عشر ألف من الصحابة ووافقوا عليه.

حتى قال له الخليفة الرابع علي بن أبي طالب آنذاك لو وليت لصنعت مثل ما صنع الخليفة عثمان، يعني الأمر بكتابة القرآن في المصاحف وهذا كله دليل قطعي على إجماع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتابة القرآن على هذه الطريقة وهذه الصورة للحروف والكلمات والمخالف لهذا مخالف لإجماع الصحابة ومخالف لسنة الخلفاء الراشدين التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يعضوا بعده عليها بالنواجذ وتلقت الأمة الإسلامية بالقبول في مختلف مراحل تاريخها والقرآن الكريم بقراءاته وأدائه ورسمه وحفظه وفهمه واستنباط الأحكام من آياته المحكمات.

وعلى هذا أوصى العلماء في مختلف الأعصر من الإمام مالك وأحمد ابن حنبل من أئمة أهل السنة والجماعة إلى عصرنا هذا باتباع سنة السلف في كتابة القرآن الكريم برسمه لأن ذلك من أركان القراءات وقد نسب للشيخ عز الدين بن عبد السلام «ولا يترك شيء أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين لاسيما وهو أحد الأركان التي عليها مدار القراءات القرآنية»[1].

وعلى هذا الاعتبار حرص المغاربة على حفظ القرآن الكريم في صدورهم على كتابته صحيحا في سطورهم وألواحهم حتى عرفوا في العالم الإسلامي باهتمامهم بالقرآن الكريم حتى وسموا بذلك وكان وجها من وجوه الحضارة الإسلامية في المغرب حتى اشتهر خطهم بمميزات خاصة يشار إليها في الأبجديات الأولى للشروع في تحقيق ب (كتب بخط مغربي جميل) وعلى مدار هذه الجوانب المتعلقة بالخط المغربي وعناية المغاربة به وتجويده من أجل كتابة القرآن الكريم برسمه وبخط جميل وتثبته وبواسطة "الأنصاص" وغيرها من وسائل الحفاظ على الحرف القرآني كمظهر من مظاهر الحضارة المغربية التي هي جزء من الحضارة العربية الإسلامية الإنسانية في هذه الربوع.

[1] ـ عن لطائف الإشارات لفنون القراءات، للإمام القسطلاني

وسيدور الحديث في المحور الرابع من هذا البحث الذي أرجو العون والمدد من الله تعالى في تثبيت مباحثه وتوضيح ما انبهم من جوانبه على القارئ خدمة لكتاب الله تعالى.

هذا المحور الذي يعد تتمة لما بدأنا التمهيد له في المحاور السابقة المتعلقة بالتعريفات والمقدمات بعرض النماذج من تعليل الرسم القرآني لبيان بعض الجوانب الخفية من إعجاز الكتاب الكريم، ومواقف العلماء منه عبر العصور وفي هذا المحور سنحاول بحول الله إبراز جهود المغاربة في الحفاظ على القرآن الكريم رسما وحفظا وأداء مما جعلهم يمتازون عن غيرهم في الحفظ والأداء.

المحور الرابع: "الأنصاص" القرآنية وجه من الحضارة الإسلامية بالمغرب

وتم حشد الكثير من العناوين الجزئية في هذا المحور قد تكون فصولا أو مباحث أو ملاحظ وبنودا والمراد أن تشتق كلها من العنوان الكبير: "الرسم القرآني فنا وحضارة وعلاقته بالتاريخ الفني والحضاري" بمميزات الخط والألوان ووسيلة الأنصاص القرآنية والخطية للحفاظ على النص القرآني ظاهرة مغربية بامتياز استجابة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

تمهيد:

كي يتم الحديث بالتفصيل عن هذه المواضيع المرتبطة فيما بينها لابد من وضع مدخل يوصلنا إلى هذه الفصول والمباحث.

الفصل الأول: صلة المغاربة الأولى بالقرآن الكريم

المبحث الأول: عن طريق الفاتحين الأوائل.

تعتبر المدرسة القرآنية والمدرسة الفقهية بالمغرب امتدادا لمدرسة المدينة المنورة في هذين الشأنين اللذين هما طعمة الدين وسداه القرآن الكريم والفقه وذلك باعتبار القرآن أصل التشريع الأول وعلى هذا أرسى المغاربة اختيارهم على أسس علم المدينة

[1] ـ سورة الحجر، الآية: 8.

باعتبارات أهمها حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ما يمت بصلة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وصلهم من أصداء المدينة المنورة مهبط الوحي والرسالة.

1- عن طريق الفاتحين الأوائل الذين حملوا لواء الإسلام داعين إلى وحدة اله

واعتناق مبادئ الإسلام عب النبع الصافي كتاب الله وسنة رسول اله صلى الله عليه وسلم تنفيذا لأوامر صاحب الرسالة الذي يوصي المبعوثين إلى الجهات بدعوة الناس إلى القرآن وتعاليم القرآن كما تحدثنا كتب السيرة النبوية عن أمثلة من هذه الوصايا يرجع إليها في مصادرها، فاقتفى الخلفاء الراشدون أثر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كما في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الولايات في العراق والشام قائلا: «إنما بعثت عمالي إليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم»[1] ولم تكن البلدان المغاربية خارجة عن هذا النهج القويم وهذه السنة الحميدة رغم تأخر فتحها عن بعض البلدان المشرقية فقد نال شمال إفريقيا والغرب الإسلامي بصفة عامة حظه وافرا بفضل شدة زم صحابة رسول الله، الذين طبقوا وصاياه صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالة الإسلام أقاصي الدنيا لكون الإسلام رسالة الناس جميعا بقطع النظر عن بعدهم أو اختلاف ألسنتهم وألوانهم فكانت مصر المعبر الوحيد نحو إفريقيا التي فتحها عمرو بن العاص الصحابي الجليل في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمرو بن العاص من المعدودين في القراء.

وفي الحملة الثانية على إفريقيا سنة سبعة وعشرين هجرية التي قادها عبد الله بن أبي سرح في خلافة عثمان رضي الله عنه ومعه نفر من الصحابة القراء كما تذكر كتب التاريخ فمنهم: عبد الله بن الزبير، أبو ذر الغفاري، عبد الله بن عباس، المقداد بن الأسود، وعبد الرحمان ابن أبي بكر الصديق، وعبد الله بن عمر[2]. وتذكر المصادر أن تعداد هذا الجيش يفوق عشرين ألفاً، فيهم الكثير من الصحابة القراء من المهاجرين و

[1] ـ السياسة الشرعية، ابن تيمية، 20/1.
[2] ـ رياض النفوس، للمالكي 15/1، نقل عنه عبد الهادي حميتو قراءة الإمام نافع عند المغاربة 33/1، الطبعة الأولى.

الأنصار، وهؤلاء تركوا تلاميذهم وأتباعهم في كل مكان حلوا به، ذكر الناصري في الاستقصاء عدداً وافراً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عنوان: "ذكر من دخل المغرب من الصحابة" منهم صحابة بالمؤكد كعقبة بن نافع الفهري وغيره.

وتوالت البعثات زمن الفتح حاملة راية الإسلام ومنار الهدي القرآني أشير إلى المشهور من هؤلاء القادة الذين حملوا لواء القرآن.

1- منهم عقبة بن نافع الفهري في ولايته الثانية على إفريقيا سنة 62 هجرية زمن يزيد بن معاوية فرحل عقبة رضي الله عنه من الشام في اتجاه المغرب ومعه بضع وعشرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. « وكان من عمل عقبة بن نافع عندما فتح بلاد المغرب سنة 62-63 هجرية وأراد العودة إلى المشرق بعد أن عين من أصحابه من يعلمون الناس القرآن وشعائر الإسلام وجعل على رأسهم شاكر بن عبد الله الأزدي[2]»[3].

2 - بعثة حسان بن النعمان: وقد قدم هذا الولي إفريقية من قبل الخليفة الأموي عبد المالكبن مروان وذلك بعد مقتل عقبة بن نافع وبعد ما وحد الصفوف بين البربر الموالين لكهانة والعرب وعهد إلى ثلاثة عشر فقيها من بار التابعين بتعليم القرآن وأصول الإسلام واللغة العربية للناس جميعا.

3 - وجاءت بعثة موسى بن نصير لفتح المغرب من جديد بعدما ارتد المغربة وكانت سياسته تعليم القرآن ونشر الوعي الإسلامي وقد اختار رجالا من جنده فأمرهم بنشر تعاليم الإسلام في كل الجهات «ويشيعون بين الناس حب القرآن»[4].

---

[1] - قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري عبد الهادي حميتو، 36/1، الطبعة الأولى 2003.

[2] - شاكر بن عبد الله الأزدي صاحب الرباط المشهور غرب مراكش ولا يزال هذا الرباط قائما.

[3] - القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ص:7 الطبعة الأولى 1990.

[4] - المرجع نفسه، ص: 7

4 ـ بعثة عمر بن عبد العزيز : وقد بعث هذا الخليفة الأموي الزاهد الورع بعثة إلى إفريقيا وعلى رأسها القارئ الجليل إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر وهو من رواة قراءة أهل الشام[1]. وكان إسماعيل هذا والي عمر بن عبد العزيز على إفريقية والمغرب وهو من مشاهير علماء الأمصار كما ذكر ذلك ابن حبان « من صالحي أهل الشام وخيار الدمشقيين مات في خلافة مروان سنة 132 ه»[2]. وقد أشار الباحث المقتدر الدكتور عبد الهادي حميتو في مؤلفه القيم أن لهذا الرجل تأثيرا كبيرا أوسع ممن قبله ومن بعده من أفراد البعثات حيث «أسلم على يده خلق كثير»[3].

وقد أشار الباحث إلى أن تأصيل القراءة الجماعية بالمغرب يرجع إلى هذا الرجل إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على احتمال أن ابنه هشاما الذي يعتبر من تلاميذه المباشرين لما قدم على عبد الملك بن مروان في خلافته قرأ معه ومع من بالمسجد الأموي جماعة، وإسماعيل هذا أبو هشام هو أيضا كان من تلاميذ الصحابي الجليل أبي الدرداء الذي كان يدرس القرآن مع طلابه جماعة وسموا هذه القراءة الجماعية (دراسة)[4].

هذا وقد أعطت هذه البعثات ثمارها لكون روادها من أخيار علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم الذين حببوا الإسلام والإيمان لأهل إفريقية عامة وأهل المغرب خاصة مما جعل نفوس طلاب العلم تتشوف إلى طلب العلم من منبعه فشدوا الرحال إلى المدينة ومكة والشام والعراق فيما بعد وبذلك قويت الصلة بين الغرب الإسلامي وشرقه.

المبحث الثاني: عن طريق الرحلات إلى الحج وطلب العلم.

نعم قد كان الباعث إلى الرحلة هو الحج وغالبا ما يكون ذلك سببا في الاتصال بالعلماء بدخول المدينة المنورة للصلاة في المسجد النبوي والتبرك بتلك الأمكنة المقدسة

---

[1] ـ قراءات القراء المعروفين برواية الرواة المشهورين،أحمد بن أبي عمرو أندرابي، ص:81 ، وقراءة الإمام نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، 39/1.

[2] ـ مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، ص: 17 ، وقراءة الإمام نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، 78/1.

[3] ـ المرجع نفسه : ص:79.

[4] ـ نفسه ص: 80، وبالاعتماد على التبيان في آداب القرآن للنوري، ص:57.

كالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء والصلاة بين المحراب والمنبر وزيارة الروضة الشريفة بصفة عامة، والمسجد النبوي من المساجد التي تشد إليها الرحال ما في الحديث، أضف إلى كون حب المدينة متأصل في وجدان المغاربة، ولهذه الأسباب كلها فضلوا مذهب أهل المدينة: المذهب المالكي، وقراءة أهل المدينة: قراءة نافع.

«فالرحلة إلى الحجاز كانت أهم الأسباب التي مهدت لتعرف المغاربة على مذاهب أهل المدينة وساعدت على الوقوف على قراءة نافع بها وكان هم الطالب يومئذ أن تتاح له فرصة كهذه ليجمع بين أداء الفريضة والزيارة وبين الأخذ عن إمام دار الهجرة في الفقه، مالك بن أنس، وإمامها في القراءة، نافع بن أبي نعيم»[1]. فذكر القاضي عياض رحمه الله بعض العلماء من الغرب الإسلامي، الذين حضروا إلى المدينة وذكر منهم من أهل قرطبة الغازي بن قيس قال: «وشهد مالكا وهو يؤلف الموطأ ظاهراً»[2]. ورجع الغازي بعلم كثر إلى قرطبة «وكان إمام الناس بها في القراءة»[3]، وقال عياض رحمه الله رواية عن ابن عبد البر قال في حق الغازي أحمد بن عبد البر، كان عاقلا نبيلا يروي حديثا كثيرا، ويتفقه في المسائل، رأسا في علم القرآن، متهجدا بالقرآن، كثير الصلاة بالليل، وتوفي فيما قيل سنة تسع وتسعين ومائة[4]، وذكر أنه كان إمام الناس بقرطبة في قراءة نافع. «من أهل قرطبة أموي يكنى أبا محمد رحل قديما فسمع من مالك الموطأ»[5] وبعد ذكر من أخذ عنهم ممن عاصروا الإمام مالكا كابن جريج و الأوزاعي ثم أردف قائلا: «وهو أول من أدخل موطأ مالك وقراءة نافع الأندلس فيما قال أبو عمرو المقرئ»[6].

وإن كان موضع أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس محلا للخلاف بين "شطبون"[7] زياد ابن عبد الرحمان ويحيى بن يحيى الليثي وزياد هذا وهو شطبون أول من أدخل

[1] ـ قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ع الهادي حميتو، 152/1.
[2] ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، القاضي عياض، 199/1، تحقيق محمد سالم هاشم الطبع الثانية 2012 لبنان.
[3] ـ نفسه، ص: 200.
[4] ـ نفسه ، ص: 200.
[5] ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 199/1.
[6] ـ نفسه، 199/1.
[7] ـ قرطبة جد بني زياد ينتهي نسبه إلى حاطب بن أبي بلتعة سمع من ملك قيل مات عام 199 هـ.

السنن إلى الأندلس كما روى ذلك المؤلف نفسه رواية عن يحيى بن يحيى « قال يحيى بن يحيى زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام ووجوه الفقه والأحكام وهو من عرف بالسنة في تحويل الأردية في الاستسقاء»[1].

ثم قال يحيى: «فخرجت بعد ذلك إلى المشرق ولقيت مالك ابن أنس والليث بن سعد ومن دونهما فوجدت سنة تحويل الأردية عندهم معروفة فاشية»[2].

وثم اختيار هذه النصوص التي تؤرخ لعلماء متقاربين في السن والآخذين عن الإمام مالك مباشرة وعن القارئ المقرئ نافع الذي ثم اختيار قراءته في المغرب والقيروان والأندلس بعلمهم أن قراءة أهل المدينة سنة كما صح ذلك عن الإمام مالك ولا يعني هذا أنهم لم يعرفوا القراءات الأخرى بل من أجل الوحدة.

توحيد القراءة والمذاهب أسباب ونتائج

فقد فطن الأمراء والحكام والولاة سواء في إفريقية والأندلس والمغرب «حتى قبل قيام الوحدة السياسية فعلا على عهد المرابطين والموحدين»[3] فهذا الحكم[4] يصدر منشورا فيه «ومن خالف مذهب مالك في الفتوى وبلغنا خبره أنزلنا به من النكال ما يستحقه وجعلناه عبرة لغيره فقد اختبرت فوجدت مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب»[5] وعلل ذلك بكون مالك وأصحابه على مذهب أهل السنة والجماعة «ولم أر في أصحابه إلا في من تقلد مذهبه عير معتقد للسنة والجماعة»[6].

أما وحدة القراءة فقد وقعت حادثتان في كل من القيروان وغرناطة أعني اختيار حرف نافع المدني رضي الله عنه مخافة فتح باب الفتنة في الخلاف والاختلاف فقد وعى الناس شر الفتنة وإن كانت الأسباب التي تؤدي إليها غير ممنوعة شرعا كالقراءة السبعية

[1] ـ ترتيب المدارك، القاضي عياض، 200/1-201.
[2] ـ المدارك، القاضي عياض، 201/1
[3] ـ قراءة الإمام نافع عند المغاربة، حميتو، ص:169.
[4] ـ الحكم المستنصر بالله الخليفة الأموي بالأندلس ت 366 هـ عن نفح الطيب 382/1.
[5] ـ البيان المعرب 199/1 و العيار المعرب 26/12.
[6] ـ نفسه المعيار ، للونشريسي، 26/12 تحقيق مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي

هذا ما نستنتجه من الواقعتين المشار إليهما أما واقعة القيروان حين اعترض العامة على قارئ يقرأ في التراويح بقراءة غير قراءة نافع فقد سئل الإمام القابسي المتوفى سنة 403 ه المقرئ المشهر عن ذلك لكون رجلين صليا خلف إمام يقرأ بقراءة أبي عمرو البصري في التراويح بمسجد القيروان فاستحسنها أحدهما فاعترض القراءة الآخر مدعيا أن قراءة أبي عمرو لم تكن أيام النبي «ما هذه القراءة مستوية قراءة نافع أحسن»[1].

وجاء في جواب المفتي الإمام القابسي مازال اللبس بكون القراءات السبع لها كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم[2] لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، وما هذا الحوار بين الرجلين إلا دليل على أن قراءة نافع هي السائدة في المنطقة أواخر القرن الرابع وذكر الونشريسي كرواية ورش التي اختارها الشيوخ المتقدمون عندنا فكان الإمام في الجامع لا يقرأ إلا بها لما فيها من تسهيل الهمزات وترك تحقيقها في جميع المواضع[3].

وقد أول ذلك «فيما روى عن مالك من كراهية النبر في القراءة في الصلاة»، وإن كانت قراءة نافع دخلت إلى الأندلس والمغرب قبل هذا العهد «على أن غازي بن قيس (ت 199)الذي أدخل قراءة نافع إلى الأندلس أدخل معها موطأ مالك فكان دخولهما مصطحبين والحاجة إليهما مزدوجة»[4].

وأما قصة مشفع مسجد غرناطة فمدارها أوسع من السابقة حيث القارئ قرأ حرفا من القرآن بقراءة لم يقرأ بها أحد من القراء السبع، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ** ﴾[5] برفع ﴿ **وَجَنَّاتٌ**﴾.

ولقنه الشيخ المقرئ الفقيه أبو سعيد بن لب[1] وهو إذ ذاك إمام مسجد غرناطة وكان القارئ ثقيل السمع فصار الشيخ بن لب مرة بقوله (وجناتٍ) بالكسر وأكثروا عليه حين

[1] ـ قراءة نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، 171/1.
[2] ـ نفسه، 171/1.
[3] ـ المعيار، 226/1.
[4] ـ المعيار، 226/1.
[5] ـ سورة الأنعام، الآية : 99.

ضج بهم المسجد واقتحم أحدهم معه المحراب فأسمعه، فكانت هذه الحادثة حديث الناس لاسيما حفظة كتاب الله ونسب بعضهم هذه القراءة ب (جناتٌ) بالضم في الأنعام 99 إلى ابن مجاهد مسبع القراءات وغيره من روايات عن عاصم، لكنها لم تبلغ مرتبة التواتر فقال بعض الشيوخ: «إنما يقرأ في الصلاة بالقراءة السبع لأنها متواترة ولا يجوز أن يقرأ بغيرها من الشواذ إذ إن القراءة الشاذة لا تجوز القراءة بها».

والصحيح أن ابن مجاهد في كتابه السبعة لم يشر في فرش الأنعام إلى هذا الحرف أصلا قوله تعالى: ﴿ **وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ**﴾ يقرأ بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع أنه رده على قوله: ﴿ **قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ** ﴾ والحجة لمن نصب أنه رده على قوله: ﴿ **نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا**﴾﴿**وَجَنَّاتٍ**﴾

والمراد من هذه المقدمات كلها أن سكان الغرب الإسلامي وأهل المغرب بصفة خاصة اختاروا قراءة نافع التي وصلتهم عب البعثات والرحلات العلمية المشار إليها باختصار.

ولا يعني هذا أنهم لا يعرفون القراءات الأخرى، ولكن المتخصصين منهم والمهتمين لاينتقلون ولايشتغلون بالقراءات الأخرى حتى يتقنوا قراءة نافع برواية ورش. وهذا ما حدا بباحث كبير وشيخ القراء في زمنه أبي الحسن الحصري أن يقول في روايته المشهورة:

ولم أرهم يدرون ورشا قراءة +++ فكيف لهم أن يقرؤوا لأبي عمرو

ويعني أنهم يهتمون بقراءة نافع ولا ينبغي لهم أن ينتقلوا إلى غيرها حتى يتقنوا حرف نافع؛ وقد علق الباحث الكبير الأستاذ حميتو على هذه الظاهرة بقوله: «وتدلنا بعض الإشارات عند بعض قراء إفريقية على مقدار تشبث قرائها لهذا العهد بقراءة نافع

[1] ـ من أئمة القراءة والإقراء بغرناطة.

وإعطائها مواضع الصدارة في مجال الإقراء والتعليم حتى غدوا ينكرون على الطالب أن يطمع إلى قراءة غيرها قبل إتقان أحكامها وإجادة أدائها ويعدون ذلك من قبيل التنطع»[1].

واستشهد في الموضوع ببيت الإمام الحصري السابق الوارد في رائيته المشهورة:

ولم أرهم يدرون ورشا قراءة +++ فكيف لهم ان يقرؤوا لأبي عمرو

ولا يعنى بهذا انتقاصا من قراءة نافع برواية ورش وإنما يريد إعطاءها ما تستحق من الأولوية لأنها قراءة رسمية من ذلكم العهد إلى يومنا هذا أو التي أعطاها المغاربة ما تستحق من العناية على جميع المستويات: الحفظ والأداء والرسم.

الفصل الثاني: عناية المغاربة بالقرآن الكريم

لم يسجل في سجل أمة من الأمم عنايتها بالقرآن الكريم كعناية المغاربة بكتاب الله العزيز في جانب الحفظ والإتقان في الرسم والكتابة بما اخترعوا من قواعد الضبط ونظم هذه القواعد تروى جيلا عن جيل من أجل ترسيخ قي الأذهان للاستعان بها في المحافظة على رسم الكلمة القرآنية والحفاظ على أدائها سليمة من التحريف والتغيير، ولحسن ترتيب النص القرآني كما أنزل، سنقف على نماذج من خلال استعراضنا لهذه الوسائل التي ساعدت وتساعد المتعلم على حفظ القرآن الكريم والحفاظ على مكانة القرآن في نفوس المغاربة.

نظرا لمكانة القرآن عند المغاربة باعتباره أصل الدين الذي جاء به نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم منزلا من عند الله تعالى بهذه الاعتبارات وغيرها احتلت قدسية القرآن الكريم المرتبة الرفيعة في نفوس المغاربة من الوهلة الأولى بعد الفتح مباشرة فالحقوا أبناءهم وصبيانهم بالمحاضر والكتاتيب التابعة للمساجد في المدن والقرى امتداد لأعمال السادة الفاتحين الأوائل الذين وجهوا همهم إلى «العمل على تحفيظ القرآن

[1] ـ قراءة نافع عند المغاربة، 172/1

للمغاربة ونشره بينهم وتعميم تعليمه في الجهات والأقاليم فقد سلكوا لتحقيق ذلك أكثر من سبيل»[1].

وذكر مؤلف موسوعة قراءة نافع عند المغاربة جملة من الوسائل في هذا الباب :

1. بعثات التوجيه والإقراء.
2. تأسيس الرباطات وتعميرها والإشراف على التعليم فيها.
3. بناء المساجد الجامعة والخاصة وتنصيب الأئمة المقرئين بها.
4. إحداث مكاتب ومحاضر لتعليم القرآن وتنظيمها وتعميمها.
5. العناية بتنسيخ المصاحف ونشرها.

البداية الأولى لتأسيس المكاتب

من الصعب تحديد البداية بالضبط فالإرهاصات الأولى تشير إلى عهد عقبة بن نافع الفهري الفاتح وأعمال رفيقه شاكر بن عبد الله الأزدي صاحب الرباط المشهور برباط شاكر غرب مدينة مراكش.

غير أن رأيا آخر يؤكد أن المدرسة القرآنية بالمغرب انطلقت بالفعل في عهد الفاتح الثاني موسى بن نصير أواخر القرن الأول للهجرة.

الفصل الثالث: خصائص المدرسة المغربية في حفظ القرآن.

المبحث الأول: تخصيص أماكن خاصة للحفظ

في عهد موسى بن نصير انتشرت الكتاتيب القرآنية التابعة للمساجد وما تزال المساجد والكتاتيب التابع لها الحصن الحصين للقرآن إلى جانب مهمتها في العبادة والتعليم[2].

[1] ـ قراءة نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، 35/1.
[2] ـ حياة الكتاب وآداب المحضرة، عبد الهادي حميتو، 37/1.

وتخصيص أماكن خاصة لتحفيظ القرآن الكريم ظاهرة كانت واقعا محمودا من زمان النبوة والعصر الأول الإسلامي ابتداء من دار القراء بالمدينة والذي كان الصحابي الجليل مصعب بن عمير المؤسس لدار القراء بالمدينة بعد الهجرة وكذا جماعة الصفة في باب المسجد النبوي الذين انقطعوا لعبادة وحفظ القرآن كما في حديث أبي طلحة الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم:«أقبل ذات يوم قائما يقرئ أصحاب الصفة»[1].

وكما أشرنا إلى أن تعليم القرآن الكريم وتحفيظه واكب فتح القرى والأمصار بتخصيص أماكن للعبادة وتحفيظ القرآن الكريم فلم يخرج المغرب عن الظاهرة بتأسيس المدارس الأولى للتعليم وحفظ القرآن ففي كل مسجد غرفة تابعة لع لتعليم الصبيان المبادئ الأولى لأبجدية الهجاء والقرآن الكريم ومن المفيد تربويا أن نعير الاهتمام لهذه المدرسة المغربية في حفظ القرآن وتحفيظه نظرا للنتائج المرضية التي أسفرت عنها هذه الطرق و الوسائل الناجعة التي أدت إلى جعل الأمة المغربية من أكثر الشعوب الإسلامية حفظا للقرآن الكريم و إتقانا لرسمه وكتابته ومن جملة هذه الخصائص التي يمكن تلخيصها في مباحث كما أسلفنا.

المبحث الثاني: عدم الخلط بين المراحل:

وذلك بحصر جهود المتعلم الصبي فيما يتعلق بحفظ القرآن في البداية والاشتغال بكل ماله علاقة بالقرآن ورسمه وحفظه وعدم خلط هذا العمل بعلوم أخرى يمكنها أن تتزاحم في ذهن الطفل حتى يتفرغ في البداية لحفظ القرآن فينتقل بعد ذلك إلى علوم العربية والعلوم الشرعية عكس ما عليه منهج التربية في المشرق وبعض النواحي في الأندلس وقد حبذ بعض المفكرين من المؤرخين الطريقة المغربية في هذا الشأن من أمثال العلامة ابن خلدون والذي يقول «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف ملة القرآن فيه لا

[1] - حلية الأولياء، 107/1.

يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب»[1].

وقد أعطت هذه الطريقة نتائج محمودة في حفظ القرآن بالمغرب بسبب عدم تشتت اهتمامات المتعلم وذلك بحصر الهدف في حفظ القرآن في هذه المرحلة العمرية من عمر الطفل، لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر كما يقال، ودلت التجربة الفعلية والواقع أن الذين فاتهم ركب حفظ القرآن الكريم في الصغر صعب عليهم استظهار جزء منه في الكبر فكيف به كله فضلا عن الصعوبة التي يجدونها في رسمه وكتابته.

المبحث الثالث: التدرج في التعلم

عبر برنامج خاص يضعه الفقيه أو الطالب أو المدرر بلغة العصر والمؤدب كمصطلح تاريخي، وهذا الفقيه أو المعلم هو الذي يتفق معه جماعة المسجد بالمشارطة على إمامتهم في الصلوات وعلى تعليم أبنائهم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم داخل هذا الفضاء المدعو: الكتاب أو المسيد أو المحضرة، حيث يعتبر الكتاب القرآني/ المسيد النواة الأولى للمدرسة القرآنية كما وصفه أحد الباحثين المغاربة الذين عاشوا التجربة بقوله: وهو يعني الكتاب «بيت متواضع يتسع لعدد من الصبيان يشرف عليه معلم قارئ حافظ يتخذ التعليم حرفة ومكسبا وكان الآباء ينتقون لأبنائهم خيرة المعلمين ليكونوا لهم القدوة الحسنة ويشارطونهم على أجر معلوم»[2].

وللوصول إلى غاية الحفظ يضع الفقيه المعلم برنامجا يسير بالصبي تدريجيا ابتداء بحفظ الحروف الهجائية (أ) (ب) وبعد إتقان التهجي يبدأ بحفظ السور القصيرة ولكل صبي (لوح) فإذا حفظ ما فيه (محاه) صباحا ليكتب شيئا جديدا حسب قدرته فإذا استأنس الصبي بالحفظ يبدأ الفقيه بتمرينه على الكتابة عن طريق رسم الكلمات بالطرف الخلفي للقلم القصبي أو بقلم الرصاص وهذا ما يعرف في عرف معلمي الكتاب ب"التحناش" أو

[1] ـ المقدمة، عبد الرحمان ابن خلدون، ص:528، دار النشر لبنان.
[2] ـ القراء والقراءات بالمغرب، سعيد اعراب، ص:10، ط 1، 1990.

"الرشم" ثم يقوم الصبي فعلا باتباع الخطوط التي وضعها الفقيه وغالبا ما يكون خط التلميذ عند كبره مشابها لخط معلمه الأول الذي دربه على الكتابة في المرة الأولى.

وبعد إتقان مهارة الكتابة ينتقل الفقيه بالمتعلم إلى مرحلة الإفتاء، والإفتاء هنا ليس بالمعنى الشرعي، إنما هو عملية إملاء الفقيه على المتعلم الآيات الجديدة الموالية في الحزب أو الجزء الذي يحفظه فيه بالتدرج، ولهذه العملية سر في سهولة حفظ ما أملاه الفقيه على المتعلم بخلاف ما يكتبه المتعلم من المصحف إذا غاب الفقيه أو حال دونه عائق أو حائل لعدم حضور عمليات الكتابة صباحا، وما دمنا نتحدث عن المدرسة القرآنية المغربية وما يتعلق بها وطرقها الناجعة في الحفظ والتحفيظ لا باس أن نشير إلى بعض الجوانب المساعدة على ذلك.

المبحث الرابع: الحفظ

وحفظ القرآن في الصدور ظاهرة مغربية بامتياز كما هو معلوم وكما اشرنا إلى ذلك مرارا وتكرارا في هذا البحث المتواضع ومن الوسائل المساعدة أذكر منها:

المطلب الأول: تجزئة المقدار المراد حفظه وكتابته في "اللوح" الخشبي المعد لذلك وهذا المقدار أو الكمية تقدر حسب قدرات المتعلم.

المطلب الثاني: استعمال اللوح الخشبي وهذا المطلب مرتبط بالذي قبله حيث استعمال اللوح يساعد على تفكيك المقدار الذي يستطيع الصبي أن يحفظه حسب سنه وقدراته الإدراكية بهذا يكون فقهاؤنا في الكتاتيب القرآنية بالمغرب أول من أدرك تيسير المقروء بالانطلاق بالمتعلم من الجزئي إلى الكلي، ومن السهل إلى الصعب، وهي طريقة تربوية معروفة بنتائجها الحسنة المحققة فلو اعتمد المغربة طريقة الحفظ المباشر من المصحف لكان ذلك مدعاة لخلق الإحباط في نفس المتعلم الذي يجد نفسه مع صغر سنه أمام كتاب ضخم، مطلوب منه أن يحفظه في آخر المطاف[1].

[1] ـ مقال في كتاب: "الكتاتيب القرآنية: الأهداف، الآليات والآفاق"، محمد حافظ، 67/1، منشورات الأوقاف، الطبعة الأولى، 2009.

المطلب الثالث: تطبيق البرنامج اليومي بكامله.

من الظروف المساعدة على حفظ القرآن الكريم في المغرب حسب الطريقة التقليدية في التحفيظ تفرغ المتعلم والمعلم معاً لهذه المهمة ومواصلة الليل بالنهار حسب برنامج مدروس يأخذه الخلف عن السلف من كتابة الألواح في الصباح إلى تصحيحها (وسلكها)[1] مع المتعلم لتبدأ عملية الحفظ مباشرة اليوم كله عدا فترة ما قبل الظهر وما بعد صلاة العصر لتستأنف بعد صلاة المغرب وقبيل العشاء[2] على أن تستأنف قبيل طلوع الشمس ثم (العرض) وهو استظهار اللوح أمام الفقيه ليوافق المحو وثم الكتابة من جديد وهكذا دواليك يقتصر المتعلم في فترة الصباح على قراءة (الجديد) أي ما كتبه أو ما كتب له في اللوح كما يشتغل في الفترة المسائية على قراءة وتكرار (البالية) أي الوجه من اللوح الذي كتبه بالأمس ليمحوه غدا.

المطلب الرابع: التكرار.

وهو استظهار القدر أو الجزء الذي اجتازه المتعلم وذلك حسب الأهمية والترتيب في المراجعة، يعطى الأهمية يوميا (للمحية) الجديدة فيكرر ما محاه من اللوح في ذلك اليوم مع ربطه بما قبله فيكرر هذا الجزء عدة مرات تصل إلى ست مرات أو يزيد كما يهتم بحزب (اللوح)، ثم (الخامسة)[3] الجديدة وهذه المصطلحات معروفة لدى المتعلمين في الكتاتيب والمساجد وأحسن الأوقات المفيدة في التكرار وقراءة (الأسوار) وقت السحر عندما يستيقظ المتعلم باكرا وذهنه فارغ يستوعب ما يقرأ ويحفظه عن ظهر قلب لاسيما إذا اجتمع إثنان أو أكثر على القراءة الجماعية.

المطلب الخامس: القراءة الجماعية:

[1] ـ سلك اللوح مع المتعلم مصطلح خاص بهذا الميدان بمعنى أن يقرأ الفقيه اللوح مع المتعلم لكي يقف على صحة المتن وكيفية النطق.
[2] ـ وتسمى عملية حفظ الألواح في فترة ما بين صلاة المغرب وآذان العشاء بمصطلح (أَغَّاضْ) في الأطلس الكبير إلى سوس.
[3] ـ في القرآن الكريم 12 خمسة في كل منها خمسة أحزاب ليصل العدد إلى 60 حزبا.

وهي وسيلة ناجعة في تثبيت القراءة في أذهان المتعلمين فيذكر بعضهم الآخر بمسائل المتشابهات وطريقة الأداء وقد سبق أن قلنا أن القراءة الجماعية ترجع إلى عهد الصحابة منهم الصحابي الجليل أبو الدرداء في محضرته بدمشق وسمى هذه القراءة الجماعية (دراسة)، وقد راجت القراءة بهذه الكيفية الجماعية بإفريقية والغرب منذ بعثة عمر بن عبد العزيز وفي عهد وليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر المخزومي القرشي الذي كان مهتما بالقرآن حتى بعد عزله من الولاية، وقد أشار الباحث الدكتور عبد الهادي حميتو أن ابن أبي المهاجر اقترن اسمه بظهور القراءة الجماعية المسماة بالدراسة[1]. وأوضح أنها ظهرت (أي الدراسة) وهي مصطلح على القراءة الجماعية في حلقة الصحابي الجليل «أبو الدرداء عويمر بن زيد وكانت حلقة حافلة في مسجد دمشق يبلغ تعداد من تضمه ألفا وستمائة ونيفا»[2].

ولتعزيز ما أشرنا إليه من يومية معلم القرآن ومتعلمه ـ أي الطالب والمحضر ـ بتعبير المغاربة أسرد نصا بطوله من كتاب: " تحفيظ القرآن بتافيلات" تحت عنوان: " يوم طالب القرآن" فقد عبر المؤلف عن برنامج طالب القرآن بخبرة من عايش التجربة ومارسها بالفعل، فقال: «ولتدرك أخي القارئ عظم مسؤولية الطالب القرآني وشدة انشغاله به أسوق إليك برنامج اليومي بليله ونهاره عندما يصلي الصبح مع الجماع ويحضر حزب الصباح في المسجد يذهب إلى بين المحضرة ـ المدرسة ـ ليستظهر لوحه على الشيخ والاستظهار في هذا الوقت مقصود»[3].

فقد أشار الكاتب إلى جميع المراحل التي أشرنا إليها ليشير إلى أن الطالب «بعد صلاة المغرب وقراءة الحزب مع الجماعة يجتمع في المدرسة مع زملائه لمراجعة حزب الصباح والمساء جماعة وبطريقة جيدة»[4].

---

[1] ـ قراءة الإمام نافع عند المغاربة، حميتو،80/1، نقلا عن مصادر تاريخية مهمة كتاريخ دمشق لابن عساكر والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي وسير أعلام النبلاء للذهبي.

[2] ـ نفسه.

[3] ـ تحفيظ القرآن بتافلالت: التاريخ، المميزات، والمنهج، أبي زكرياء محمد صغيري، ص:66.

[4] ـ نفسه، ص: 67.

ثم أشار المؤلف إلى فائدة هذه القراءة الجماعية «وفي هذه المراجعة يستفيد الطالب كثيرا ممن سبقوه ويستمر على القراءة الجماعية المجودة بالطريقة المتقنة السالمة»[1].

والقراءة الجماعية تعين الطالب على التمكن من الحفظ والاستظهار والأداء الجيد مع تجنب خطأ الخلط ومتشابه اللفظ كما في قصص فرعون وموسى في الأعراف وطه والشعراء .

وهذه القراءة الجماعية عند المغاربة متنوعة حسب المناطق، هناك الطريقة الفيلالية، وهي أيضا متنوعة وبعضها تراعى فيها بعض قواعد التجويد ك (القلقة) برمز (قطب جد)، وهناك طرق أخرى وصيغ أخرى للقراءة الجماعية في (جبالة) والحوز وسائر المناطق، وقراءة (تحزابت) معروفة في الحوز خاصة عند طلبة مدرسة سيدي الزوين غرب مدينة مراكش، ومعروفة في أحواز مراكش وجبال الأطلس وسوس، وتقرأ أيضا بجبال الريف بالطريقة المعروفة عندهم ب (الصغة)، ويلتجئ إليها ملة القرآن في الولائم عندما يتم إكرامهم بل تجدهم يتنافسون عبر تكوين مجموعتين أو مجموعات تتلو كل جماعة ربعا من الحزب ثم تتلوا أخرى الربع الذي يليه ويسمى هذا التنافس عندهم ب (تقوَّاسْت)، حتى قال أحد الفقهاء يوصي (الطلبة) بالتحزيب (تحزابت) أن يشتغلوا بتلاوة القرآن بهذه الطريقة ولا يبالوا بالمسائل الفقهية التي تلهيهم عن قراءة القرآن برواية ورش، ومعروف عند (الوراشة) أن قراءة (تحزابت) وهي مقياس الحفظ الجيد للقرآن الكريم نعت من لم يكن حفظه متقنا لا يستطيع أن يقرأ تلك القراءة الجماعية المعروفة (تحزابت)[2]. ونورد هذه الأبيات التي هي عبارة عن وصية وحث تلاميذ الكتاب أو المدرسة القرآنية على هذه القراءة ففيها مدح وثناء وطرافة وذلك بقوله:

تجمعتم مثل الفواكه في (المرشي) ++ فحياكم أزكى التحيات ذو العرش

دعوا عنكم أهل العلم وعلمهم ++ ولا تذكروا الحطّاب عنده ولا الخرشي

فما قصدنا إلا التَّقَوُّسَ وحده ++ ومن أجله جئنا ومن أجله نمشـــــــــــــــي

[1] ـ نفسه، ص:67.

[2] ـ يسميها الوارشة (دكاكة القرآن) وذلك لطول المد الناشئ عن الهمز خاصة مثل (جاء) و(يشاء)

فيا حافظي ورش بكل تجمع ++ أقيموا وغى القراء يا حافظ ورش

ومن غشنا في رفعه الصوت تاليا ++ فإن نصوص الشرع تنهى عن الغش[1].

وقد تبين التنافس واضحا في هذه الأبيات بين (الوارشة) وطلبة العلوم الشرعية بتبادل التهم بين الطرفين، قالوا فالوراشة يتهمون المنقطعين عن حفظ القرآن والمشتغلين بالعلوم الشرعية اللغوية بأنهم لا يحفظون القرآن جيدا، بينما الآخرون يتهمون (الوراشة) بجهلهم الإعراب والفقه، وهذا ناتج عن التفرغ الذي أشرنا إليه لكون المغاربة يتفرغون في المراحل الأولى لحفظ القرآن وإتقان رسمه، ثم بعد ذلك يستأنف من ساعده الحفظ منهم دراسته العلمية فيوفق في ذلك وفي كل خير ويوجد الكثير من القراء حتى القراءات السبع يجيدونها عن طريق الحفظ والممارسة دون أن يكون لهم إلمام بعلم العربية والنحو عاشرت الكثير منهم في مدرسة سيدي الزوين وسوس، في حين يجد المشتغلون بتوجيه القراءات وبمعرفة الحجاج لها وعللها أنفسهم في حاجة إلى علوم العربية نحوها وصرفها وغريبها ولهجات القبائل العربية التي نزل القرآن الكريم بلغتهم أخذا بملاحظة الشيخ الحصري رحمه الله في رائيته المشهورة بقوله:

وقد يدعي علم القراءات معشر ++ وباعهم في النحو أقصر من بشر

ولعلنا نستطيع هنا أن نثبت حاجة موجه القراءات إلى علوم اللغة دون القارئ الذي يحفظ القراءة ويحفظ من تنسب إليه دون أن يذكر العلة والحجة كشأن الموجه، والموجه ه من توفرت فيه شروط علم توجيه القراءة بحججها وعللها وتواترها، وله دراية كذلك في لغة العرب ولهجات قبائلها فيذكرون في قراءة الحرف الوجه الذي اختاره القارئ والمقرئ الذي علل اختياره، معتمدا على الرواية والنقل ثم اللغة، ولولا مخافة الخروج عن دائرة البحث لأتينا بأمثلة[2].

[1] ـ الكتاتيب

[2] ـ نكتفي بالإشارة إلى أمهات الكتب في علم توجيه القراءات وعللها، كحجة أبي على الفارسي وعطى بن أبي طالب القيسي في كتابه (الكشف) وحجة ابن خالويه وابن زنجلة والمهدوي وابن جني في توجيه القراءات الشاذة.

أما القراء سواء منهم من اقتصر على قراءة نافع برواية ورش أم تجاوزها إلى غيرها من القراءات السبع أو العشر فيعتمدون على الحفظ في الألواح والسماع من أفواه الشيوخ يستعينون بها لنسب القراءة إلى القارئ أخذا من منظومة الشاطبي "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع" في قوله رحمه الله يذكر الحروف التي يرمز إلى القراء حيث المتعاطين لقراءات يحفظونها عن ظهر قلب بأخذهم ذلك عن الشيوخ ومنها قوله رحمه الله لتقريب القراء من القارئ المبتدئ:

وَهَا أَنَا ذَا أَسْعى لَعَلَّ حُرُوفَهُمْ *** يَطُوعُ بِهَا نَظْمُ الْقَوَافِي مُسَهّلاَ

جَعَلْتُ أَبَا جَادٍ عَلَى كُلِّ قَارِئٍ *** دَلِيلاً عَلَى المَنْظُومِ أَوَّلَ أَوَّلاَ

وَمِنْ بَعْدِ ذِكْرِى الْحَرْفَ أُسْمِى رِجَالَهُ *** مَتَى تَنْقَضِي آتِيكَ بِالْوَاوِ فَيْصَلاَ

رموز القراء رحمهم الله.

وهذا جدول لبيان رموز القراء مجتمعين ومنفردين نستخلص من نظم الناظم رحمه الله

جَعَلْتُ أَبَا جَادٍ عَلَى كُلِّ قَارِئٍ *** دَلِيلاً عَلَى المَنْظُومِ أَوَّلَ أَوَّلاَ

إلى أن قال : وَمِنْهُنَّ لِلْكُوفِيِّ ثَاءٌ مُثَلَّثٌ

إلى قوله: وَحِصْنٌ عَنِ الْكُوفِي وَنَافِعِهِمْ عَلاَ

كما يتضح في الجدول:

رموز الانفراد			رموز الاجتماع	
أبج	أ	نافع		
	ب	قالون	ث	الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي)
	ج	ورش	خ	القراء السبعة ماعدا نافع
د ه ز	د	ابن كثير	ذ	الكوفيون وابن عامر
	ه	البزي	ظ	الكوفيون وابن كثير
	ز	قنبل	غ	الكوفيون وأبو عمرو
حطي	ح	أبو عمرو	ش	حمزة والكسائي
	ط	الدوري	صحبة	حمزة والكسائي وشعبة
	ي	السوسي	صاحب	حمزة والكسائي وحفص
كلم	ك	ابن عامر	عم	نافع وابن عامر
	ل	هشام	سما	نافع وابن كثير وأبو عمرو
	م	ابن دكوان		
نصع	ن	عاصم	حق	ابن كثير وأبو عمرو
	ص	شعبة	نفر	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
	ع	حفص	حرمى	نافع وابن كثير
فصق	ف	حمزة	حصن	الكوفيون ونافع
	ص	خلف		
	ق	خلاد		
رست	ر	الكسائي	وهكذا رمز الشاطبي رحمه الله إلى القراء السبعة ورواتهم منفردين ومجتمعين بالحروف التي يحفظها القراء ليسهل عليهم معرفة القارئ باختصار مع راويه	
	س	أبو الحارث		
	ن	الدوري		

وأذكر رمزية بعض المتأخرين تكتب للمبتدئين ليعرفوا القراء السبعة ورواتهم أكتفي بهذين البيتين:

(أبجـ) ألف عن نافع ثم ياؤها ++ لقالون والجيم لورش تحصلا

(دهـ ز) دال المكي والهاء لأحمد ++ ومهما رأيت الزاي فانسب لقنبلا[1]

إلى آخر البيت السابع.

ومثال هذه الرمزية في بيت الشاطبي رحمه الله:

وقيل وغيض ثمّ جيء يشمّها ++ لدى كسرها ضمّا رجال لتكملا[2]
وحيل بإشمام وسيق كما رسا ++ وسيء وسيئت كان راويه أنبلا[3]

أشار الناظم في الشطر الثاني من البيت إلى أن الكسائي وهشام الذي رمز بالراء في رجال إلى الكسائي وباللام في لتكملا لهشام أنهما يقرآن (قيل وغيض وجيء) بالإشمام حيث يملون بالكسر نحو الضمة في قراءة بكسر الحرف الأول ضما كما قرأ بالإشمام في ذلك كل من ابن عمر الشامي والكسائي في (وحيل) بينهم وبين ما يشتهون في نبأ (وسيق) في الموضعين في الرمز وقرأ ابن عامر والكسائي ونافع بالإشمام في (سيء بهم) في العنكبوت وهود (وسيت) في الملك.

وكيفية الإشمام في هذه الأفعال : أن تحرك الحرف الأول منها بحركة مركبة من حركتين ضمة وكسر وجزء الضمة مقدم وهو الأقل، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر ولا يضبط هذا الإشمام إلا التلقي والأخذ عن أفواه الشيوخ[4].

وذكرني الشيخ الفاضل بباقي الأداءات الصوتية في القرآن الكريم فالإشمام كالإمالة والاختلاس والإخفاء والروم فهي جميعا لا يمكن إدراكها بالكتابة والقراءة إذ لابد من أخذها عن الشيوخ كما قال الجشتمي رحمه الله في الإمالة:

فلا تكسر الحرف الممال بل الزمن ++ له التح إذ علم الإمالة في القبر

---

[1] ـ القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ص: 202 ـ 204.
[2] ـ من نظم حرز الأماني للشاطبي.
[3] ـ وبتعبير أدق أنني مثلت بالبيتين الطريقة الرمزية التي يقرأ بها المغاربة لمعرفة القراء ورواتهم عن طريق الحفظ والممارسة وباعتماد حفظ منظومة الشاطبي، وهكذا ففي البيت الأول الإشارة إلى من يقرأ (قيل) و (غيض) و (جيء) بالإشمام وهما اثنان الرامز إليها بالراء رجال (الكسائي) واللام في لتكملا (هشام) و (حيل) و(سيق) يشمها كما ورسا أي ابن عامر المرموز له ب ك والكسائي المرموز له ب ر كما كان الأمر بالإشمام (سيء) و(سيئت) كان راويه ابن عامر والكسائي.
[4] ـ الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، ص: 166، ط 10، دار السلام للتوزيع والنشر القاهرة، 2015.

موجها رحمه الله هذا الخطاب إلى بعض القراء الذين ينطقون الحرف الممال بالكسر الخالص والفتح المحض، ولكننا في زماننا هذا في أشد الحاجة إلى من نأخذ عمهم نطق الإشمام والإمالة والروم والأداء بصفة عامة، في زمن تصدر فيه للتدريس كما قال الآخر[1].

ولكن الله تعالى الذي تكفل بحفظ كتابه من الضياع سيلهم من يقوم بهذا الواجب في كل جيل ويقيض لهذه الأمة من يحافظ على كتابها العزيز قراءة ورسما وأداء وما ذلك على الله بعزيز.

وحقيقة الإشمام وتعريف كيفية أداء العضو الشفتين للكلمة القرآنية المراد قراءتها بالإشمام كما قال ابن جرير رحمه الله: وصفة الإشمام إطباق الشفاه ++ بعد السكون والضرير لا يراه

وفي الروم يقول كذلك: فالروم إضعافك صوت الحركة ++ من غير أن يذهب رأسا صوتكه

والمعنى أن حركة شفتي القارئ بالإشمام لا يحس به ضرير (أعمى) إن كان بجانبه، وذلك بالإشارة بالشفتين إلى الأمام دون إحداث صوت، عكس الروم الذي يترك صوتا خفيفا يمكن أن يدركه الضرير بحاسة السمع، كما أن هناك وسيلة أخرى تحظى باهتمام المغاربة، ولها دور في استمرار حفظ القرآن في صدور المغاربة وهو قراءة الحزب.

المطلب السادس: قراءة الحزب الراتب

وإذا أطلق الحزب في عرف المغاربة مطلقا فيعنون به ذلك الجزء من القرآن الذي يقرأ بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب يوميا في مساجد المغرب، ويساعد المتعلمين على الأداء والتذكر، إذ القراءة مع الجماعة التي تلقت القرآن مشافهة عن الشيوخ

[1] ـ تصدر للتدريس كل مهوس بليد تسمى بالفقيه المدرس.

بالقراءة نفسها والرواية عينها، فكان هذا الحزب إرثا حضاريا مغربيا خالصا منذ العصر الموحدي إلى الآن يقرؤون المتعلمين مرتين أو ثلاث مرات في اليوم عن طريق الإعادة والإعداد القبلي، فقراءة الحزب بالنسبة للإمام داخل في نطاق الشرط، وهو المعيار الذي يوزن به وزن الفقيه الإمام الذي يؤم الجماعة في صلواتها الخمس والجمع والأعياد، إذ لا يتأتى له قراءة الحزب إلا إذا كان من حفاظ كتاب الله حفظا متقنا وبه تزداد مكانة الإمام لدى الخاصة والعامة في الحي، فالكل يتبرك بقراءة الحزب مع الإمام أو بالاستماع إلى كلام الله يتلى في المسجد صباح مساء كل يوم، وهذا الإرث الحضاري ورثه المغاربة عن تلاميذ مالك رضي الله عنه فلم يكن منطلقهم من فراغ كما يدعي المغرضون.

لقد كان الشيخ محرز[1] التونسي تلميذ ابن أبي زيد القيرواني المعروف بمالك الصغير، صاحب الرسالة المشهورة في الفقه ، كان الشيخ محرز هذا يقتصر على قراءة حزب الصباح تم تطور الأمر في شأن قراءته حتى أصبحت قراءته رسمية في عهد الموحدين كما أشرت إلى ذلك في المغرب الأقصى، فأصبح واقعا يدور مع الشهر القمري في الغالب، غير أن الحزب الشهري لا تتم به قراءة القرآن كله في حال ما إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوما بعدم قراءة حزب مساء يوم التاسع والعشرين إذا كان الشهر غير مستوف الثلاثين يوما، وبعد قرون ظهر الحزب الناصري المعروف لدى المغاربة بحزب الشيخ، إشارة إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر الدرعى[2] التمكروتي (ت 1129 ه) في عهد الدولة العلوية عصر مولاي إسماعيل، فيختم القرآن بمقتضى هذا الترتيب في المساجد والزوايا في مدة خمسة وثلاثين يوما بقراءة سورة الكهف مساء كل يوم خميس وسورة يس والزخرف والواقعة والملك صباح كل جمعة تبركا بتكرار هذه السور في الشهر وعلى هذا الأساس عرف حملة القرآن وأئمة المساجد الأحزاب التي تقرأ في المساء والصباح كل يوم، وتختم السلكة حسب هذه الطريقة يوم الأحد، وينتظر رواد المساجد والسكان المجاورون للمسجد حضور ختم السلكة بقراءة حزب الستين

[1] ـ أبو محمد محرز بن خلف، توفي 413 هـ تلميذ ابن أبي زيد القيراوني.
[2] ـ القراءة الجماعية والحزب الراتب في المغرب، عبد الهادي حميتو، ص:63.

(سبح) مع الدعاء المشهور بسيد الأدعياء مع قراءة بعض المنظومات التي تحتوي على التوسلات وأسماء الله الحسنى مثل:

بدأت ببسم الله في أول السطر +++ فأسماؤه حصن منيع من الضر

وصليت في الثاني على خير خلقه+++ محمد المبعوث بالفتح والنصر

وربما أضافوا قدرا من قصيدة البردة في مدح الرسول مع قدر من همزية البوصيري كذلك في الموضوع نفسه، وبختم القرآن وقراءة التوسلات والأمداح والدعاء يقدم بعض السكان والحاضرين بعض الهدايا لحملة كتاب الله بهذه المناسبة، رغبة في الدعاء الصالح عند ختم القرآن، وهكذا كان الإيمان بفضل القرآن وثواب قراءته عند المغاربة.

وبهذا الصدد أشير إلى أن بعض الجهات في مغربنا يحبس محسنوها أحباسا خاصة بليلة ختم سلكة الحزب الراتب، كما لخص ذلك الدكتور عبد الهادي حميتو في كتابه: " القراءة الجماعية والحزب الراتب في المغرب، نقلا عن علماء أجلاء خلدوا هذه الظاهرة التي سادت وعرفت بمدن المغرب وقراه وبواديه، ومن أمثلة هذا الوقف ما أشار إليه المؤلف نقلا عن المؤرخ الفذ العلامة المختار السوسي حول الفتوى التي أفتى بها أحد علماء سوس حول التمر المحبس لليلة الختم، ففي جوابه عن ذلك قال: «إن التمر المحبس على قراءة الحزب يأكلونها عند الختمة سواء كان على رأس الشهر أو في غيره جائز، ومراد المحبس أن يأكل من حضر الختمة على وجه الصدقة والمعروف فيستوي في ذلك الطلبة الملازمون للحزب والطلبة غير الملازمين له والحاضرون للختمة من العامة والصبيان ولا حرج في ذلك، لأن مقصد المحبس به الصدقة ونيل البركة من الختمة والحزب والدعاء لهم، وذلك يستوي فيه الجميع والحمد لله»[1].

[1] ـ القراءة الجماعية، حميتو، ص:117. والفتوى كما رأينا بنت محيطها باستعمال لفظ يأكلوها ويقصد التمر، والتمر في الأمازيغية مؤنث (تيني).

وشاع هذا الوقف في المدن المغربية كذلك بفاس ومكناس ومراكش وغيرها، وقد كانت تأتينا أطباق التين المجفف ليلة الختم بمسجد بومالن دادس في بداية الستينات من القرن الماضي وهذا جدول يبين يوميات الحزب الراتب طريقة حزب الشيخ:

وهذه القراءة الجماعية التي لها دور كبير في إتقان المغاربة بحفظ القرآن الكريم واستمرارهم على حفظه وتذكره وأدائه بمدوده وأصواته، وتحقيق المقاصد منها سواء كانت القراءة الجماعية كالحزب الراتب أو القراءة الجماعية في الولائم بالتبرك بالقرآن الكريم في جميع المناسبات المختلفة في البيوت.

هذه القراءة الجماعية لا تستقيم ولا يتفق القراء على الوقف والابتداء، إلا باتفاق القراءة على بالوقف، وهنا يجمل بنا في هذا الصدد أن نشير إلى عالم جليل من علمائنا الأفذاذ كان له دور كبير في تقييد أماكن الوقف بالتمديد ذلكم هو الإمام المغربي الهبطي[1] رحمه الله.

المطلب السابع: وقف الهبطي أو الوقف النظري

وقف الهبطي أو الوقف النظري كما عنون له الشيخ سعيد وعراب رحمه الله الذي قال: « وبمثله أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي السامتي واضع وقف القرآن بالمغرب وقد تلقاه الناس بالقبول ولا يزال العمل به إلى اليوم»[2]

[1] ـ ولد أبو عبد الله الهبطي في حدود منتصف القرن التاسع الهجري في قرية (اهباطة) بشمال المغرب، والهبطي عالم كبير من تلاميذ ابن غارى، نزل فاس ودرس بها، كان له شأن في التدريس والقراءات والنحو، توفي بفاس سنة 930 هجرية (سعيد وعراب، القراء والقراءات بالمغرب ص:177/176.

[2] ـ نفسه ، ص: 176.

والإمام الهبطي أهلته مداركه العلمية سواء في ميدان القراءات أو مجال معرفته الواسعة بالعربية والنحو، كان تقيا فقيها فرضيا متبحرا في علوم العربية، عارفا بالقراءات ووجوهها، وقد حلاه صاحب السلوة بالشيخ الإمام العالم الهمام الفقيه الأستاذ المقرئ الكبير النحوي الفرضي الشهير[1].

وقد عطل الشيخ اهتمام الهبطي بالوقف لكونه مشتغلا «بتعليم القرآن واشتغاله بتدريب الطلاب على النطق السليم والتلاوة الصحيحة هو الذي دفع به إلى وضعه، بحيث يعرفون كيف يقفون؟ وأين يصلون؟ وما هي مواطن الوصل والوقف حتى لا يختل المعنى وتضيع الحكمة التي من أجلها نزل القرآن الكريم»[2].

والوقف فن جليل القدر به يعرف كيفية أداء القراءة «ولا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية إلا بمعرفة الفواصل، ولا يقوم بهذا الفن إلا من له باع في العربية عارف بالقراءات والتفسير والفقه عالم باللغات التي نزل بها القرآن»[3].

أضف إلى ذلك أن القراءات بالإرداف جعلت القارئ لا يخصص نفسا واحدا للنطق بالكلمة القرآنية، لا يتنفس بين الكلمتين، بمعنى يقرأ قراءتين بنفس واحد، وهذا ما فعل بعض العلماء يفردون تأليفا لتوضيح هذا الإشكال كما هو شأن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي[4] في كتابه ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء، وذكر المؤلف من دواعي تأليف الكتاب «لما رأيته لمنتحلي الإقراء في زمننا وما قبله من ارتكابهم ما نهى عنه أئمة السلف ومن تبعهم من عالمي الخلف في الجمع بين الروايات من تقطيع حروف القرآن والإخلال بنظمه ومعنى الإعجاز فيه وتخليط الروايات به حول بعضها، لأنهم يكررون الكلمة الواحدة من القرآن لاختلاف الروايات فيها في نفس واحد ولا يفصلون

---

[1] ـ نفسه، ص: 177.

[2] ـ القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ص:176. ومن العلوم التي يستعان بها في هذا الباب (الوقف) علم المعاني وخاصة موضوع الفصل والوصل في البلاغة.

[3] ـ نفسه، ص: 176.

[4] ـ ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء ، أبي الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي ت 137 هـ ، تحقيق عبد الله بن محمد إكيد 180/1.

بينها بوقف ولا سكت ولا يعتبرون تعللها لما قبلها ولا لما بعدها فيفرقون بين العامل والمعمول»[1].

وأتى بمثال قال فيه: «فيقرؤون قوله تعالى: ﴿وهو على كل شيء قدير ﴾ شيْءٍ شيْ فينطقون ب (هو) محرك الهاء ثم مسكن الهاء وب (شيء) الأول بالمد لورش وب (شيءٍ) الثاني بالقصر لقالون وب (شئٍ) الثالث بالسكت لحمزة وكل ذلك في نفس واحد من غير سكت ولا فصل لشيء منه عن شئ»[2].

وهذه الإشارة إلى موضوع الوقف جاءت كذكر وسيلة من الوسائل التي تساعد المغاربة القراء باعتماد وقف الهبطي الذي صار معمولا به إلى الآن بالاتفاق على الوقف والابتداء في تناغم تام لذا لا أخوض في أنواع الوقف ولا ما قيل حول وقف الهبطي وتقييده من المؤيدين والمعارضين ويكفي أن وقف الهبطي صار وجها من وجوه عناية المغاربة بالقرآن الكريم كسائر أوجه هذه العناية، وساهم هذا الوقف في الأداء الجيد والمساعدة كذلك في الأداء الفردي لمواصلة القراءة كوقف حرف بينهما فقد نص عليه صاحب "النص"[3] بقوله:

والمحصنات اثنين في أخذ الله ++ نبذناه وعندهم ولما

جاء عيسى تقدموا وعم ++ بينهما بالوقف قل ثمانية

وعن طريق التجربة يدرك مدى مساعدة الوقف على مواصلة المشي بالنسبة للقارئ وكذا معرفة الوصل في المتشابه اللفظي. وفي البيتين الإشارة إلى أماكن الوقف على لفظ (بينهما) في القرآن الكريم وهي ثمانية مواضع حسب الإشارة إلى (ربع) الحزب، وهذا اصطلاح من قبل حفظة القرآن إذ يكتفون بذكر (الربع) الذي توجد فيه الكلمة المقصودة بالنص كي لا يتيه الطالب المتعلم في السورة التي يوجد به (الربع) الذي نوجه به الكلمة، لأن الربع أخص من السورة، غير أنه أحيانا يكتفى بذكر

[1] ـ نفسه ، ص:1.

[2] ـ ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء، علي بن سليمان القرطبي ت 330 هـ

[3] ـ "النص" جملة "أنصاص" وهي عبارة عن قواعد منظومة موضوعها رسم القرآن وإتقان قراءته ولنا عودة إلى التعريف بها وهي ظاهرة مغربية بامتياز.

(السورة)، فيقع الطالب في حيرة من أمره إذا كانت الكلمة المقصودة متكررة في السورة ما هو الشأن في كلمة (لآية) بالتاء المربوطة بدل (لآيات) بالألف المحذوفة والتاء المطلقة، فإن صاحب النص الذي ذكر في نظمه (لآية) فالتاء التي أطلق عليها نعت (القصر) التاء المربوطة بدل التاء المطلقة الطويلة، والشاهد عندنا هنا أنه ذكر أسماء السور التي توجد فيها هذه (لآية) دون أن يذكر أسماء الأرباع في هذه السور مما يصعب على الطالب المتعلم المبتدئ أن يهتدي مباشرة إلى هذه الكلمة في أرباع الأحزاب من السور فيقول الناظم:

ءلاية فاعلم مقصورنا +++ عدة لهم صحت لنا عشرونا

أولهم في البكر والعمران +++ وهد هداك الله يا إنسان

وخسة مجموعة في النحل +++ وربما ثم سبإ والنمل

ثمانية فاعلم بها في الشعراء +++ فارح قارئه ياخالق الورى

وكما سنتحدث فيما بعد عن طبيعة هذا النظم الخاص "بانصاص القرآن" حيث الإعراب والصرف بعدم الالتزام بقواعد النحو لأن أغلب الحفاظ لا يتقنون القواعد ويشفع لهم أنهم حفظوا القرآن في متنه ورسمه ويعرفون موقع كل كلمة وكيفية كتابتها في القرآن كله أما الشاهد من هذا النص الذي بحث فيه في ذاكرتي حيث حفظته منذ الصبا زمن الحفظ على رحمه الله للاستشهاد به على الفكرة التي أشرت إليها، حيث الناظم اكتفى بالسور التي توجد فيها (ءلاية) بصيغة المفرد عكس (ءلايات) أخرى توجد حسب السياق المناسب في سور أخرى.

وبعد التفكير مليا اهتديت إلى (نص) اعتمد فيه ناظمه على ذكر (الأرباع) التي توجد بها (ءلاية) بدل الاكتفاء بالسور، وذلك لكون عنوان الوصول إلى (ءلاية) واضحا بدون عناء[1].

والنص كما يلي:

(ءلاية) نصبتين عشرون +++ خرجوا اصطفى وإلى مدين

نبئْ عباديَ وقل ثانيه +++ إثنان في أتى من غير وسطه

وقال الله ثلاثة بيان +++ وباخع لا ضير في اثنان

أنومن أربع أوفوا زده +++ سننظر فأمن وينته

وفيما يلي محاولة لرفع الوهم لمن تساءل ما الفائدة من إحصاء كلمة (ءلاية) في القرآن كله منها: عدم الخلط بالنسبة للمتعلم الذي يعتمد على حفظه ما يقرأ وما يكتب له في اللوح وألا يقرأ الكلمة بضمتين، مع العلم أن (ءلاية) إسم إن التي للتوكيد مؤخر ولام الابتداء للتأكيد والمشار إليه قبلها (ذلك) للإشارة إلى السياق الذي تحدث عنه القرآن عن عظمة الله أو معجزاته أو عظاته ليأخذ المسلمون العبرة مما لحق الأمم السابقة، وكثيرا ما تأتي هذه (ءلاية) في السور المكية، وفي ذلك فائدة عظمى للقارئ ليفرق بين (ءلايات) بالجمع و (ءلاية) في سور أخرى لأن الله تعالى أكد أنه تولى حفظه القرآن من التغيير والتحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فكل تغيير بالزيادة أو النقص يعتبر تحريفا للقرآن الكريم الذي لا يجوز عمدا و جهلا، وهذا الاستطراد الذي في نظري لا يخلوا من فائدة جرنا إليه الحديث حول (الوقف) في كلمة (بينها)حيث يساعد السكت على الحرف في مواصلة إذ صرف (بينهما) في القرآن موجودة بكثرة فبعضها نقف عليها ونصل بعضها كما هو معروف ولجماعة المسجد دور فعال في استمرار حفظ القرآن الكريم وقراءة جماعة بعد صلاة الصبح والمغرب، وذلك باشتراط تمكن الإمام من

[1] ـ اتصلت في هذا الشأن بأحد الأئمة المعروفين في إقليم أزيلال بحفظهم للقرآن ومثله معه من الأنصاص وهو السيد إبراهيم في جماعة سيدي يعقوب ناحية دمنات.

حفظ القرآن ولعمارة المسجد بقراءة الحزب الراتب ولقيام الليالي الرمضانية بصلاة التراويح.

المطلب الثامن: صلاة التراويح

لقيام رمضان وصلاة التراويح في رمضان دور كبير في تشجيع الأئمة أو مشروع الإمام بحفظ القرآن بالمغرب، ذلك أن العادة جرت بالغرب على قراءة الإمام في التراويح من حفظه عن ظهر قلب وبالتتابع للأحزاب من البقرة إلى سورة الناس حسب استطاعة الإمام والمامومين من حيث القدرة على الوقوف (ليصلي بالربع أو الثمن) فلم يقبل المغاربة أن يؤمهم إمام يقرأ من المصحف في التراويح وغيرها كقيام ليلة القدر فكان هذا سببا من الأسباب الرئيسية التي جعلت الأئمة لا يقدمون على الشرط حتى يتقنوا حفظ القرآن الكريم كله، كانت هذه عادتنا ولم تصلنا بعد عدوى الشرق في هذه الظاهرة، ظاهرة قلب أوراق المصحف والقراءة فيه أو منه وهو يؤم المصلين، وفي ذلك ما فيه من قطع تيار تواصل الخشوع، يبقى الإمام والخالق فحين يشتغل بقلب الأوراق أو الاشتغال بالمصحف بكفه وهو راكع وساجد يكون تيار تواصل الخشوع قد انقطع.

ولهذا فالإمام الذي لا يأنس من نفسه قراءة القرآن من حفظه لا يرشح نفسه للإمامة خشية أن يفتضح أمره أمام الجماعة في صلاة التراويح وقيام ليلة القدر، ولهذا السبب دور فعال في حفظ القرآن في الصدور بالمغرب والحمد لله.

وهذه إشارة إلى بعض الوسائل التي لها دور في تشجيع المغاربة على حفظ القرآن الكريم، واستمرارهم في حفظه وأدائه وبرسمه وآلياته، حتى عرفوا في العالم الإسلامي بهذه الظاهرة التي تعتبر وجها حقيقيا من ناحية الحضارة الإسلامية باستحضار الأصل الحضاري للثقافة الإسلامية وهو القرآن الكريم.

الفصل الرابع: اعتبار العناية بالرسم القرآني وجها من وجوه الحضارة الإسلامية بالمغرب

تعلم رسم القرآن الكريم وجد بوجود النص القرآني، لأنه به كتب الصحابة وبه كتب المصحف العثماني الذي نكتبه، ولذلك سعى المغاربة أو بالأحرى المشتغلون منهم بالقرآن الكريم إلى البحث عن وسائل تساعدهم على المحافظة على النص القرآني وتعينهم على حفظ المتن ـ الأصل ـ وحسن الأداء، وهو إذن علم منبثق من القرآن من

أجل خدمة القرآن كسائر العلوم التي انبثقت تلقائيا وآليا من القرآن الكريم، كالقراءات والنحو والبلاغة والتفسير واللغة...

ومن جهة أخرى هناك أصل لا يمكن فصله عن الرسم القرآني وهو الخط العربي، كالحديث عن نشأته وأصله وتطوره والخط المغربي والرسم العثماني، وهذه الخطوات ستمهد أمامنا الطريق إلى بسط الحديث حول الرسم القرآني بالمغرب، ودور وسيلة (الأنصاص) في المحافظة عليه كوجه من أوجه الحضارة الإسلامية بالمغرب.

المطلب الأول: الخط العربي

الخط والرسم والزبر والرشح مسميات ومترادفات المعنى، فالخط في لسان العرب لابن منظور: «وخط القلم أي كتب وخط الشيء يخطه كتبه بقلم وغيره»[1].

كقول الآخر: فأصبحت بعد خط بهجتها +++ كأن قفرا رسومها قلما[2].

وفي المعجم الوسيط: «والخط السطر، والكتابة ونحوها مما يخط وكل مكان يخطه الإنسان لنفسه ويحفره»[3].

والخط والكتابة علامة تحضر الأمة وعنوان تقدمها فلولا وجود الخط العربي رغم ما قيل حوله من آراء مختلفة لما وجدنا وسيلة تخلد هذه القيم الحضارية التي تشهد بعظمة تاريخ الأمة العربية الإسلامية وتراثها الديني والثقافي والأدبي، وللخط صلة باللغة إذ رافق الخط اللغة في جميع مراجعها.

وأصل الخط العربي موضوع طويل يستلزم البحث فيه وقتا طويلا ودراسة متخصصة معمقة والروايات فيه مختلفة من قبل قدماء الباحثين العرب والمستشرقين ومن قبل المحدثين على حد سواء من الفريقين.

غير أن المتخصصين يرون أنه «تطور من الخط النبطي والأنباط عرب عن طريق الأنبار ثم الحيرة»[1]، وفيما يلي نص نورده على طوله للإمام الزرقاني في كتاب

[1] ـ لسان العرب، ابن منظور، 101/5.
[2] ـ يريد أرضا أصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها، نفسه ص: 101.
[3] ـ المعجم الوسيط، الزبيدي، 667/1.

"مناهل العرفان في علوم القرآن" وفيه شهادة للصحاب الجليل عبد الله بن عباس في الموضوع، فتحدث عن العرب وقت نزول الوحي على أنهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون إلا الشاذ منهم بقوله: «وكادت تتفق المؤرخون على أن قريشا في مكة لم تأخذ الخط إلا عن حرب بن أمية بن عبد شمس لكنهم اختلفوا فيمن أخذ عن حرب»[2]، ثم ذكر بعض الروايات التي يوثق بها فنسب إلى أبي عمرو الداني رواية «تذكر أنه تعلم الخط (أي حرب بن أمية) من عبد الله بن جدعان وفيها يقول زياد بن أنعم: قلت لابن عباس: معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاء بالألف واللام والميم والشكل والقطع وما يكتب به اليوم»[3].

ثم قال وقال ابن عباس: «نعم، قلت فمن علمكم الكتابة؟ قال: حرب بن أمية، قلت: فمن علم حرب بن أمية؟ قال: عبد الله بن جدعان، قلت: فمن علم عبد الله بن جدعان، قال: أهل الأنبار، قلت: فمن علم أهل الأنبار، قال: قارئ قرأ عليهم من أهل اليمن من كندة، قلت فمن علم ذلك القارئ؟ قال: الخلجان ابن الموهم كان كاتب هود نبي الله عز وجل»[4].

أما رواية الكلبي فتقول: «إن حربا تعلم الكتابة من بشر بن عبد الملك مشيرا إلى أن أول من كتب بخطنا هذا هو الجزم[5] مرارة بن مرة وأسلم بن سدرة وكذا عامر بن جدرة، وهم عرب طيء تعلموا من كاتب الوحي سيدنا هود عليه السلام ثم علموه أهل الأنبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرهما فتلمها بشر بن عبد الملك أخو كيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكانت له صحبة مع حرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق، فتعلم حرب منهم الكتابة ثم سافر معه بشر إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان فتعلم من جماعة من أهل مكة»[6].

---

[1] ـ مقدمة كتاب: "الخط العربي: نشأته وتطوره، عادل الألوسي، ص:9 مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1 القاهرة 2009.
[2] ـ مناهل العرفان، الزرقاني، 201/1.
[3] ـ نفسه، 201/1.
[4] ـ نفسه، 201/1.
[5] ـ الجزم سمي به الخط لأنه جزم أو قطع من الخط المسمى بالمسند وهو خط حمير (المرجع نفسه).
[6] ـ نفسه، 201/1.

والروايتان معا ترجعان أصل الخط إلى كاتب الوحي سيدنا هود عليه السلام، فتعلمه أهل الأنبار في العراق من اليمن ومن العراق إلى مكة والدليل على أن أهل مكة كانوا يكتبون ما ثبت في السيرة النبوية في أسرى بدر من قريش من ليس له مال يفدي به نفسه من الأسر عليه أن يعلم عشرة من أطفال المسلمين بالمدينة الكتابة والقراءة فيطلق سراحه، وفيه إشارة أيضا إلى اهتمام الإسلام بالعلم والمعرفة إضافة إلى أن أول آية نزلت هي: "اقرأ".

وكون قريش تعلموا الخط من دومة الجندل أمتن عليهم شاعر منهم بهذا الصنيع فقال:

لا تجحدوا نعماء بشر عليكموا +++ فقد كان ميمون النقيبة أزهرا

أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو +++ من المال ما قد كان شتى مبعرا

فأجريتم الأقلام عودا وبدأة +++ وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا

وغنيتموا عن مسند الحي حمير +++ وما زبرت في الصحف أقلام حميرا

هذا شأن أهل مكة، أما أهل المدينة فقد كان أهل الكتاب من اليهود منهم «يهودى يعلم الصبيان الكتابة»[1].

وجاء القرآن وفيه من الآيات ما يشجع على القراءة والكتابة كسورة القلم التي يقول الله تعالى فيها: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، وفيها أن القلم به سيتعلم الإنسان ما لم يعلم، وأن الله تعالى يقسم بأعز مخلوقاته فأقسم بالقلم ﴿ن، والقلم وما يسطرون﴾ فذكر من مادة الكتابة والكتاب والصحف في عدة آيات يرجع إليها في الكتاب الكريم.

المطلب الثاني: تطور الخط العربي قبل نزول القرآن وبعد نزوله.

[1] ـ مناهل العرفان، الزرقاني، 201/1.

ذكر ابن خلدون في المقدمة ما يتعلق بتطور الخط العربي: «ولقد كان الخط العربي بالغا ما بلغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت الحضارة والترفه وهو المسمى بالخط الحميري وانتقل منها إلى الحيرة ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر»[1].

وأشار كاتب الخط العربي تطوره ونشأته في الهامش «أن الحميرية خط أهل اليمن قوم هود، وهم كما تذكر المصادر: عاد الأولى وكانت كتابتهم تسمي الحميرى»[2].

وفيما يخص الأصل والنشأة كما ألمحنا بالإشارة إلى حقيقة جزء بسيط منه، تبقى للخط العربي جذور بعيدة تمتد في القدم إلى خطوط أخرى أقدم منها، لم تزل تلك الخطوط تتطور حتى ظهرت أقلام أو خطوط لا تكاد تمت لشكل الخطوط الأولى بصلة إلا بالحرف، لكنها مع ذلك لا تنفصل عنها فلم تعن أمة بفنونها ومنها الخط كما عنت الحضارة العربية[3].

وبعد نزول القرآن الكريم وتداول المسلمين منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد الخليفة الذي خاف على اندثار القرآن الكريم بموت حفاظه سارع رضي الله عنه إلى تكوين لجنة فكتب بالخط الذي توفر آنذاك في المدينة المنورة وهو الخط الكوفي.

أنواع الخط العربي

الخط الكوفي المحقق والريحاني والنسخ، والثلث والديواني والديواني الجلي والتعليق والتستعليق، والسكستة والرقعة وأنواع أخرى. في نهاية البحث نورد أنواعا لهذه الخطوط حسب المستطاع.

الملحظ1:

[1] ـ مقدمة ابن خلدون، ص:
[2] ـ الخط العربي: نشأته وتطوره،عادل الألوسي، ص:233 مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة
[3] ـ نفسه، ص: 91.

اعتبار كتابة المصحف مظهرا من المظاهر الحضارية للخط العربي «كانت الكتابة العربية عند نزول القرآن الكريم قد استكملت نموها وأصبحت قادرة على التعبير عن آخر الرسالات السماوية ونقل محتوى الوحي بما يتطلبه الأمر من الدقة والوضوح»[1].

بهذه العبارات الواضحة الدالة على المراد من هذه المقدمة التي نمهد بها لكتابة المصحف الشريف بالخط العربي الكوفي في البداية بانجاز من الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وهذا الإنجاز العظيم الذي تجلى في المصحف الشريف الذي ضم بين دفتيه النص القرآني كما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في عرضته الأخيرة على جبريل اعتمادا على ما حفظ في صدور صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سطر في سطور الصحف التي دونت في عهد رسول الله وعهد أبي بكر الصديق والتي حافظت عليها إحدى أمهات المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وبهذا الإنجاز بدأت رحلة الحضارة العربية الإسلامية التي حمل مشعلها القرآن الكريم في مبناه ومعناه فبلغها أقاصي المعمور المعروف آنذاك، فكانت رحلة القرآن الكريم مصاحبة الخط العربي، فإلى « حدود وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 11 هجرية لم يتجاوز الخط العربي حدود بلاد العرب، وخلال العصر الراشدي من 11 إلى 41 هجرية تجاوز العراق إلى بلاد فارس ودخل مصر وأطراف إفريقيا الشمالية»[2].

ثم وصل الإسلام والخط العربي إلى المغرب والأندلس خلال العصر الأموي، وخلال العصر الأموي والعباسي ظهرت عناية الخلفاء والأمراء بالخط العربي باعتباره رمزا لثقافة الإسلام وعنوان حضارته، وبرز الكثيرون ممن يشتغلون بالخط وإجادة الكتابة، فاشتهر في هذا الميدان كل من الحسن البصري وابن عقله وابن البواب وياقوت المستعصمي وغيرهم من المجيدين للخط العربي في هذه الحقبة.

[1] ـ الخط العربي، تاريخ ووقائع وآفاق، محمد المغراوي و عمر أبا، ص: 23 منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2 ، مطبعة النجاح الدار البيضاء 2013

[2] ـ المصدر نفسه، ص:24.

1ـ فالحسن البصري من التابعين، رجل ورع له باع طويل في الثقافة الإسلامية، تلمذ على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل الذي تعلم منه الخط أيضا، اعتنى الإمام الحسن البصري بالخط فكتب مصحفا بخطه.

2ـ أما ابن مقلة فتناهت براعته في الخط العربي في العصر العباسي، وابن مقلة أبو علي محمد بن مقلة المتوفى سنة 328 ه فهو بغدادي النشأة ويعد من رواد الخط الجيد وأحد المبدعين في هذا الفن وجمع بين الفن والعلم والسياسة، فقد استوزر ثلاث مرات، ابتكر قواعد الخط وأطلق على قلم الخط "النسخ" اسم "البديع" ترك أثراً «أضاف إلى الفن العربي أجمل الآثار»[1].وقد أحجمنا عن ذكر نهايته المأساوية رحمه الله.

3ـ كما يعتبر ابن البواب من أشهر الخطاطين ممن ساروا على درب ابن مقلة «فكان البواب حافظا للقرآن فذكر أنه استنسخ القرآن أربعا وستين مرة»[2]. اشتهر أنه أدخل التحسينات على الخط العربي الذي اتخذه مهنة «فعاش على عمل يديه وما تبدعه حركة أصابعه من خطوط»[3].لقد اشتهر باتخاذ الخط حرفة ، قال قائلهم في أبيات سمعناها من شيوخنا زمن الطلب.

تعلم قوام الخط يا ذا التأدب +++ ولازم له التعليم في كل مذهب

فإن كنت ذا مال فخط زينة +++ وإن كنت محتاجا فأفضل مكسب.

ومن أشهر المؤلفين في الخط خلال القرن الرابع الهجري أذكر: ابن السراج المتوفى سنة 360 ه، و"كتاب الخط" كما أشارت محققته[4] ليس الأول في بابه وقالت: «وسأذكر من ألف في الخط والهجاء قبل ابن السراج لتبين أهمية موضوع الخط»[5]. وذكر من المؤلفين عددا من العلماء الأجلاء كتبوا في الهجاء والخط من أمثال الكسائي

[1] ـ الخط العربي؛ نشأته وتطوره، الألوسي، ص:36.
[2] ـ نفسه، ص:36.
[3] ـ نفسه.
[4] ـ محققة كتاب الخط لابن السراج، خولة صالح حسين الجبوري سنة الطبعة 2015 لبنان.
[5] ـ كتاب الخط لابن السارج، تحقيق خولة صالح، ص:34.

القارئ النحوي المشهور توفي سنة 189 ه والراء يحيى بن زكرياء ت 207 ه والخطيب البغدادي ت 234 ه له كتاب في الخط و القلم وغيرهم ذكرهم ابن النديم في الفهرست.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم ارتبط نزوله بالقراءة والكتابة فصار الهجاء والتهجي الخطوة الأولى لمعرفة القرآن وغيره، ولذا سع الشعوب التي دخلت في الإسلام إلى حفظ القرآن في الصدور وتقييده بالخط في السطور، فكان لا بد من إتقان هذه الآلة شأن شعوب شمال إفريقيا والأندلس وغيرها، وكشأن كل جديد كان التقليد في البداية للخط المشرقي حصل تطور طفيف مع الحفاظ على الأصل ذلك ما سنلاحظه في الفقرات التالية حول الخط المغربي.

المطلب الثالث: الخط المغربي

ـ النشأة والتطور

ـ علاقة الخط المغربي بالرسم القرآني

بعم بدأ الخط العربي ينتشر بانتشار الإسلام في ربوع الجهات التي دخلها الإسلام الذي أسس مشروعه الحضاري على ثقافة القرآن، والنص القرآني لا ينفصل على الخط والكتابة، وهكذا ودعت الشعوب التي اعتنقت الإسلام دينا عجمتها بتعلم العربية التي حملها القرآن إلى هذه الشعوب في شمال إفريقيا وغيره من البلدان، فتلقف الأطفال في المساجد والكتاتيب حروف التهجي العربي بدون صعوبة أو مشقة في نطق هذه اللغة الجديدة الوافدة عليهم من بلاد الشرق بحيث لا يجدون صعوبة في مخارجها، فنطقوا بالضاد العربية كما ينطقها أهلها الذين عرفت لغتهم بلغة الضاد ولا غرو فالأمازيغ ينطقون الضاد أيضا، مما حدا ببعض الباحثين بالقول إن الأمازيغية في الأصل انحدرت من اللغة العربية لاشتمالها على كلمات فيها الضاد[1]، وإن كان هذا الاتجاه لا يقبله المتعصبون من الجانبين، والذي يهمنا نحن هنا أن الأمازيغ اندمجوا مع لغة القرآن

[1] ـ منها: إضارن (الأرجل)، أضاد (الأصبع)، أضكال (الصهر)، أضرضور (الأصم)، كما استشهد هذا الفريق بعبارة أمازيغية تحيل على أصلها العربي مثل (ما تريت) وهي نفس معنى: ماذا تريد؟، ثم بعض الكلمات الأمازيغية التي لا وجود لأصلها الأمازيغي وإنما أصل حروفها عربي

فنطقوها سليمة وأحبوها وكتبوا بها القرآن وغيره من فروع المعرفة بعد تعلمها بإتقان قواعدها بداية تعلم الخط عند المغاربة.

ومن المتعارف عليه كما أشرنا سابقا أن المغاربة يعتمدون التدرج من السهل إلى الصعب باعتماد الفقيه في الكتاب التابعة للمساجد أو المؤدب في الكتاتيب القرآنية الخاصة بتلقين الصبيان الحروف الهجائية العربية متقطع بالنقط سواء بالدارجة المغربية أو بالامازيغية[1]، ثم بجمع ثلاثة حروف (أَبَتٍ) (تَجَحٍ) (خَدَذٍ) استعدادا لقراءة الكلمة القرآنية بحروف هجاء سورة الفاتحة بدون ضبط الحروف، وهكذا إلى أن ينتقل الفقيه بالمتعلم الصغير إلى ضبط الحروف بالشكل[2]، ويعرفه بالأداء الصوتي للحركات كالضمة والفتحة والكسرة والشدة والتنوين، وعندما يتقن هذه المهارات حسب الاصطلاح التربوي المعاصر، ينتقل به إلى التهجي والاعتماد على نفسه في قراءة كل ما يكتب له في اللوح من السور القصار وحفظها، وبعد إتقان مهارة القراءة ينتقل به إلى التدريب على الخط، بواسطة الرشم بذنب القلم القصبي سطراً واحدا أو سطرين بدون صمغ أو مداد، لكي يتبع الصبي أو المتعلم الصغير الخطوط والكلمات المرشومة بقلمه بعد غمسه في الدواة، وغالبا ما يشبه خط المتعلم فيما بعد خط معلمه الأول الذي علمه الخط بواسطة الرشم أو (التحناش)، وأذكر بهذا الصدد كلاما جميلا لخطاط مغربي معروف[3]، وإن كنت لا أتفق معه إطلاقا في الإساءة إلى من علموه الخط ولغيره في البداية، وذلك حين طلبت منه أسرة تحرير مجلة الثقافة المغربية التي كانت تصدر في الأربعينيات من القرن الماضي في المغرب أن يرسم لها عنوانا للمجلة قال: « ففعلت رغم كثرة شغلي وخشونة يدي عن مطاوعة القلم بسبب فلاحة الأرض التي جعلتها شغلا لي منذ سنتين والتي آنست منها ومن القرب من الطبيعة لذة تعادل لذة الأدب والاحتراف به»[4].

[1] ـ ألف ما ينقط أي الألف بدون نقطة، وبالأمازيغية: ليف أرينقيط

[2] ـ ولا أريد هنا ـ خوف الإطالة ـ أن أخوض في ذكر من أدخل النقط أو الشكل إلى اللغة العربية هل علي بن أبي طالب أو ابو الأسود الدؤلي أم نصر بن عاصم أم الحجاج بن يوسف أم الخليل بن أحمد الفراهيدي أو كل منهم ساهم في ذلك رضي الله عنهم أجمعين.

[3] ـ عبد الكريم سكيرج ت 1984

[4] ـ الخط المغربي: تاريخ وواقع وآفاق،عمر أفا ومحمد المغراوي، ص:96 نقلا عن مقال للخطاط سكيرج بمجلة الثقافة المغربية العدد 2 شتنبر 1991 ص:67

كلام جميل غير أن الذي يؤاخذ به الأستاذ الخطاط، عدم إتمام العرفان بالجميل لفقهائنا، الذين كانوا مندمجين مع تلاميذهم في (الخرابش) في الكتاب يحفظونهم القرآن ويعلمونهم كيف يكتبونه، وفي هذا المقال الذي ساهم به الخطاط المشار إليه في مجلة الثقافة المغربية تساءل وقال: «ولقائل أن يقول يف السبيل إلى تعلم الخط وتجويده، وكيف يمكننا ذلك وجل أشياخنا الذين نتعلم عليهم الخط و الكتابة في بداية قراءتنا والذين يسطرون ويكتبون لنا على الألواح بأذناب أقلامهم إنما هم في الغالب من أولئك الطلبة الذين يقرؤون على الجنائز، ولم يحفظوا غير القرآن، ولم يكتبوا على غير الألواح الخشبية بأقلامهم القصبية، أو من البدو الذين تصحبهم خشونة البادية طول حياتهم وتتجلى في أخلاقهم و كتابتهم»[1].

وفي هذه الفقرة من المقال يذكرنا الكاتب بالطريقة التي نتعلم بها الكتابة والخط في عبارة: «يسطرون ويكتبون لنا على الألواح بأذناب أقلامهم» وهي الطريقة التي أشرت إليها قبلها بالرشم أو "التحناش".

غير أن الذي لا يليق هو أن نصف شيوخنا بالقراء على القبور، وأنهم منحدرون من البادية، فلولا البادية في المغرب لضاع القرآن حفظا ورسما بهذا البلد الأمين.

ويشفع للكاتب أنه دلنا على طريقة تعلم الخط الجيد، باعترافه بتلقي تعلم الخط على الشيوخ الذين أشار إليهم بتلك الصفات، ولم يمنعه ذلك من مواصلة التدريب على الخط، فلنواصل معه لعلنا نستفيد من تجربته تبعا لقوله: « نعم إنني مررت في ذلك السبيل، وعلمت من الدبير والقبيل، بيد أنه لم يمنعني الأول والإقبال على غيره من الخطوط الجميلة»[2].

وقد دلنا الكاتب على طريقة إجرائية في تعلمه للخط «وكان أول عهدي بذلك أن أطلعني والدي حفظه الله على رسالة وردت عليه من فاس بخط جميل، وكنا آنذاك قاطنين بطنجة، أمرني أن أنسخ على منوالها وأنقل عدة نسخ منها ومن أمثالها ... وكلما

[1] ـ نفسه.
[2] ـ الخط المغربي، (م ـ س) ص:96.

وردت عليه رسالة بخط جميل سواء من فاس أو من مصر أو تونس تسارعت إليه، ولم يكد يفرغ من قراءتها حتى أخطفها من يده وأمضي بها إلى حيث اجتهد في نقلها وفهمها وحلها حتى حذقت في كتابة سائر الخطوط العربية»[1].

من هذا النص الذي لا يحتاج إلى شرح تبين لنا أنة وسائل الاتصال الحديثة خاصة الهاتف وآلات الكتابة المتنوعة ساهمت في إهمال الخط، وتعلم الخط الفني الجميل والخط المغربي الجميل منتشر بجميع أنواعه في المخطوطات في جميع بقاع العالم، وفي بيوت الخاصة بالمغرب توجد كتب تقتنى بسبب خطوطها بقطع النظر عن محتوياتها[2].

كيف تطور الخط المغربي عبر التاريخ

مر الخط المغربي بمراحل كما أشرنا إلى ذلك، من الخط الكوفي الحجازي الذي كتبت به المصاحف في بداية الأمر بحروفه المقعرة والزوايا الحادة فانتشر الخط العربي وتطور «ببلاد المغرب بالموازاة مع انتشار تعاليم الإسلام منذ القرن الهجري الأول، وأقبل الأمازيغ على تعلم الخط بموازاة إقبالهم على حفظ القرآن الكريم، وذلك للتمكن من كتابته»[3].

فكان للقرآن دور كبير في نشأة الحضارة والثقافة في المغرب فمن العوامل المساعدة على الاهتمام بالحرف العربي وتحسين أوضاعه لدى المغاربة «حماسهم الديني وارتباط الخط عندهم بقداسة القرآن ثم الجانب الثقافي»[4] الداعي إلى استعمال الخط كأداة للتواصل وتقييد العلم بالكتاب كما دلت كتابات أهل المغرب على ترك بصمات التأليف والكتابة في العهود الأولى كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين من أمثال المرحوم محمد المنوني[5] وغيره، الذين أناروا الطريق أمام الباحثين الجدد لاستكشاف

---

[1] ـ نفسه، ص: 96. وتبين من كلاك الأستاذ أن والده كان من أعيان علماء المغرب في وقته، أما الأستاذ فكان كاتبا للسلطان مولاي سليمان.

[2] ـ توجد نسخة خطية للقرآن الكريم مجزأة (التفريق بخط جميل بخزنة القائد العيادي بابن جرير الرحامنة ولما سألت عنها المسؤول فقال: إنها اختفت، ووددت لو بقيت لعرضها.

[3] ـ الخط المغربي: تاريخ وواقع وآفاق (م ـ س) ص: 29

[4] ـ نفسه، ص:29.

[5] ـ أنظر كتابه القيم "تاريخ الوراقة المغربية وصناعة المخطوط".

كنوز التراث العربي الإسلامي في عصور المرابطين والموحدين والمرينيين والأندلس طبعا عبر كتابات مختلفة كتبت بخطوط مغربية: كوفي مبسوط، زمامي مسند، تلث، مجوهر.

ومن المرحلة المغربية الأخيرة لإبراز ملامح الخط المغربي، الذي تأثر بالإفريقي القيرواني والأندلسي «مع انتقال الخط الأندلسي إلى المغرب في مرحلة مبكرة أي منذ العصر المرابطي ثم الموحدي، حيث استمرت وثيرة تطويره محليا، وظهرت ملامح تميز عن الخط الأندلسي تدريجيا حتى أصبح يعرف بخط المغارة أو الخط المغربي»[1].

ملامح الخط المغربي

الخط المغربي لا ينفصل إجمالا عن الخط العربي المشرقي غير أن تأثير الخط الكوفي المبسوط واضح في الخط المغربي بأنواعه، لكونه «أول ما يتعلمه الصبيان في الكتاتيب القرآنية، وسمي بذلك لسهولة قراءته وبه تطبع المصاحف في المطابع الحجازية»[2].

كما يوجد ضمن الخط المغربي المجوهر الذي تكتب به الظهائر، وتبعث به الكتب زمن السلطان محمد الرابع العلوي ويوجد الخط الكوفي بكثرة، والذي ورثه المغاربة عن الحضارة الأندلسية، والخط الزمامي الذي تكتب به عقود التوثيق والزواج، وفي كل هذه الخطوط تدرك العين من الوهلة الأولى أنه خط مغربي أصيل، لاسيما كتابة حرف "الكاف" وحرف "الدال" و "الميم" و"القاف" بدون نقط إذا كانت في الطرف آخر الكلمة،

[1] ـ الخط المغربي: تاريخ وواقع وآفاق (م ـ س) ص: 35.
[2] ـ مرجع الطلاب في الخط العربي، إعداد خالد محمد المصري الخطاط مراجعة الأستاذ عبد المجيد خيالي، ص:206 ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة لبنان، 2007.

وكذا "الفاء" تكتب مبسوطة وغير منقوطة في الطرف، وكذا كتابة "النون" في الطرف أيضا معرفة وبدون نقط، حتى أصبحت هذه القاعدة عند علماء الرسم مشهورة فوضعوا لها رمزا (ينفق)، وهذه الحروف تكتب في الطرف بدون نقط وعلى شكل كتابتها منفردة في حال تعلم الحروف الهجائية والقاعدة طبقت في كتابة المصاحف المغربية.

وقال الناظم لترسيخ هذه القاعدة :

وفي أحرف (ينفق) الوجهان إذا تطرفت فخذ بيان

فصرح الداني في محكمه بعدم النقط فتق بقوله

وقال الآخر مصرحا بتعرية هذه الحروف من النقط بدون خلاف

حروف (ينفق) إذا تطرفت فعرها من نقطها كيف أتت

وهي: ى ـ ن ـ ف ـ ق والعلة يعرفها ذوي النهي.

خصوصيات الخط المغربي نقط الفاء بواحدة تحتها والقاف نقطة واحدة فوقها,

الفرق بين الخط المغربي والرسم العثماني

يعتقد بعض الناس أن الخط المغربي الذي تكتب به بعض الوثائق هو الرسم العثماني، وسبب هذا اللبس هو أن الخط المغربي تكتب به المصاحف كما أسلفنا، وذلك بكتابة الكاف والدال بتلك الطريقة المشار إليها، فإذا حصل أن قرأ غير المتخصص في رسم القرآن، يعتقد أنه الرسم العثماني، في حين أن الرسم العثماني هو مصطلح على الطريقة التي كتب بها الصحابة القرآن الكريم في عهد الحليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك بكتابة بعض الحروف بكيفية تخالف الكتابة العادية في الإملاء المعروف لدى الناس. ككتابة (الصلواة، الزكواة و الحيواة) بالواو والحذف وككتابة (سندع) بدون واو و(يدع الداع) كذلك برسم يخالف القاعدة اللغوية.

وذلك علم خاص يعرفه المتخصصون في ذلك من علماء الأمة، إذ الرسم القرآني من شروطه صحة القراءة وتواترها لتصبح قرآنا يتلى تصح به الصلاة، وتؤخذ منه الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى الشرطين الآخرين كالتواتر وصحة السند.

ولهذا الرسم تعليل أشرنا إلى جوانب منه في هذا البحث المتواضع، على أساس أن أحاول إبراز جهود المغاربة في هذا الفن، الذي يعتبر من الوجه الحضاري للثقافة القرآنية الإسلامية بالمغرب.

أما تلك المقدمات المتعلقة بالخط العربي والخط المغربي ما هي إلا توطئة لدخول موضوع الرسم القرآني كظاهرة اخترعها المغاربة، وبلغوا فيها الشأو الذي أهلهم لحفظ القرآن الكريم والحفاظ على أدائه ورسمه بعون من الله تعالى طبعا الذي تكفل بحفظ القرآن الكريم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

الفصل الخامس: ظاهرة "الأنصاص" القرآنية المغربية أمثلة ونماذج

لم نكن مبالغين إذا وصفنا هذه القواعد الجميلة بالمغربية، ولم نكن نجانب الصواب في ذلك، والمغربية باعتبار المغرب الأقصى هو صاحب السبق في هذا المضمار.

وتشمل الظاهرة أيضا موريتانيا والسودان وتونس والأندلس ولكن بنسب متفاوتة، والغالب على معالجة علماء هذه الأقطار لرسم القرآن، نظم ذلك في شكل منظومات طويلة، وبلغة فصيحة أحيانا، غير أنها عسيرة الفهم بالنسبة للمبتدئين.

نماذج من نظم الموريتانيين في رسم القرآن وفي السنيغال والسودان

1- عبد الله بن الطالب[1]

بدأ رحمه الله نظمه في الرسم بقوله:

[1]- هو الشيخ الطالب بن الشيخ محمد الأمين بن سيدي الوافي المحضري الجنكي، ولد في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة بشمال تكانت بموريتانيا، كان زاهدا ورعا له شهرة في علوم القرآن، لاسيما في رسم القرآن وله تأليف في هذا الفن أشهرها منظومته في الرسم المسماة (المحتوى الجامع في رسم الصحابة وضبط التابع) كما له نظمان آخران هما (باب الصاد) و(باب الغين) توفي أربعين ونيف ومائتين وألف هجرية ودفن بأدرار في المنطقة الشمالية بموريتانيا. الدخيرة في الرسم والضبط، ص: 22.

الْحَمْدُ للهِ الذِي رَسْمَ الكِتَابْ ... وَضَبْطَهُ عَلَّمَنَا بِلاَ عِتَابْ
ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الأَسْمَى ... حَسْبَمَا فِي اللَّوْحِ حَرْفًا وَاسْمَا
عَلَى النَّبِيِّ العَرَبِيِّ طَهَ ... مِنَ الْمَعَانِي كُلِّهَا أُعْطَاهَا
وَاسْتَعِينُ اللهِ فِي نَظْمِ اخْتِصَارْ ... للرّسْمِ وَالضَّبْطِ بِصِدْقٍ وَانْحِصَارْ
لِكَيْ يُرَى لِلْمُبْتَدِئِينِ تَبْصِرَهْ ... وَلِلشُّيُوخِ الْمُقْرِئِينَ تَذْكِرَه
سَمَّيْتُهُ بِالْمُحْتَوَى الْجَامِعِ ... رَسْمَ الصَّحَابَةِ وَضَبْطَ التَّابِعِ

وبعد هذه المقدمة أخذ الناظم في تبيين بعض قواعد الرسم

لِلنُّونِ الأُخْرَى افْتَحْ وَرَا وَيْ مَدَّ لَمْ ... تُبْدَأْ بِتِي فِي الْجَمْعِ وَاحْذِفَنْهُ لَمْ
يُهْمَزْ حَوَارٌ مَالِئٌ مِنْ خَاطِئِينْ ... (فَاعِينَ) جَبَّار بِطَوْلِ دَاخِرِينْ
لاَ جَمْعِ تَابَ صَامَ سَاحَ صَابُونْ ... طَاغِينَ يَا غَوِينَ ذِبْحٍ رَاعُونْ

وقال شارحا هذا النظم:

لِلنُّونِ الأُخْرَى افْتَحْ وَرَا وَيْ مَدَّ لَمْ ... تُبْدَأْ بِتِي فِي الْجَمْعِ وَاحْذِفَنْهُ لَمْ

يعني أنه يشترط في حذف الألف في جمع المذكر السالم أربعة شروط وهي:

ـ أن تكون في آخر الكلمة نون مفتوحة وأشار إليه بقوله: "لِلنُّونِ الأُخْرَى افْتَحْ".

ـ أن تكون النون بعد واو أو ياء مادين وأشار إليه بقوله: "وَرَا وَيْ مَدَّ"

ـ أن تدل الواو أو الياء على الجمع وهو معنى قوله: "فِي الْجَمْعِ".

ـ أن تكون الكلمة مبدوءة بالتاء والياء الزائدتين لأنها حينئذ تكون فعلا فتخرج عن القاعدة وهو معنى قوله: "لَمْ تُبْدَأْ بِتِي".

فكل كلمة استوفت هذه الشروط تحذف منها الألف نحو: (الصالحون) (الصابرون) (العاملون) (القاسطون) (سماعون) (آكلون) (الحافظون) (الخاشعون) (مستانسين) (التوابين) وما أشبه ذلك، أرأيت معي أن المتخصص يصعب عليه أن يفرز القاعدة من

هذا النص والشرح، فكيف يفك هذا النظم، فكيف بالمبتدئ في المراحل الأولى للحفظ في الكتاب والمحضرة.

وقد لقي هذا النظم انتقادات من قبل علماء شنقيط الذين لم يستسيغوا هذا التعقيد اللفظي والمعنوي إلى درجة أن قال أحدهم عن هذه الأبيات الأولى: وهذه الأبيات تبين أن الناظم تعرف مع اللغة بنوع من الحرية في التعبير، فلم يعبأ بهمزة المبتدئين فسهلها لضرورة الوزن، وهذه الضرورة هي التي جعلته أيضا يلوي ياء المحتوى ليستقيم له الوزن، وهذا التصرف يبدو غريبا عند الشناقطة الذين برعوا في مجال النظم والنحو ولعل هذه الملاحظات[1] هي التي أذكت قرائح بعض العلماء حتى قال الشيخ محمد العاقب بن ما يابي في نظمه:

وقَدْ نَحَاهُ فارسُ الْمَيْدانِ غَوَّاصُ بحرِ دُرَرِ المعاني
فصاغ ما يُطَوَّق الرِّقـــابا فيه وأبْدَى العَجَبَ العُجَابا
فَلَمْ يَرُمْ مَبْناه ذُو ارتِجالِ ولم يُحَكْ له على مِنْوَالِ
لكِنّهُ مِن خَشْيَةِ الإطْنَابِ لم يَكْتَرِثْ بالصَّرْفِ والإعْرَابِ[2]

وكما قال الشيخ ربما أراد الناظم أن يستعمل الرمز للاختصار فوقع في الغموض، وليس الشيخ العاقب وحده الذي أثار غموض الطالب قريحته فها هو شنقيطي آخر يقول في ذلك:

هـــذا ولما كان رسم الطالب عبد الله منيه للطالب
لجمعه الأحكام باختصار فهو منى الأسماع والأبصار
لـــــكنه لشدة الإيجاز كاد يرى في حيز الإعجاز

[1] ـ العلامة الشيخ محمد العاتب من علماء شنقيط توفي بفاس 1327 هـ، الدخيرة، لارباس بن محمد بن المرابط عبد الفتاح الشنقيطي الموريتاني ط 8، 2012.
[2] ـ تاريخ القراءات في الشرق والمغرب، مختار ولد باه، ص:637، ط 1.

فليس في الأماكن أن يفوزا به سوى من يفهم الرموزا[1]

ورغم ما تلقاه الطالب من انتقادات علماء شنقيط و تقريعات حول هذا النظم من حيث الغموض والتساهل في الإعراب «غير أن هذه الملاحظات تتلاشى عندما تقرأ الشرح المحكم الذي وضعه الشيخ الطالب عبد الله وسماه الإيضاح الساطع على المحتوى الجامع»[2]. يعني أن الشيخ الطالب وضع شرحا لنظمه السابق المشار إليه "المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع" تحت هذا العنوان: "الإيضاح الساطع على المحتوى الجامع".

ويقول الباحث الأستاذ المختار ولدباه: «وفي هذا الشرح يبين الناظم الشارح مقصده بوضوح فيقول: فإن تصانيف المجتهدين التابعين رحمهم الله ونفعنا بهم بنوها على البحث والطول والمنقول عنه لأن الهمم كانت صالحة لذلك في زمنهم وأمال إليهم فأعلاها من اكتفى بالقليل»[3].

ولكن هذا القليل ينبغي أن يأتي بغرض إفهام المبتدئين بوضح وبدون رموز، ويضيف الشيخ الباحث مبرزا أهمية شرح الشيخ الطالب عبد الله في مجال رسم القرآن وضبطه بقوله: «فهذا الشرحيبين مدى علم الناظم وخبرته في هذا الفن لكنه نظم للمبتدئين أساسا الذين لا يعرفون قواعد اللغة العربية، وهذا واضح في شرحه ومن أمثلة ذلك قوله: "إن: ننسها نات" ليس من قبيل جمع التأنيث»[4].

غير أنه إذا تتبعنا بإمعان بعض الأمثلة التي أتى بها الأستاذ الباحث كدليل على براعة الشيخ الطالب في نظمه وشرحه معا لخدمة الرسم القرآني نجد ألغازا يصعب فهمها على المتخصص فضلا على المبتدئ الذي يحتاج إلى من يأخذ بيده خطوة خطوة.

ومن هذه الألغاز حديثه حول حذف الألف أو إثباتها بعد اللام إذ يقول:

---

[1] ـ نفسه، ص:638، والناظم هو كراي بن أحمد يورة

[2] ـ تاريخ القراءات في الشرق والمغرب، ولد باه، ص:638.

[3] ـ نفسه، ص: 639.

[4] ـ تاريخ القراءات،المختار ولدباه ص: 640.

واحلف صلاة ضف هل أوولى لا الغية لكن وكاللائي المس الهُ لاقيه

مورد الشرح والتعليق كما أورده أستاذنا في بحثه القيم وذلك بقوله: «قوله: واحلف أي اثبت أيضا كلمة الحلف وهي (حلاف مهين) ولكي نزيل الغموض والفرق بين حذف اللام وإثباتها في الرسم القرآني، فإثبات اللام تكتب باللام ألف (لا) كما في (حلاف) وحذف اللام تكتب هكذا كما في (لائلف) وذلك بكتابة اللام يتوسطها خط مائل كما رأيت (لائلف)، ويسمي المغاربة هذه اللام المحذوفة التي يتوسطها خط مائل باللام "المرشوق" ل »[1].

ونتابع مع الأستاذ شرحه لشرح الشيخ الطالب المعنونة بالإيضاح «قوله: صلاة ضف صل: يعني الصلاة المضافة المتصلة بما أضيفت له أي أثبت لام الصلاة إذا أضيفت لشيء متصل بها وهو الضمير، فضابط هذا أن يقال لمن لا يعرف الإضافة: أن معنى هذا أن تكون التاء في الصلاة ليست متطرفة نحو: (صلاتي ونسكي) فإنها بعها الياء وصلاتك وصلاته وصلاتهم، وأما إذا كانت غير ذلك فهي متطرفة التاء وتكتب بالواو».

ونخرج من هذه الألغاز بفضل مجهود الأستاذ المختار لنفهم أن مادة "الحلف" في القرآن ثبت لامها التي في قوله تعالى (حلاّفٍ) كما ثبت اللام التي في لفظ الصلاة إذا أضيفت واتصلت تاؤها بضمير، أما إذا كانت تاؤها متطرفة فتكتب الصلاة بحذف اللام في (الصلواة).

وقال أحد المغاربة في ذلك:

صلاتهم صلاتكم صلاتي إلا صلواة الفجر والعشاء

يعني أن لفظ الصلاة تكتب (بالام لف) (لا) إذا أضيفت للضمير إلا (صلواة الفجر) و (صلواة العشاء) فإنها تكتب بالإملاء العادي المعروف بالرسم العثماني في القرآن الكريم (الصلواة).

[1] ـ نفسه، ص: 641.

وننتقل مع الشيخ الطالب إلى نصف الشطر الأول من هذا البيت من نظمه:

واحلف صلاة ضف هل أوولى لا الغية لكن وكاللائي المس الهُ لاقيه[1]

ومنها قوله:

أولي: يعني اللام من الكلمة أي أثبت ألف اللام إذا كان أول الكلمة، ولا يعتبر الزائد عليه، والزائد هو الذي تصح الكلمة دونه إذا حذف نحو (ولات حين) و (لومة لائم) هذا ما يقصده في البيت أولى (لا) و أضيف كلمة أخرى وهي الواقعة في آخر الشطر الأول من هذا البيت من النظم باللام ها للعهد والكلمة:الغِيَّة.

قال الشارح قوله لا الغية: استثناء أي أثبت ألف اللام إذا كان في أول الكلمة إلا في هذه المواضع الست وأولها الغيه بالغين لأنها من اللغو أي في كلمة اللغو وهي (لاتسمع فيها لاغية).

ولعلماء شنقيط قدم راسخة في القرآن وعلومه وفي القراءات والرسم وجهود متواصلة نظما ونثرا لا يسع المجال للإحاطة بها ولذا اكتفيت بهذه الإشارات للتبرك بعلم إخواننا الموريتانيين في رسم القرآن الكريم، وهذا كتاب "الدخيرة" في شرح الرسم والضبط وجدولة المقرأ وفقا لقراءة الإمام نافع ، وهو كتاب فاز بجائزة شنقيط لأحسن كتاب في الدراسات الإسلامية سنة 2006م لمؤلفه الأستاذ لاباس به محمد بن المرابط عبد الفتاح[2]، وهو كتاب غني في بابه، لاسيما فيما يتعلق بالرسم والأنصاص قريب الفهم، يساعد العالم والمتعلم، جدير بالقراءة والتمعن في مسائل الرسم والضبط، أكتفي بسوق مثال ليتضح المقال في رسم أم من حيث تفصل أم عن مَنْ وذلك في قول بعض الشناقطة:

أم من بميمين والأولى تفصل أربعة وغيرهم تصلوا

[1] ـ البيت من نظم الشيخ الطالب المشار إليه سابقا.
[2] ـ الدخيرة،لارباس بن محمد المرابط، ص:169.

أم من يأتي أم من يكون في النسا أم من خلقنا قل وأم من أسسا[1]

قال الشارح: «وأما ما سوى هذا فإن أمَّن فيه موصولة أي تحذف ميم أم منها كمثل (أم لايهدي) و (أمن يجيب المضطر) وأمن يملك السمع وأمن يمشي»[2].

وسننتقل من القطر الشنقيطي الموريتاني إلى قطر إفريقي آخر ومؤلف آخر من القطر السينغالي ثم السوداني ترك أثرا يحمد عليه في رسم القرآن، وهو أحمد مالك جمال الغوتي[3] مؤلف " مفتاح الأمان في رسم القرآن"، وهو عبارة عن شرح لنظم "رسم طالب عبد الله الموريتاني المشار إليه سابقا هذا النظم المعنون ب: "المحتوى الجامع مع رسم الصحابة ثم ضبط التابع"، ذكر كاتب مقدمة الكتاب معرفا بحياة المؤلف العلمية، إن الكاتب كعادة العلماء الذين يجوبون القبائل والأقطار سعيا وراء حفظ القرآن الكريم وتجويده، معرفة رسمه وضبطه غادر مسقط رأسه (جايان) بالسينغال متجه إلى موريتانيا فتعلم على أيدي عدد من الشيوخ العلماء، ذكر منهم الشيخ المرابط عبد الفتاح من قبيلة تركز وعبد الرحمان ولد عزة، درس عليهما القراءة والرسم والضبط ودرس على الشيخ كسكاس بالسينغال وكام ذلك عام 1946م ثم التحق بالأزهر بمصر، وكان مولعا بهذا الفن مستزيدا من معين بعض علماء القراءات إذاك في عصر من أمثال الشيخ علي محمد الضباع أخذ عنه بدون واسطة، ولما آنس في نفسه القدرة على البوح بما عنده من علم الضبط والرسم.

نشر كتابه الأول: إيضاح المرسوم في حل ألفاظ حملة المسوم، ثم أعاد طبعه مع التنقيح سنة 1963 ثم قال صاحب المقدمة انشغل صاحبنا الغوتي بشرح كتابه الثاني منذ عام 1956[4]، حتى وفقه الله لإتمامه وإخراجه، ويعنى كتابه هذا "مفتاح الأمان في رسم

---

[1] ـ نفسه، ص:169.

[2] ـ نفسه، ص:169.

[3] ـ اختلفت المصادر في لقب المؤلف مكتوب في بعضها (بالغوتي) كما في تاريخ القراءات في المشرق والمغرب للدكتور المختار ولد باه، وفي لائحة المصادر والمراجع عند مؤلف الدخيرة اكتفى بكتابة "أحمد مالك جمال"، وعلى ظهر الكتاب المنسوب إلى الملف كتب بالفتوى من غير تمير بين الفاف والتاء، غير أن كلمة الفصل كانت للدكتور عبد الهادي حميتو في موسوعته: قراءة نافع عند المغاربة، ذكر في الجزء الثاني ص:504 أحمد بن مالك حماد الفوتي بخط واضح عندما تكلم على نظم طالب عبد الله المنتار.

[4] ـ مقدمة كتاب مفتاح الأمان في رسم القرآن للشيخ أحمد مالك الغوتي الأزهري السينغالي الموريتاني أصلا.

القرآن" وهو عبارة عن شرح منظومة رسم حسن طالب عبد الله في رسم القرآن وضبطه: "المحتوى الجامع رسم الصحابة ثم ضبط التابع"، وسأقف وقفة حول كلا الشرحين للمؤلف قصد تبيان جهود إخواننا الأفارقة في رسم القرآن وضبطه مستعينا بالله وبتوفيق منه.

1ـ فنظم الشيخ المسومى المعنون: "حملة المسومى" وضع له الأستاذ أحمد مالك الغوتي شرحا بعنوان: "إيضاح المرسوم في حل ألفاظ حملة المسوم" والمسومى هو عبد الله المسومى نسبة إلى قبيلة مسومة مشهورة بحفظ أهلها للقرآن الكريم بالقطر الموريتاني،وحملة المنسوبة إلى هذا الشيخ العالم عبارة عن قصيدة من بحر الرجز، عالج فيها الناظم حالات كلمات قرآنية منتهية بحرف من حروف المد كالواو والياء المتولدة عن الحركات الضمة أو الفتحة أو الكسرة فينتج عنها حرف مد (ألف أو واو أو ياء)، ثم يلي هذا الحرف همزة وصل التي تسقط في درج الكلام في حال الوصل ولا يظهر نطقها، ويصعب إدراك ذلك عند المبتدئين في كتابة القرآن، أعني الصبيان الذين لا يعرفون النحو والإعراب فيصعب عليهم أن يدركوا حمل اللام بالواو إذا اتصلت مباشرة بهمزة وصل، حيث تنطق ضمة اللام متصلة بهمزة وصل بدون إظهار مد الصوت باللام في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، ف (يقولوا) هنا بحمل اللام و "الحمل"[2] اصطلاح مغربي أصيل يطلق على حرف تولد عن حركته "واو" أو "ياء" أو "ألف" ف (يقولوا التي) تنطق ضمة اللام مباشرة مع لام (التي) في حالة الوصل.

وقال بعض المغاربة في حمل لام (يقولوا)

يقولوا التي بالواو ولم أر مثله في سبحان والإعراب جواب للأمر

[1] ـ سورة الإسراء، الآية: 53.

[2] ـ ولتقريب مصطلح "الحمل" في عرف المغاربة في رسم القرآن وكتابته أسوق هذا البيت أو هذا النص وإن كان على سبيل الدعابة، قال صاحب النص يمازح أقرانه: (ونحنو) بحمل النن هاك وقل حيم ++ بذمٍ وإن يكس ماعون مجملا، وكعادة (الوراشة في المغرب) أنهم يأتون بكلمة ويريدون التي بعدها معروف عندهم بِبُعَيْدَ فالناظم هنا يقول أن حرف (نحن) في القرآن "بالحمل" أي "بالواو" في آخره وذلك في ثلاثة مواضع ولما عرف أنهم سينكرون عليه ذلك فقال بذم (كذب) وإن (يك) كاذبا سماعون للكذب، بمعنى أن (نحنو) بالواو في القرآن لايوجد وإنما يوجد (نحن)، وهذه مصطلحات الأئمة وألغازهم عندما يتكلمون فيما بينهم، مصطلح "بدم" يعني عندهم "كذب" مثل وإن يك و "سماعون" لمجاورتها لمادة الكذب.

وهذه الأمثلة تسمى عند المغربة ـ لقمان ـ نسبة إلى ناظم نظم مثل هذه الحالات

ونرجع إلى "حملة" المسومى التي ساق فيها الكثير من هذه الحالات في قصيدته التي يبلغ عدد أبياتها 99 بيتا من بحر الرجز مثل فيها لكل حرف نتج عن حركته حرف مد "واو" أو "ياء" أو "ألف" وسأسوق منها بعض الأمثلة؛ ومطلع القصيدة يقول الناظم:

حمدا لرب العالمين والثنا ثم الصلاة للنبي غوثنا

ثم بدأ الناظم موضحا موضوع نظمه بقوله:

واحمل بالياء الكسر والفتح الألف والواو للضم والياء للفتح ضف

واكتفى بأمثلة من الباء بالحمل بعدها مباشرة همزة وصل ليتضح المراد من "حملة" المسومة أن يقول في نظمه:

والباء بالضم فيسبوا تسبوا واجتنبوا اجتنبوا لفظ اسحبوا

وقال الشارح: «شرع المصنف هنا يذكر مقدمة لمقصوده فأخبر أنه لا تجوز قراءة "واوات" و باءات" و "ألفات" الحملة حالة الصلة، وذلك خوف التقاء الساكنين وهما أحد الحروف المذكورة والحرف الساكن الذي بعد الوصل أو في حالة الوقف فتجوز قراءتها يعني مدها»[1].

ويعني أن مما يحمل من حرف الباء بالواو مثل:

لا تقربوا الصلواة وكسبوا السيئات

ولا تقربوا الزنا وكذبوا الرسل

ولاتقربوا المسجد وكذبوا الله عكس الكذاب الأشر

وجابوا الصخر بالوادي

[1]ـ الدخيرة في شرح الرسم والضبط وجدولة المقرأ مع بعض الملحظات وفقا لقراءة نافع، لابارس بن محمد بن المرابط عبد الفتاح ص: 345

أي أن هذه الباءات في هذه الكلمات لا يمد الصوت بالباء لجوارها لألف الوصل

وهكذا في سائر حروف المعجم التي وردت بحمل الواو أو بالياء أو بالألف في سائر القرآن، وختم الناظم نظمه بقوله:

قد انتهى والحمد لله ورا ثم الصلاة للنبي خير الورى[1]

وننتقل إلى إلقاء نظرة موجزة حول الكتاب الثاني للمؤلف الأستاذ أحمد الغوتى، هذا الكتيب الذي وضعه الشيخ الغوتى كشرح لمنظومة حسن طالب عبد الله، المعروفة برسم حسن طالب عبد الله، هذا النظم المعتمد عند العلماء في موريتانيا والسينغال وإفريقيا، وأطلق الشيخ أحمد الغوتى على هذا الشرح: "مفتاح الأمان في رسم القرآن"، فقد نال هذا الكتاب إعجاب العلماء في إفريقيا والعالم الإسلامي فقال السيد القاسم البيهقي المختار من جمهورية النيجر في مقدمة الكتاب: «ونسأل الله الكريم أن يمد في عمره (أي الكاتب) وأن ينفعنا بعلمه الغزير أبناء وطنه في جمهورية السينغال بل إخوته في الإسلام في كل أقطار العالم»[2].

وفي تقريظ الكتاب يقول عالم إفريقي آخر «وبعد فقد اطلعت على كتاب "مفتاح الأمان في رسم القرآن" الذي شرح به ولدنا الأستاذ أحمد مالك حماد "رسم طالب عبد الله" فإذا هو يستحق أن يكتب بذوب الذهب لما تضمنه من إتقان وتحرير لهذا الفن الذي قل أهله وكثر من يجهلوه»[3].

ومن دواعي الأسباب التي دعت المؤلف إلى وضع هذا الشرح كما ذلك في المقدمة «ولهذا كان هذا الفن من أهم الفنون عند المسلمين قاطبة غير أن لمست اهتماما كبيرا في جمهورية موريتانيا والسينغال ومالي وغينيا والبلاد المجاورة، وعمدتهم في ذلك هو "رسم طالب عبد الله الذي ألفه الشيخ عبد الله بن محمد الأمين بن فال بن عبد الله بن

[1] ـ وقد بحث عن الشرح المنسوب وهو إيضاح المرسوم في حل ألفاظ حملة المسوم الذي سبق التعريف به قبل إلى السيد أحمد الفوتى حول حملة الموسومى فلم أجده فاعتمدت على ما في الدخيرة للأستاذ لارباس وما جاء في مؤلف الأستاذ المختار ولدباه أطال الله عمره

[2] ـ مقدمة الكتاب، ص:4.

[3] ـ الأمانة العلمية تقتضي الاحتفاظ بعبارة الشيخ لأنه لا داعي لحذف نون (يجهلونه) بدون عامل نصب أو جزم، وكاتب التقريظ هو إبراهيم بن عبد الله الكواخي أحد علماء إفريقيا ص:5.

سيدي الوافي (الجكانى)، ثم قال و (الجكانى) نسبة إلى قبيلة من قبائل العرب المشهورة بالقرآن في جمهورية موريتانيا»[1].

ومن هذه المقدمة يذكر الشيخ الغوتى الدوافع المباشرة لتأليف الكتاب رغم طول النص المنقول الذي نستشف منه اعتماد المشارقة على جهود علماء الغرب الإسلامي في مجال رسم القرآن وضبطه فقال: «ولما التحقت بالأزهر الشريف وجدت هذا الكتاب مع عموم فائدته قد حصل فيه تحريف وتبديل يحتاج إلى تنقيح وتهذيب، وعلمت من نفسي أن ذلك يتطلب جهدا كبيرا، لما علمت من توقف مصالح الجماهير من الطلاب والمدرسين عليه والمشقات التي يلاقونها من أجل نقله وفهم معانيه، ولذلك اعتمدت على الله فشرعت في شرحه وتوضيح أسلوبه وحل إشارته[2]».

وهذه الملاحظات التي ذكرها المؤلف حاضرة بالقوة في منظومة (الطالب عبد الله) في رسم القرآن وضبطه كما رأيت نماذج من الرموز التي تعمدها المؤلف الناظم في قصيدته، ولهذا كان للشارح الذي سمى كتابه هذا ب "مفتاح الأمان في رسم القرآن" فضل فقط صدق في قوله: «وقد راعيت فيه الأصل مع حذف بعض ما لم أر في وجوده فائدة كما زدت عليه ما لايتم المقصود بدونه ونبهت على بعض خلافات هامة، ثم رتبته ترتيبا لم أسبق إليه وعقبت كل طائفة من الأبيات بخلاصة لقصد حصْر أبحاثه وأحكامه وتسهلا لمراجعته وتحقيقه وسميته "مفتاح الأمان في رسم القرآن"»[3].

وبعد هذه المقدمة شرع المؤلف في شرح نظم حسن طالب في رسم القرآن، وأحاول أن أحتفظ بعبارات المؤلف بالإشارة إلى شرح مقدمة القصيدة أو النظم بقوله: «طلب المؤلف أن يقصد الناظم من الله العون أن يجعل نظمه هذا مختصرا جامعا للرسم والضبط لكي يكون واضحا كالمرآة أمام المبتدئين، وتذكرة للشويخ وقد سمى المؤلف كتابه هذا ب "المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع" أي هذا الكتاب جامع لرسم

[1] ـ مقدمة المؤلف "مفتاح الأمان في رسم القرآن"، أحمد الغوتى، ص:7 فقال في هذه المقدمة أنه لا يعرف تاريخ ولادة الشيخ طالب حسن ولا وفاته غير أنه عاش في القرن التاسع عشر.

[2] ـ نفسه، ص:8.

[3] ـ نفسه، ص:10.

الصحابة وضبط التابعين»[1] وإن كان المؤلف يتحدث عن هذا النظم ككتاب، والفرق في عرف الباحثين أن النظم الذي يتكون من عدة أبيات من بحر الرجز الذي ينظم فيه العلماء بعض العلوم تسهيلا للحفظ بإيجاز العبارة مع التقديم والتأخير للضرورة الشعرية ليست ككتاب، اللهم إذا تعلق الأمر بشرح الأبيات والتعليق عليها نعم فكتاب "مفتاح الأمان في رسم القرآن" كتاب لأن المؤلف يقوم بشرح نظم بجل ألغازه ورموزه ويقدم معانيه سهلة للقارئ، فهو كتاب إذن يتعلق بشرح نظم في رسم القرآن وضبطه

أمثلة من شرح هذا النظم

فقال الشارح: ولما انتهى الكلام على الهمزة انتقل يتكلم على باب التاء فقال:

نعمت تامع كاهن الإنسان هم كفراً يُرى كنتم وماهل همَّ ثم

رحمتَ ذكرَ ـثر يرجو إن سخريا أمرٍ يقسمون ابنت إنْ

شجرت العنت بيت أمرات ضف كبقيت سنت الطول مضت

يمسك فطرت لعنت الكذب سكتْ قرت عين جنت المزن أبتْ[2].

وسننقل شرح المؤلف الشارح بأمانة لنرى كيف استطاع أن يفك هذه الألغاز من نظم رسم حسن طالب عبد الله المعروف ب (المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع)[3].

وفي هذه الأبيات التي ذكر فيها الناظم الكلمات المكتوبة في المصحف العثماني بالتاء المطلقة كما يسميها المغاربة احترازا من وجود الكلمات نفسها كتبت ب (الهاء) أي التاء المربوطة في أماكن أخرى القرآن الكريم يقول الشارح: وقد عقد المصنف هذا الباب لبيان ما يكتب بالتاء لقلته ولم يذكر ما يكتب بالهاء لكثرته فقال: «نعمت تامع

[1] ـ مفتاح الأمان في رسم القرآن، ص:10.
[2] ـ مفتاح الأمان في رسم القرآن، أحمد الغوتى، ص:83
[3] ـ نظم حسن طالب عبد الله الموريتاني.

كاهن» يعني نعمت بالتاء تكون مع (كاهن) يقصد الآية ﴿ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾[1]، و الإنسان في ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2]، عكس: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[3].

يعني أن (نعمت) التي تجاور إن الإنسان هي التي تكتب بالتاء "إبراهيم" أما التي تجاور ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فتكتب بالهاء في "النحل".

وَ (هُمْ) في ﴿وبنعمت الله هم كافرون﴾ عكس ﴿ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ بغيرهم، و (كفراً) في ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾،(إبراهيم،28)، و (يرى) في ﴿ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ (لقمان، 31) و(كنتم) في موضعين الأول: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً ﴾ (آل عمران، 103) والثاني: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل، 114)، و (ما) في: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ (البقرة،231) و(هل) في ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (فاطر، 3) و(همَّ) ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ﴾ (المائدة)، و (ثُم) ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ النحل،83[4].

وأما ما عاد هذه من لفظ نعمة فتكتب بالهاء أي التاء المربوطة وأعيد كتابة البيت الذي يحتوي على الرموز الألغاز: نعمت تامع كاهن الإنسان هم كفراً يرى كنتم وماهل هَمَّ ثُمَّ

فكل كلمة مذكورة تشير إلى أنها تجاور حرف "نعمت" التي تكتب بالتاء المطلقة في القرآن ويستعمل الشارح كلمة عكس مشيرا إلى وجود نعمة تكتب بالهاء أي التاء

[1] ـ سورة الطور، الآية:29.
[2] ـ سورة إبراهيم، الآية: 18.
[3] ـ سورة النحل، الآية : 18.
[4] ـ مفتاح الأمان في رسم القرآن، أحمد الغوتي، ص: 83 - 84.

المربوطة، ثم بذكر الكلمة المجاورة لها، وهذه الطريقة لا تساعد المتعلم المبتدئ على تعلم الرسم القرآني.

ويصعب فك هذه الرموز على المتخصص نفسه بخلاف الأنصاص المغربية التي تيسر هذا الفن على المبتدئين والمتخصصين معا كقول صاحب النص:

الخمر لن تنالوا ثاني حرمت اثنين بدلوا ثلاث حفدة

ومن يسلم قل إنما أعظكم والطور بنعمت ياذا الفهم

وهكذا ذكر صاحب هذا النص: المواضع التي توجد بها كلمة (نعمت) بالتاء المطلقة، وذكر الربع الأول من حزب (واذكروا الله) البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ فاكتفى بذكر الخمر كما توجد (نعمت) أيضا مطلقة في الربع الأول من (لن تنالوا البر) ثم الكلمة أو (نعمت) الثانية في ربع (حرمت عليكم)، وهكذا ذكر الشيخ الشارح كلمات مماثلة ل (نعمت) التي تكتب مرة بالتاء ومرة بالهاء في القرآن الكريم من قبيل (رحمت) و (رحمة)، (سنت) و (سنة) (شجرت) و (شجرة)[1].

وبهذا الرسم أو الإملاء وجدت هذه الكلمات مكتوبة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم في المصحف العثماني، والسر في هذا الاختلاف وعلمه عند الله وبعض العلماء الذين حاولوا تعليل هذا الاختلاف وقد أشرت إلى جانب من هذا التعليل وسأرجع إليه مرة أخرى.

هذا وأريد من خلال هذه الإشارة إلى جهد علماء شنقيط والأفارقة عموما في الحفاظ على رسم القرآن الكريم في هذه البلدان الشقيقة في غرب إفريقيا وشرقها، وتبيان مدى الترابط والروابط الثقافية التي تجمع شعوب إفريقيا على مر العصور والأزمنة، وأثر المدرسة المغربية في الرسم والضبط عند الأفارقة.

[1] ـ مفتاح الأمان، ص:83.

من ذلك ومن خلال هذا الشرح يذكر المؤلف اعتراضه على المؤلف في إثبات "ضعافا" "خافوا" وذلك بقوله: «إن مفهومه أن الضعف إذا لم يكن مع الربوا يكون ثابتا وقد أورد بعضهم عليه الإعتراض فقال[1]:

من شهر ثبت ضعاف مشوا لجهلهم ضعافا فاخافوا

إذ لا يرى في مورد الظمآن نسب ثبته إلى الأعيان

ومن غدا يكذبني فلينظرا كتب مصر وهي أعظم القرى

يجد بها حذف ضعافا رأسي كذلك في مراكش وفاسى

وذا به يحصل الإكتفاء اعييت لو ينفعني الاعياء

ثم أضاف المؤلف الشارح يعلق على هذه الأبيات بقوله: «وهذا الخلاف مبني على أن الداني حذف وأبو داوود سكت عنه لم يذكره بالحذف ولا بالإثبات، وأغفله الخراز ولإغفال الخراز وسكوت أبي داوود عنها كم المصنف بإثباتها ولكن العمل جار على ما ذهب إليه الداني وهو الحذف»[2].

من خلال هذه الأبيات والتعليق عليها يتضح أن تأثير المدرسة المغربية في الرسم والضبط في إفريقيا له حضور كما لهذا التأثر شواهد أخرى لم نأت بها تجنبا للإطناب والإطالة غير أنه لا بد من الإشارة إلى ما نقله أحد الباحثين[3] المعاصرين المهتمين بالرسم والضبط والقراءات عن المؤلف حيث يشير المؤلف إلى مقارنة نظم رسم طالب عبد الله ومورد الظمآن للخراز، إذ يقول المؤلف: «والواقع أن هذا الكتاب فريد في بابه إذ لم أقف على نظم أو نشر في الرسم مثله بعد "مورد الضمآن" فالمورد يتعرض لبعض

[1] ـ فتح المنان في رسم القرآن، أحمد الغوتي، ص:38.
[2] ـ فتح المنان في رسم القرآن، ص:38
[3] ـ عبد الهادي حميتو

العلل والخلافات وينسب الأقوال إلى قائلها بخلاف طالب عبد الله فإنه اقتصر على المعمول به المشهور عند أهل المغرب»[1].

ويظهر من خلال المصادر والمراجع أن المؤلف أي شارح نظم رسم طالب عبد الله لم يكتف بهذا الشرح فألف شرحا آخر للأرجوزة في عنوان: "الإيضاح الساطع على المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع" واكتفيت بالإشارة إلى هذا النظم (رسم طالب عبد الله) لشهرته على الصعيد الإفريقي، وللتأكيد على أن علماء إفريقيا أدركتهم حرفة إخوانهم المغاربة في مجال القراءات القرآنية وفي الرسم والضبط نثرا ونظما، ويعتبر ذلك وجها من وجوه الحضارة الإسلامية في هذا الربوع، والمغاربة بدورهم تأثروا بالموروث الأندلسي والقيراوني في الرسم والضبط وكذا القراءات، حتى أن بعض الباحثين عزا الإرهاصات الأولى للانصاص المغربية إلى بعض القراء الأندلسيين.

الفصل السادس: الأنصاص المغربية ودورها في ضبط القرآن بالمغرب رسما و أداء.

المطلب الأول: تعريفها

قبل أن أتحدث عن الأنصاص بعد تعريفها، أشير إلى أن العلماء خاصة في الغرب الإسلامي، أولوا عناية كبرى لرسم القرآن وضبطه مستعينين بجهود علماء القراءات والأداء من عيار الإمام أبي عمرو الداني، وابن نجاح، ومكي بن أبي طالب، فنظموا قواعد الرسم والضبط على شكل قصائد ومنظومات على بحر الرجز[2] الذي يسهل حفظه نظرا لسهولة تفاعيله وخفة جرسه الموسيقي في الأغلب، غير أن بعضهم كان ينظم على الطويل مثل الشاطبي في حرز الأماني والحصري في رأيته المشهورة.

ونظم قواعد الرسم معروف بالأرجوزة ومن أمثلة ذلك نظم: الدرر اللوامع لابن بري، ومورد الظمآن للخراز، والإعلان لابن عاشر وغيرهم من أرجوزات العلماء التي تعنى بقواعد الرسم والضبط، لكن بعد انتشار الكتاتيب وبرزت عناية المغاربة[3] لحفظ

[1] ـ قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش: مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، عبد الهادي حميتو، 405/2.

[2] ـ ونظرا لسهولة بحر الرجز واختصاره سماه العروضيون ب "حمار الشعراء" لسهولة امتطائه.

[3]

القرآن الكريم واحتيج إلى قواعد سهلة المنال ليستعين بها المتعلمون الذين لايزالون في طور الصبا ولم يدرسوا قواعد النحو والصرف والإملاء بعد التجأ المعلمون إلى اختراع الأنصاص.

1- تعريف الأنصاص:

الأنصاص جمع نص، وهي عبارة عن قواعد تساعد المتعلم على الأداء والضبط والرسم، حظها من فصيح اللغة قليل، لأن أغلب ناظميها معلموا الصبيان في الكتاب قصدهم ترسيخ القاعدة في دهن المتعلم.

2 - ظهورها أو نشأتها:

يقال أنها ظهرت لأول مرة في الأندلس، يقول الباحث سعيد أعراب متحدثا عن المنثوري[1] وهو من المترعين لهذا الفن، قال: «خلَّف تلاميذ كثيرين أذاعوا في الناس قصائده ودواوينه وخصوصا منها أنصاص يعيد التي يعتبر المخترع الأول لها على ما سنذكره بعد»[2].

وقال له عدة منظومات في الثبت والحذف ودواوين في الأنصاص وفي كتابه القراء والقراءات بالمغرب، فأشار إلى أن الأنصاص «ظهرت أول ما ظهرت بالأندلس في حدود المائة السادسة للهجرة»[3].

ثم قال فقد أورد أبو الحسن الرعيني (ت666) في برنامجه جملة منها فذكر أنه أخذها عن بعض شيوخه كابن علي المعروف بالزبار، قال وأنشدني لغيره:

حكيم عليم في التلاوة خمسة فلا تسمعن في القول من قال سادس

ففي سورة الأنعام منها ثلاثة وفي الحجر حرف ثم في النحل خامس[4]

[1] - المنثوري أبو عبد اله محمد بن عبد الملك المنتوري من الذين كتبوا عن درر اللوامع لابن بري 831 هـ العصر المريني .
[2] - القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ص: 169.
[3] - نفسه، ص:170.
[4] - نفسه، ص: 170.

يعني أن كلمتين من صفتي الله تعالى "عليم" والثانية "حكيم" هكذا (عليم حكيم)في القرآن الكريم وردت في خمسة مواضع ذكرها الناظم بالسور في الأنعام (3) وفي الحجر (1) وفي النحل (1)، ومن تاريخ ولادة الإمام الرعيني[1] نستدل على قدم الأنصاص وتأصيلها كعلم من علوم القرآن التي يغفلها كثير من الباحثين بهذه الصفة كعلم يخدم القرآن رسما وأداء.

ومن مرويات الرعيني من أنصاص الأندلسيين كذلك قول بعضهم

سألت إذا أتلا لعب ولهو وكم من موضع هو في القرآن

بحرف في الحديد وفي القتال وفي الأنعام أيضا موقعان[2]

والأنصاص حسب بعض الحيثيات أقدم مما يظن، كما جاء في بحث الدكتور عبد الهادي حميتو "حياة الكتاب وأدبيات المحضرة" تحت عنوان نبذة عن ظهور الأنصاص والمحاضر المغربية محدثا عن أهمية الأنصاص في تقريب الرسم والضبط من المتعلمين مجيبا عن سؤال طرحه بعض الباحثين عن بداية ظهور الأنصاص فذهب الباحث إلى القول: « بأننا لا نعرف بالضبط متى بدأت هذه الأنصاص في المغرب»[3]. وذكر غيره أنها كانت ببلاد الأندلس في حدود المائة السادسة للهجرة[4].

ثم عقب الأستاذ الباحث بقوله: «وتعقيبا على ما تقدم أقول: (عرفت بداية الأنصاص قبل هذا التاريخ بنحو مائة عام)[5] مستشهدا مما وقف عليه منها مذكور في

[1] ـ ذكر الدكتور العيادي في الجزء الأول من كتابه " الفتح " الأنصاص القرآنية فجاء في برنامج شيوخ الرعيني أبي الحسن على بن محمد الاشبيلي من مواليد 592 هـ ت (666 هـ) وذكر الكاتب أن برنامج شيوخ الرعيني طبعته وزارة الأوقاف والإرشاد القومي السوري سنة 1962 بتحقيق إبراهيم شبوح؛ من كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي ص: 100 الطبعة السابعة 2010

[2] ـ القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ص: 171.

[3] ـ نقلا عن مقال للدكتور التهامي الراجي مجلة دعوة الحق عدد فبراير 1969 ص: 22-23

[4] ـ ذكرها الأستاذ سعيد أعراب في كتابه : "القراء والقراءات بالمغرب" وكذلك الدكتور عبد العزيز العبادي في كتابه: " الأنصاص القرآنية" وقد سبقت الإشارة إليهما من قبل.

[5] ـ سعيد أعراب، 171.

كتاب التنزيل في رسم المصاحف لأبي داوود سليمان بن نجاح تلميذ أبي عمرو الداني وذكر أن ابن نجاح توفي ببلنسية سنة 496 ه»[1].

وأتى بأمثلة منها: أي من أنصاص ابن نجاح الذي قال:

اعلـــــم بأن العب قبل اللهو أربعــة أحصيتها للسهـــــو

في سورة الأنعام منها اثنان وفي الحديد والقتال اثنان

تتمة العدة فاعلمنـــــــــــــــه وميز القريض واحفظنـــــه[2]

وذكر له أنصاصا أخرى كنص النفع قبل الضر.

والفرق بين أنصاص الأندلسي وأنصاص المغاربة، أن الأندلسيين يستعملون أسماء السور كما رأيت هناك الحديد والقتال والأنعام.

والمغاربة يستملون الأحزاب أو الأرباع مثل قول أحدهم في نظم المواضع التي ورد فيها (ومن يكفر) بالواو أو (أفمن يكفر) بالفاء.

ما ننسخ نبيئكم تفرقا حرمت دابة ومن يكفر بالواو فخمسة

وعكسهم قل بالفاء حرفان في الذكر تلك الرسل أحسّ فخذهم مكملا

ومن حيث اللغة: فالأندلسيون نظموا أنصاصهم باللغة الفصحى أو شبه الفصيحة، أما المغاربة فيستعملون الفصحى أو العامية أحيانا و الأمازيغية أحيانا. كما سأذكر فيما بعد بحول الله.

المطلب الثاني: موضوعات الأنصاص ومجالها

[1] ـ نفسه، 171.
[2] ـ القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ص:172

يعتبر القرآن الكريم موضوع الأنصاص من حيث الرسم والأداء، بعضها يتناول كيف ترسم الكلمات وبعضها يتناول ضبط الكلمات القرآنية، وبعضها يتناول الوقف، وبعضها يتعلق بمتشابهه اللفظي، وبعضها يتعلق بأدبيات القراءة والتعوذ والبسملة وآداب التلاوة والتجويد.

وكما قال الباحث سعيد أعراب رحمه الله عن الأنصاص: «إنها دخلت في كل موضوع من موضوعات القرآن وحتى القراءات السبع»[1]. كما أضاف «ولعل أخص هذه النصوص وأخفها: نصوص بعيد ويقال أن أبا العباس الميروزي هو أول ناظم لها»[2].

ولكن هناك احتمال أن "بعيد" وجد قبل الميروزي رحمه الله وللتعريف ب "بعيد" أسوق مثالا كقول الناظم: سُليمانُ بالضّمِّ بَعد كَفَرَ وَوَرِثَ لَيَحْطِمَنّكُم جَرى

يعني أن لفظ سليمان الذي هو اسم نبي الله سليمان بن داوود عليهما السلام جاء في القرآن بالضم بعد هذه الكلمات التي ذكرها وهي (كفر) و (ورث) و (ليحطمنكم) وسليمان هنا في الواقع فاعل مرفوع بالضمة، لكن هذه الأنصاص وهذه القواعد وضعت أصلا لشريحة لا تعرف الإعراب والنحو كما هو معلوم ومن هم واضعوها.

المطلب الثالث: مصادر هذه الأنصاص وواضعوها

وضعها العلماء والفقهاء المشتغلون بالقراءات والمهتمون بتعلم القرآن الصبيان واليافعين في الكتاتيب والمساجد والمدارس القرآنية والفقهاء المشارطون، الذين هم في أمس الحاجة إلى قواعد من شأنها أن يستعينوا بها مع طلبتهم وتلاميذهم من أجل ضبط القرآن من حيث الرسم والأداء والقراءة السليمة.

[1] ـ القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ص: 171.
[2] ـ نفسه، وأبو العباس المزوري هو أصله من قبيلة مازورة بضواحي تازة توفي حوالي 1325 هـ، ولكن هناك احتمال أن نظم بعيد أقدم من هذا التاريخ.

وهذه الأنصاص ليست كالمنظومات الطويلة في الضبط والرسم المنسوبة إلى الخراز في مورد الظمآن وميمون الفخار وابن عاشر في الإعلان وابن بري والحصري والأجرومي وغيرهم، إنما الأنصاص أبياتها قليلة العدد بيت أو أبيات قد تصل إلى عشر وأغلبها مجهولة القائل، غير أن هناك كل منطقة من مناطق المغرب فقهاء معروفين في هذا الميدان كالفقيه محمد بن إبراهيم أعجلي السوسي (كان مخنشاً)، ولنا عودة إلى الفقيه أعجلي عندما سنتحدث عن (الحطية).

ومن أصحاب الأنصاص ومؤلفيها في المنطقة الوسطى (عمر بوعسرية) وبحثا عن قبيلته في غالب الظن أنه سرغيني أو مسكيني لأن الأنصاص التي يذكر فيها فاشية في هذه المنطقة، ومنهم سي سعيد الجرموني، معروف بالقراءات ونظم الأنصاص، أدركت أثره في مدرسة سيدي الزوين لما التحقت بها عام 1963 من القرن الماضي،

ومن واضعي الانصاص فقهاء في جبالة وتافلات فكل فقيه مشارط عنده المحضرة و (المسافرية) يعد القرآن عدا ويحصي كلماته يقوم بنظم الأنصاص.

وكما يقال: الحكم عن الشيء فرع عن تصوره فلا يمكن أن يدرك المتتبع فائدة هذا الفن المغربي الأصيل إلا بذكر أمثلة ونماذج، وكما يقول علماؤنا عندما يستعدون لدراسة فن من الفنون أو علم من العلوم، المقصود به عند أهله ثمرته، أي الهدف منه النتائج التي يتوصل إليها بسببه فيذكرون تلك الأبيات المعروفة التي قال فيها بعضهم:

إن مبـــــــادئ كل فن عشرة الحد والموضوع ثم الثمرة

ونسبة وفضله والواضـــــع والإسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرف

يطيل علماؤنا في شرح هذه الأبيات عند الشروع في تدريس علم من العلوم بدءا من تعريفه وحده وحصر الموضوع الذي يعالجه هذا الفن مع ذكر واضعه وفضله وحكم

الشرع في هذا العلم أو الفن ثم يقفون كثيرا على ثمرته أو الفائدة منه، وثمرة الأنصاص وفائدتها وذلك ما سأحاول معالجته في هذا المطلب.

المطلب الرابع: الفائدة من الأنصاص

لعل هذا المطلب تحت هذا العنوان يعد من باب تحصيل الحاصل إذ هذا البحث المتواضع، وضع أصلا لأجل هذا، ففي جميع المراحل أشير أحيانا إلى بعض الفوائد التي تكمن وراء نص أو قاعدة يقصد منه أو منها كتابة (كلمة قرآنية) أو حرف من القرآن بالكيفية التي كتب بها في المصحف العثماني، وقد يكون له شبيه في سورة أخرى، لكن برسم يخالفه فيحرص العلماء الفقهاء على أن يكتب القرآن صحيحا كما أملاه النبي صلى الله عليه وسلم وكتبه صحابته ولأن هذه المخالفة تعتبر مخالفا لإجماع الأمة.

قال العلامة العارف الكبير عبد الواحد بن عاشر معلقا على بيت الخراز في نظم مورد الظمآن في رسم القرآن وهو قوله فيتحدث عن الإجماع حول كتابة القرآن كما في المصحف، فينبغي لأجل هذا أن نقتفي مرسوم ما أصله في المصحف.

ونقتدي بفعله وما رأى في جعله لمن يخط ملجأ

وقال أحد العلماء المصريين المعتنين بالرسم القرآني معلقا على هذا الإجماع الذي ينبغي أن يتحقق ـ وقد تحقق ـ قال:« قال العلامة ابن عاشر في شرح البيت، أي بطلب منا أن نتبع في قراءتنا المرسوم الذي جعله لنا في المصحف أصلا وأن نقتدي في كَتْبنا القرآن بكتبه رضي الله عنه (يعني عثمان رضي الله عنه) ورأيه في جعله المصحف ملجأ أو مفزعا وحصنا وإماما لمن يكتب، إلى أن قال: إن الشرَّاح أطبقوا على تفسير ـ ينبغي ـ فيجب»[1].

وأضاف أن العلماء سيعملون هذا الندب للوجوب كما قال صاحب عمدة البيان:

[1] ـ إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن، تأليف الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني ومن معه، أي الكتاب: الرحيق المختوم سيد حسن بن خلف الحسيني، ص: 71 - 72

فواجب على ذوي الأذهان أن يتبعوا المرسوم في القرآن

مستشهدا مرة بأقوال العالمين ابن عاشر ومكي بن أبي طالب القيسي من علماء الغرب الإسلامي في القرآن وعلومه وذلك بقوله: « قال العلامة ابن عاشر ووجه وجوبه ما تقدم من إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم عليه زهاء اثني عشر ألفا والإجماع حجة حسبما تقر في أصول الفقه، قال أبو محمد مكي في الإبانة وقد سقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف فكأنها منسوخة بالإجماع على خط المصحف»[1].

ومن هذا الإجماع عند العلماء على وجوب خط المصحف والحفاظ على كتابة القرآن الكريم كما كتبه الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبإملاء منه، ظهرت فائدة الأنصاص التي حرص ناظموها على إبقاء الكلمة القرآنية تكتب صحيحة وتقرأ صحيحة على مر العصور والأزمان مصداقا لقوله تعالى الذي أكد أن يبقى القرآن محفوظا من الزيغ والتغيير فأكد ذلك بمؤكدات: الجملة الإسمية ونون التوكيد ولام الابتداء وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

هذا ولأن كتابة الكلمة القرآنية بغير رسمها وصورتها في المصحف المعترف به عند المسلمين، مصحف عثمان رضي الله عنه يعتبر ذلك لحنا وتغييرا في القرآن الكريم باحترام السياق الذي جاءت فيه، وإن كانت هذه مخالفة للكلمة نفسها جاءت في سورة أخرى، وعلماؤنا يعرفون هذه السياقات ومدلول الكلمة في كلا السياقين كما في كلمة (الميعاد)، فإنها في القرآن جاءت ثابتة الألف حين تعلق الأمر ب (ميعاد الله) الذي لا يخالف ميعاده، وحينما تعلق (الميعـــد) بالبشر جاء في المصحف محذوفا في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعـــدِ﴾ فجاء محذوفا كما هو معروف عند علماء تعليل الرسم القرآني الذين وهبهم الله هذا السر الرباني، ومهمة النص أو النظم أن يذكر للقارئ وللمتعلم أن هذه الكلمة في سورة كذا تكتب هكذا، والأخرى في سورة كذا تكتب مخالفة، وإن كانت من الحروف نفسها ك (رحمة) و (رحمت) وذلك للمحافظة على القرآن كما كتبه الصحابة بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.

[1] ـ نفسه، ص: 72.

وكما أشرت سابقا إلى أنه لا يمكن إدراك كنه الأنصاص إلا إذا وقفنا على نماذج منها لمعرفة دورها ومجال تدخلاتها.

المطلب الخامس: دور الأنصاص ومجالاتها

من المعلوم أن الأنصاص القرآنية بالمغرب خاصة برواية ورش عن نافع، فمنذ استولى المرينيون على مقالد الحكم في المغرب بدأت شخصية الثقافة تستقل على المستوى الشعبي والرسمي «بحيث أخذت الجوانب العلمية والثقافية والحضرية تأخذ الطابع المغربي والصبغة الوطنية، حيث بدأت تبرز معالم الشخصية المغربية في العمارة والزخرفة والفنون والثقافة، ومن جملة هذا الجانب الحضري والثقافي المتعلق بالقرآن الكريم في جانب تشييد المدارس العلمية والعناية بالقرآن وعلومه وضبطه ورسمه، فظهرت منظومات وأرجوزات من ضمنها منظومة الخراز محمد بن إبراهيم الشريشي المغربي(718ه) المسماة: "مورد الظمآن في رسم القرآن" ومنظومة الشاطبي وغيرهما»[1].

ولما كثر الإقبال على المنظومات الخاصة برسم القرآن وضبطه، لكن الاعتماد عليها وحدها تحتاج إلى تحليل وفك الألغاز، ولا يمكن أن يستفيد منها العلماء وأرباب الاختصاص، فاحتاج الفقهاء إلى إيجاد بديل للمنظومات الطويلة المكتوبة بالفصحى ولغة الدواوين، فلجأ فقهاء الكتاتيب والمدارس القرآنية إلى الأنصاص بعد الاستئناس بفائدتها، كما أشرت في البداية إلى أنها ظهرت في الأندلس في القرن السادس الهجري، بل هناك احتمال أنها ظهرت قبل هذا التاريخ بقرنين، وإلى حاجة الفقيه إلى آلة يستعين بها لتقريب القرآن إلى تلاميذه، فالتجأ «الفقيه المعلم "المشارط" إلى ابتكارات أخرى لأمر تقتضيه المصلحة التربوية، وبنفس الحماس على القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية ومحور

[1] ـ الأنصاص القرآنية، عبد العزيز العيادي، 96/1.

حركتها ونشاطها ومصدر تشريعها»[1] فالتجأ إلى ظاهرة الأنصاص، وهي أي الأنصاص على هذا الاعتبار مدرسة مغربية بامتياز ورمز من حضارة المغرب وثقافته.

وبعد هذه التمهيدات أشير إلى دور الأنصاص ومجالها فيما يتعلق بثبت الكلمة القرآنية وحذفها مثال الثبت (كتاب) والحذف (كتـــــب) فقد ورد هذا اللفظ في القرآن في كلتا الحالتين في أماكن مختلفة إلى انب أنصاص الحمل والاعجام والتاءات المبسوطة والأخرى المربوطة وبعدد ورود الكلمة في القرآن على وجه من الضبط أو الوقف أو التقديم والتأخير والفصل والوصل[2] والإدغام والفك والتنوين والهمز والنصوص التي تعنى بالأداء والتجويد واختلاف الروايات[3] والعدد وأنصاص بعيد و "الاخوتات" وأنصاص تنص على كيفية كتابة بعض الكلمات التي لا يمكن الاستناد فيها إلى المعيار النحوي أو الصرفي مثل (ملْأَئِهِ) أو أنصاص تتعلق بآداب تلاوة القرآن و البسملة والتعوذ والإشمام والروم والاختلاس والتفخيم والترقيق والتقديم والتأخير، وفيما يتعلق بعض الكلمات كاللهو واللعب والضر والنفع والأرض والسماء وذلك كله حرصا على سلامة القرآن الكريم نطقا وأداء وترتيبا وحفظا بدون تغيير وتبديل.

وسأفصل القول في هذه الأنواع وأمثل لكل ضرب منها بأمثلة

1ـ وأبدأ بالأنصاص المتعلقة بكيفية كتابة بعض الكلمات القرآنية بالحفاظ عليها كما هي مرسومة في المصحف كقول أحدهم: حول (ملْأَئِهِ)

يا غادي للغرب وللمكناس بلغ سلامنا لأهل فاس

وقل لهم ملايه قد حولت همزته تحت ياء قد طرحت

ودارت تكون فوق الألف وجدتها في الصحراء يا عارف[4].

---

[1] ـ نفسه ص: 97.

[2] ـ الفصل والوصل في هذا الميدان ليس الفصل والوصل في البلاغة من ضمن علم المعاني وسأذكر أمثلة للفصل والوصل الخاص بالرسم القرآني.

[3] ـ عن الأنصاص القرآنية لعبد العزيز العيادي، 106/1 وما بعدها، و "حياة الكتاب وأدبيات المحضرة" للباحث عبد الهادي احميتو 617/2.

[4] ـ والناظم فيلالي كما رأيت ذلك في مرجع ومن الأنصاص التي حفظتها قبل الالتحاق بمدرسة سيدي الزوين المشهور.

و (ملْأَئِهِ) تكتب هكذا عند المغاربة المحققين للرسم القرآني العثماني، ولذا أشار صاحب النص إلى همزة (ملْأَئِهِ) طرحت كما ترى تحت الياء، ولأن بعض المصاحف التي تأتي من المشرق[1] كتبت بها الكلمة هكذا (ملأيه) أما عند المغاربة كما تلقيناها عن شيوخنا فتكتب كما قال صاحب النص، وهذا الرسم يعززه قراءة بعض القراء السبعة بالياء المحضة، وإن بحثت عن الكلمة في مصاحفنا المغربية ستجدها مكتوبة (ملْأَئِهِ) حيث وردت في القرآن .

ومن الكلمات التي نص عليها أحدهم بذكره كيف تكتب وفيها إشكال الثبت والإمالة وهي:

عصاني تولاه هداى ومثواى تقاته مع تترا بالثبت والإمالة[2]

وهي ست كلمات وردت في القرآن بألف ثابت مع الإمالة كما رأيت، والغمالة (صوتا) هي الميل بالفتحة نحو الكسرة لبيان أن أصل الألف منقلب عن الواو أو الياء ويصعب النطق بها، والبحث في الإمالة كجميع الصوتيات في القرآن مستفيض لا داعي للخوض فيه الآن.

ولصعوبة النطق بالإمالة قال أحد علماء سوس في ذلك اعتقد الجيشتمي:

ولا تكسر الحرف الممال بل الْزِمنْ له الفتح إذ علم الإمالة في القبر[3]

بمعنى أن الذين يحسنون الإمالة أغلبهم غادروا الحياة إلى عفو الله، مثال آخر نحو كلمة نص عليها ناظم النص لبيان كيفية كتابتها وهي (هوداً) وهي اسم نبي الله الذي أرسله الله والنص:

هوداً أتت بالواو ثم الألـــــــف في ما ننسخ وصرفت يا عارف

---

[1] ـ وبهذا الصدد قال مؤلف "المطرب شرح المعرب في مقدمة الكتاب" (والجدير بالذكر أنما جرى العمل به بتونس المغرب الأدنى هو ما جرى به العمل في المغرب الأقصى تماما إلا في لفظ واحد وهو (ملائه) وكتبه هكذا (ملائه) وسم الكاتب عبد الجليل لمغاري ط 1 مقدمة الكتاب ص: 14 وتوجد الكلمة في عدة مواضع.

[2] ـ وسأرجع إلى هذا حينما يحين الوقت للإشارة أن الأمازيغ أيضا تطرقوا إلى رسم القرآن بلهجاتهم.

[3] ـ محمد حافظ، مقال في ندوة "الكتاتيب القرآنية الآليات الأهداف والآفاق" التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 75/2

اثنان في قال اركبوا يا من قرا ومثلـــــــه إذا ابتلى في البقـــــــرة

هذه الكلمة هي رسم نبي الله "هوداً" وردت في سياق في القرآن موقع نصب لأن هوداًمن الأسماء الأعجمية المنصرمة غير ممنوع من الصرف فنونت بفتحتين علامة على النصب، وجاءت في القرآن في ستة مواضع ذكرها صاحب النص في الأرباع الموجودة فيها.

ويوجد نص آخر يوضح كيف تكتب (هدىً) ومثيلاتها:

هدىً ضحىً أذىً عمىً بالياء غزّىً سدىً على السواء

مولىً مسمىً ومصفىً وقرىً كذا فتىً ومثوىً مصلىً مفترىً

وهي خمسة عشر حرفاً في القرآن الكريم نظمها الناظم ووضح كيفية كتابتها لكي لا ييكتب المتعلم الحرف والكلمة واضعا الفتحتين على الألف بل توضع على الياء وهي نكرة، والإسم مقصور والمعرف منه تعذر الحركة على الألف تعذرا كما حفظنا أيام الطلب:

تعذرا في الألف استثقـــــــــــالا في الواو والياء فخذ مثالا

كقال موسى معشار اليهود قد يأتي محمد ويغزو من جحد[1]

ولكن المتعلم المبتدئ في حفظ القرآن لا يعرف هذه القواعد ولذا وضح له صاحب النص كيف تكتب الكلمة وتضبط وكفى.

ومن الأنصاص المشهورة في كيفية كتابة الكلمة قول أحدهم:

كذلك يبين الله لكـــــــــم ءايـــــــــاته أربعـــة لكم

والوالدات لن تنالوا يرسم خذ لتجدن كذا واقسموا[1]

[1] ـ يعني أن حركة الإعراب يتعذر وجودها مع وجود الألف في الإسم المقصور وتكون ثقيلة كذلك فوق الواو والياء وأتى بأمثلة: الألف في (موسى) و(يأتي ويغزو) الياء والواو.

وذلك لمعرفة الفر بين (يبين الله لكم الآيات) الواردة في القرآن بصيغة الجمع والمعرفة بالألف واللام (الآيـــت) ومن التيسير أنني سأحاول أن اكتفي لكل نوع ببضع أمثلة تجنبا للإطالة.

1 ـ أنصاص تعلق بحسن الترتيب بالتقديم والتأخير على وضع الكلمة القرآنية في ترتيبها

كما جاء في المصحف العثماني وعند القراء الذين تواترت قراءاتهم لاسيما في السور التي تتحدث عن قصة موسى وفرعون وغيرها، وذلك رغبة من صاحب النص أن يساعد المتعلم على حفظ القرآن الكريم دون خلط بين الكلمات في التقديم والتأخير في سور معينة، ولمساعدته في حسن الحفظ والترتيب الصحيح ومن هذا النوع:

واترك إذا وابعث من الأعراف بسحره أيضا بلا خلاف

واترك وفرعون وثم وبـــــــــــه في طه والشعراء يا نبيه

في قصص القرآن حيث تحدث عن نبي الله موسى وما وقع له مع سحرة فرعون حيث ذكرت القصة في سورة الأعراف وفي طه وفي الشعراء، وبديهي أننا زمن الأخذ عن شيوخنا كنا نعاني من تداخل هذه الكلمات في مواضعها من حي التقديم والتأخير أو الترك، فجاء هذا النص ليساعد القارئ على أداء هذه السور كما نزلت وذلك بعدم ذكر "إذاً" و "ابعث" و "بسحره" في الأعراف وعدم ذكر (فرعون) و "ثم" و "به" في سورتي الشعراء وسورة طه ونظرا لصعوبة هذا التداخل بالذكر والترك، اثبت النصوص القرآ نية المعنية بهذا النص كقاعدة تساعد القارئ على القراءة الصحيحة من حيث الترتيب.

نص الأعراف قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وفي هذه الآيات من سورة الأعراف من الآية 120 إلى الآية 124

[1] ـ وتوجد في (والوالدات) البقرة ، الآية 242 ، (لن تنالوا البر) آل عمران، الآية: 92 ، (لتجدن) الأنعام، الآية: ، (وأقسموا)، النور، الآية:

في هذه القصة القرآنية التي جاءت مثيلاتها من القصص القرآني المتعلق بأخبار الأنبياء السابقين وما وجدوا من عناد قومهم كموعظة لقريش وغيرها من الجاحدين لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، واستئناسه للنبي صلى الله عليه وسلم وإخباره بأن الأنبياء والرسل قبله لاقوا عنادا من قومهم أكثر مما لقي.

وفي هذه الآيات وجه الشاهد الذي أتينا به لشرح الفائدة من النص السابق

اترك إذاً وابعث من الأعراف بسحره أيضا بلا خلاف.

فهذه الآيات المتشابهة بمثلها في طه والشعراء كما رأينا لا يوجد فيها: (إذاً) ولا (ابعث) ولا (بسحره)، ولكن يوجد فيها كلمة (فرعون) و (ثم) وسنلاحظ وجود هذه الكلمات في طه والشعراء في الآيات التي نتحدث عن سحرة فرعون مع موسى في طه ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (70) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ**﴾

وهناك عكس الأعراف يوجد كلمة (ثم) بين كلمتي من "خلاف" وكلمة "ولأصلبنكم" في حين لا توجد هنا في طه، أما في سورة الشعراء في سياق اعتراف نبي الله موسى بالفعل الذي جعله يفر من بني إسرائيل وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء، الآية: 20)، فهذه كلمة "إذاً" لا توجد في الأعراف ولا في طه، وفي سياق السحرة وموسى حيث خاطب فرعون ملأه عن موسى حين ألقى عصاه فأبطل سحر سحرته في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36)﴾ (سورة الشعراء).

وفي هذا السياق القرآني المتشابه لفظا في الأعراف وطه والشعراء أن هناك في الشعراء توجد الكلمات "إذاً" و "بسحر" و "ابعث" و هذا كله اقتضاه الحديث حول النص أراد صاحبه أن يعين القارئ بذكر كل كلمة في موضعها بأمانة فقال:

واترك إذا وابعث من الأعراف بسحره أيضا بلا خلاف

واترك وفرعون وثم وبـــــــــــــه في طه والشعراء يا نبيه

ونظرا لطبيعة هذا النص وأهميته في ترتيب الكلمات القرآنية، كما هي في المصحف وفي صدور حفظة كتاب الله في هذا الفد الأمين، والذي ألاحظه في قراءة الحزب الراتب أن طلبتنا يقرؤون هذه السورة قراءة صحيحة، وأن الضعفاء يصغون إلى زملائهم من المتقنين للحفظ والمهرة في معرفة المتشابه اللفظي، وهذه من إحدى فوائد القراءة الجماعية التي ورثناها عن أجدادنا وعلمائنا رحمة الله عليهم، وما زالت مستمرة في هذا البلد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن الأنصاص الواردة في هذا النوع من التي تساعد على الترتيب، والتي يستعين بها القارئ العادي والمتعلم وذلك كما قال أحدهم:

أَلَمْ أَلَمْ أَلَمْ يا محمدا انطلقوا هذا هذا مقيدا

إن المتقين كلوا وإذا فبأي حديث لا مزايدا

فهذا النص يساعد القارئ على اتباع ترتيب الآيات بعد ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ابتداء من الآية من 15 من سورة المرسلات فالكلمات التي تلي "ويل يومئذ للمكذبين" هي كما يلي:

ـ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ

ـ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ

ـ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا

ـ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

ـ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ

ـ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ

ـ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ

ـ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا

ـ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا

ـ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ

وهي آخر الآية في السورة وفي سلسلة يومئذ للمكذبين فإذا تأملنا الكلمات العشر الأولى في الآيات المصدرة ب ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تجدها هي التي تأتي مباشرة بعد ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ، وجمعها الناظم مرتبة في النص لتيسير عملية القراءة بدون خلط أو التباس ولابأس بإعادة النص للتطبيق والتأمل في إبداع المغاربة في هذه الصنعة

أَلَمْ أَلَمْ أَلَمْ يا محمدا انطلقوا هذا هذا مقيدا

إن المتقين كلوا وإذا فبأي حديث لا مزايدا

وإذا استثنينا الكلمات التي استعان بها الناظم لضرورة النظم وليستقيم الوزن الخاص ببحر الرجز (محمداً) و (مقيداً) و (لامزيداً) فإن سواها من الكلمات أو الأحرف ألم ألم ألم انطلقوا إلى آخره هي مفاتح الآيات العشر التي تلي ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذا الترتيب[1].

ومن الأنصاص المستعان بها في ترتيب المتشابه اللفظي كذلك قول بعضهم:

[1] ـ الكتاتيب القرآنية: الآليات الأهداف والآفاق، مقال محمد حافيظ تحت عنوان: "دور الكتاب القرآني في الحفاظ على القرآن الكريم بالمغرب" ص: 72 بتصرف.

سبق لكم وخربه في لن تنال اترك لكم سبق به في الأنفال

ففي لن تنالوا (آل عمران 126) يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ تفاديا للخلط بينها وبين آية الأنفال التي سبق فيها لفظ (به قلوبكم) ولم يذكر فيها لكم بتاتاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأنفال، 10).

ومن أنصاص الترتيب أيضا اللعب قبل اللهو (لَعِبٌ وَلَهْوٌ)، ومما ينسب للإمام الرعيني الإشبيلي (ت 666ه) حاكيا عن شيخه ابن علي الزبار الأندلسي أيضا قال أنه أنشده:

سألت إذا أتى لعب ولهـــــــو وكم موضع هو في القرآن

فحرف في الحديد وفي القتال وفي الأنعام أيضا موضعان[1]

وهذا من الأنصاص الأولى التي ظهرت في الأندلس قبل القرن السادس الهجري، أما اللهو قبل العب فيقول المغاربة في ذلك:

اللهو قبل اللعب اثنان في صرفت تجادلوا بياني

ومن هذا القبيل من أنصاص الترتيب والمحافظة على ترتيب القرآن الكريم في المصحف الذي كتبه الصحابة

الضر قبل النفع أو العكس النفع قبل الضر

ابدأ بالنفع قبل الضر كقول القائل:

النفع قبل الضر قل ثمانية وليس إن عددت غير سبعة

وعنده مفاتيح الغيب وزد لا أملك الأعراف بوّأنا ورد

[1] حياة الكتاب وأبيات المحضرة، عبد الهادي حميتو،673/2.

وان تعجب وءاتينا رشده مد الظل لا ضير لا تنساه

يرزقكم يا رب لا تنساني والحمد لله على الإحسان

ذكر الناظم هنا في هذا النص الأرباع التي ورد فيها كلمة النفع قبل الضر (بمادته) سواء كان إسما و مصدرا أو فعلا، ومما يسهل عملية الاختبار في ميدان تزكيات حفظ القرآن بالنسبة للأئمة، أنني أطرح هذا السؤال على المعني بالأمر بأن يتلو ما تيسر من الربع "نفعاً" أو ضراً فيفهم من السؤال أنه طلب منه أن يقرأ ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ في الأعراف أو أريد أن يقرأ ما تيسر من ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً﴾ في يونس، فإذا وفق في التمييز بينهما كان ذلك دليلا على علمه بمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وقد ختم صاحب هذا النص هذه الأبيات الأربع حيث يطلب من مولاه ألا ينساه ونسبة النسيان إلى الله قبيح، تعالى الله سبحانه عن هذه الصفة، وللتذكير فإن فقهاء الأنصاص يتمون الأبيات بما تيسر «كيجتلا ومكملا ومجملا و سبوهلالة»[1] إلى غير ذلك.

وذلك ليستقيم الوزن ولأن الأنصاص وظيفة أخرى كالرجز والترنم بها في الملتقيات الطلابية وفي الولائم للترويح عن الأنفس، وتختلف هذه الأصوات حسب المناطق وبألحان مختلفة حسب البحور الشعرية بين الطويل والرجز والوافر[2] والمتقارب.

ومن الأنصاص المساعدة على حفظ ترتيب الكلمات القرآنية كما أنزلت، هذا النص الذي يبين للطالب التلميذ الأمكنة التي وردت فيها (في الأرض) قبل (في السماء) لأن في الغالب في هاتين الكلمتين في القرآن أن يسبق ذكر السماء الأرض، غير أنه في هذه الأماكن وقع العكس فقال صاحب النص: الم الله وضرا وبدلوا ووصينا في الأرض ولا في السما أربعٌ

[1] ـ وكاتب هذه الحروف له خبرة بهذا المجال صوتا وأداء.

[2] ـ والوافر أفضلها لحنا (بحور الشعر وافرها جميل: مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُ) وهو غير مستعمل في الأنصاص القرآنيةهو والمتقارب، والأنصاص القرآنية ينظمها ناظموها على: الطويل والرجز.

أسقط الناظم الهمز في السماء للوزن بمعنى أن في الأرض و لا في السماء ورد في بداية سورة آل عمران وآخر ربع في سورة البقرة ﴿ الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ بداية سورة آل عمران وورد كذلك في ربع ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ في سورة إبراهيم وكذلك ربع ﴿ وَوَصَّيْنَا ﴾ في سورة العنكبوت 22.

وهكذا كلما نظم ناظم النص وذكر وجود الكلمة في "الأربع" بدل السور، كان أنفع لكون التعرف على الربع أسهل من بحث الكلمة في السورة.

وأنتقل من هنا إلى نوع آخر من الأنصاص باعتبار وظيفتها في المساعدة على معرفة بعض الكلمات التي تكتب مرة منفصلة ومرة متصلة.

المطلب السادس: الفصل والوصل

وهذا العنان له تعلق برسم القرآن ليس ذلك العنوان الذي نعرفه في علم البلاغة، تحت فن علم المعاني وهو أصبعها، وإنما هذا الفصل والوصل لمعرفة بعض الأحرف في القرآن التي تكتب تارة منفصلة وتارة متصلة، لنقف على وضعها كما هي مكتوبة في المصحف العثماني، ووضع لها المغاربة قواعد خاصة لمعرفتها، وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تعرف بها هذه الأحرف، حيث لا ينفع صرف ولا نحو في معرفة كنهها، اللهم ما كان من محاولات بعض المهتمين بتعليل الرسم القرآني، حول ظاهرة بعض الحروف التي تخالف كتابتها الإملاء العادي من الذين ألهمهم الله هذا السر، وقد لمحنا إلى جهود بعضهم في بداية هذا البحث، منهم المغاربة المشهورين في هذا الشأن ابن البناء المراكشي الأزدي في كتابه " عنوان الدليل على مرسوم التنزيل" مر الحديث حوله.

أما الآن فوجهتنا تصوير بعض الكلمات أو بعبارة أصحاب الاختصاص بعض الأحرف في القرآن كيف كتبت تارة منفصلة وتارة متصلة من مثل (في ما) منفصلة وقد تكون متصلة (فيما) قال الناظم:

يا سائلا عن في ما في المردود إحدى عشر في جملة القرآن

والـــــــــــوالدات يا أيها الرســـول قد خسر الذين قل تعالوا

وذا النون أفحسبتم يا أخـــــــي قالوا أنومن أولم يسيروا

وعندهم زدهم فمن أظلـــــــــم إذا وقعت كما المردودي.

ولا بأس أن أوضح أماكن وجودها مع الإتيان بجزء من الآية التي وردت فيها في هذا الجدول أو الترسيمة حسب اصطلاح المربين الجدد.

وإليكم الكلمات في أماكنها بعينها

ر - ت	الكلمة	الربع	السورة	الآية
1	(فِي مَا) فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ	وَالْوَالِدَاتُ	البقرة	240
2	لِّيَبْلُوَكُمْ (فِي مَا) آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ	المائدة	48
3	قُلْ لا أَجِدُ (فِي مَا) أُوحِيَ إِلَيَّ	قَدْ خَسِرَ	الأنعام	145
4	لِّيَبْلُوَكُمْ (فِي مَا) آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ	قُلْ تَعَالَوْا	الأنعام	165
5	وَهُمْ (فِي مَا) اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ	وَذَا النُّونِ	الأنبياء	102
6	لَمَسَّكُمْ (فِي مَا) أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ	أَفَحَسِبْتُمْ	النور	14
7	تُتْرَكُونَ (فِي مَا) هَاهُنَا آمِنِينَ	قَالُوا أَنُومِنُ	الشعراء	146
8	شُرَكَاءَ (فِي مَا) رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ	أَوَلَمْ يَسِيرُوا	الروم	3

9	(فِي مَا) فِيهِ يَخْتَلِفُونَ	وَعِندَهُمْ	الزمر	3
10	أنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ (فِي مَا) كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ	فَمَنْ أَظْلَمُ	الزمر	46
11	وَنُنشِئَكُمْ (فِي مَا) لَا تَعْلَمُونَ	إِذَا وَقَعَتِ	الواقعة	61

وفي غير هذه الأماكن الإحدى عشر المذكورة في هذا النص ستجد (فيما) فاكتبها متصلة.

وقد تعود حفظة القرآن عندنا في المغرب عند القراءة الجماعية أن ينبه أحدهم بتغيير النبرة الصوتية عند النطق ب (في ما) المردود أشعاراً بأن (في ما) هنا مردود، وربما أشار بعضهم كذلك بأصبعه إلى هذا الرد عن اليمين، وهذه الحركة شاهدتها عن قرب مرات عند قراءتنا الجماعية، وهذه من براعة المغاربة الذين يشيرون إلى مسائل الرسم أثناء القراءة لاسيما في التاءات المطلقة في نعمت ورحمت وسنت وأخواتها مثل بيت ومعصيت الجدال.

ومن بين أنصاص الاتصال والانفصال ما يتعلق:

ب (أَيْنَمَا) بالاتصال فتكتب الكلمة متصلة في القرآن في أربع مواضع كما قال صاحب النص:

أينما بالاتصال دالٌ عددهم ما ننسخ فليقاتل فضّل وينته

اضطررت لكتابة (ينته) هنا لأنه علم على الربع الذي يكتب هكذا (لئن لم ينته) بدخول الجازم على الفعل ويجزم بحذف الياء كما هو معلوم، وقد عبر صاحب النص على وجود (أينما) متصلا في القرآن بالأرباع ولذا يسهل الإرشاد إليها.

ومن عادة ناظمي الانصاص أن يعبروا عن العدد بحروف الجمل والدال يرمز إلى عدد (4) (أبجد) فالألف رقم -1- والباء -2- والجيم -3- والدال -4- ولذا قال صاحب النص أن عدد كلمات (أَيْنَمَا) في القرآن (4) (دال) عددهم ثم ذكرها بالتفصيل بالترتيب.

ابتداء من الربع (ماننسخ) في سورة البقرة وربع (فليقاتل) يوجد في سورة النساء، وربع فضل الذي يريد به (والله فضل بعضكم) في سورة النحل، ثم ذكر الرابع وهو (لئن لم ينته) في سورة الأحزاب، وغير هذه الأماكن فتكتب (أين ما) بالانفصال أي بانفصال النون عن ما كما في قوله تعالى في سورة مريم على لسان نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام (وجعلني مباركا أين ما كنت)، دون أن أشير إلى العدد (أين ما) ، بل اكتفيت بحصر المتصل فما وجد في غير الأماكن المشار إليها فهو منفصل كما في مثال سورة مريم، ولكن لابأس بالتطويل إذا أثبت نصا قرآنيا بجمع (أين ما) الثمانية المنفصلة و (أينما) الأربعة المتصلة، وهذا النص بأسلوب أنصاص فقهاء مغاربة الشمال المغربي حيث يقحمون الغزل في النص فقول أحدهم:

أيا طّالب سرخنش وعلى الدهات[1] روح فتش وقرا القرآن بورش عن ذلك المدني

فخذ الفتيا صحيحة وقبل الفجر تصحا وذكن ذك اللّوح والأسوار تكررنى

واش عرفت شي بنات أين ما مفروقات نحكيهم شي غزلات ثمانية في القرآن

سيقول به بديت تنالوا به تثبيت حرم له اشكيت من حر النيران

وفي مريم الباتول لاضير شفتوا يكول أنا راني مشغول في نهيت سباني

بمواقع يبكي قد سمع راه يشكي إلى الله الكافي هو اللي يخلصني

[1] ـ للأمانة العلمية تركنا (الدهات) هكذا مكتوبة في النص بدل كتابة (الدهاة) ما هو معلوم

ولما انهى كلامه عن (أين ما) بالانفصال شرع في ذكر (أينما) بالاتصال بقوله على المنوال نفسه:

وزد بالاتصال أربعة جاءني للبال ولا غيرهم يقال لورش سلطاني

ما ننسخ جا خباروا فليقاتل جاروا فضل مشهور ينته شفاني

وبعد مسك الختام بالصلاة والسلام على خير الأنام وطه العدنان

ولقد سبق أن ذكرت هذا النص الخاص ب (أينما) بالاتصال، فطريقة أنصاص مغرب الجنوب والوسط والجنوب الشرقي.

أينما بالاتصال دال عددهم ماننسخ فليقاتل فضل وينته

والأحرف المنفصلة التي توجد لها نظائر متصلة في القرآن الكريم ويحرص فقهاؤنا أن يكتب كل رف كما كتبه الصحابة في مصحف سيدنا عثمان، وسأذكر بعضها فقط لفتح المجال لأنواع أخرى من الأنصاص، وأذكر من الحروف المنفصلة بالإضافة إلى ما تقدم وأضيف: أَن لاَّ ـ أنَّ مَا ـ إِنَّ مَا ـ فَإِن لَّمْ ـ عَن مَّن ـ حَيْثُ مَا ـ أَم مَّنْ ـ كُلُّ ما ـ لَبِيسَ مَا ـ أن لَّوْ ـ أَن لَّن ـ فَمَالِ ـ يَوْمَ هُمْ وغيرها.

قبل الإتيان بأمثلة أشير إلى أن تقطيع الكلمة ووصلها لمن الأشياء التي حيرت العلماء الذين حاولوا إيجاد تعليل لهذا الرسم، وذلك عندما يتعلق الأمر بمخالفة الإملاء العادي للكلمة وغير خاضعة للمقياس اللغوي.

ولكننا في دراسة الأنصاص التي يستعين بها الفقهاء المحفظين لإفهام التلاميذ الصغار والطلاب الكبار ترتيب الحروف القرآنية وكلماته، وكيفية كتابتها وتصويرها لكي يكتب القرآن صحيحا سليما، ففي هذه المرحلة من الأخذ عن الشيوخ، وفي إطار انفصال (حرف) في مكان واتصاله في مكان آخر مثل: (إنما) بالكسر في القرآن متصلة لأنها أداة حصر، ولكن هذه (إنما) جاءت مرة في القرآن منفصلة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ الأنعام،134.

وهذا التلميذ في الكتاب لا يدرك لغويا أن: "إنما" كأداة حصر تكتب متصلة وأن ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾ نون التوكيد دخلت على (ما) اسم موصول فتكتب منفصلة فمثل هذه لا تحتاج إلى تعليل الفرق بينهما فنكتفي فقط بذكر مكان هذه المنفصلة والباقي من (إنما) في القرآن فهي متصلة ومن حروف المنفصلة (فإن لم، وإن لم)

قال صاحب النص:

وهاك يا طالبا فإن لم بنونـــه وبالفاء قل يكتب في القرآن مجملا

ألم معروف ومعا في هداهم وابتلوا حدود الله جلالـــــــــــــة رتلا

أُبَرّئُ تتبعوا الأجل اتق الله الأول في قد سمع وكن متأمـــــــــلا

وإن لم بنونه وبالواو ستـــــــــــــــــــة يحزنك وفي بلغ معا فيه أُنـــــــــــزلا

دعواهم لو أراد جاء عيسى قيدوا فهذا ما وجدنا في القرآن مجملا

وبالفاء والوصل في دابة غريب فإلم يستجيبوا فخذهم مكملا

ذكر صاحب النص أن (فإن لم) بالنون والفاء عددها يبلغ إثنا عشر بحسب الجمل.

فذكر أماكنها الأرباع، ثم ذكر في النص نفسه (وإن لم) بالنون والواو فذكر أنه ستة في القرآن كله، وختم النص بذكر (فإلم) بدون النون وهي غريبة كما يقول الفقهاء أي أنها واحدة في القرآن الكريم في الربع الأول من الحزب (وما من دابة) في قوله تعالى: ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (14) ﴾ هود 13-14.

وبما أن (فإن لم) موجودة في القرآن بالنون في إثنى عشر موضعا (وإن لم) موجود فيه ست مرات بالنون كذلك، وهذه وحدها بدون النون فسأبحث بحول الله علة وذلك في ثنايا آراء العلماء الباحثين في تعليل الرسم القرآني، حسب جهودهم واجتهادهم كما تقدم حول بعض الحروف، وبهذا السياق حول (فإن لم) بالنون و (فإلم) بغير النون، نستمع إلى رأي بعض القدماء في تعليل ذلك، يقول الإمام الزركشي في البرهان، في باب الفصل والوصل وفي بعض حروف الإدغام قال: « وكذلك : (فإن لم يستجيبوا لك) فرد في القصص ثابت النون ، وفى هود: (فإن لم يستجيبوا لكم) فرد بغير نون ؛ أظهر حرف الشرط في الأول لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو (فاعلم) متعلق بشيء ملكوتي ظاهر ، سفلى ؛ وهو إتباعهم أهواءهم ، وأخفى في الثاني لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو علم متعلق بشيء ملكوتي خفي ، علوي وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد»[1].

ومن جانب باحثين آخرين معاصرين في محاولة تعليل الرسم القرآني كقول أحدهم حول (فإن لم) بالانفصال و (فإلم) بالاتصال وسأحتاج إلى شيء من الإطالة في بحث هذه المسألة مع باحث معاصر انتقى آراءه من علماء أجلاء في الميدان، وأضاف إلى ذلك ما انتهى إليه من نتائج بحثه، ففي كتاب "الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم" يقول الدكتور سامح القليني مقارنا بين عبارتي (فإن لم) و (فإلَّم) في كل من سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص، الآية: 50) بعد قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ والضمير في هما: يرجع إلى القرآن والتوراة.

وفي سورة هود قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (هود،14) جاءت بعد قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ

[1] ـ البرهان ، الزركشي، ص:426.

فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود،13) وقد تساءل الباحث حول سر الاختلاف في هاتين العبارتين اللتين وردتا في الرسم القرآني بشكل مختلف[1].

وحول العبارتين يقول الباحث:

في العبارة الأولى أظهرت نون "إن" الشرطية، وفي العبارة الثانية أخفيت هذه النون ولم تظهر في الخط / الرسم (فإلَّم)، وأضاف الباحث أنه من المحال «أن يكون إظهار ما أظهروا خفاء ما أخشى عبثا لا معنى له ولأسباب لأنَّ كل ما في المصحف الشريف كان لحكمة»[2]. فما هو السر فعلا في هذا الاختلاف بين هاتين العبارتين، فالمقارنة بين الآيتين في سياقهما يتبين أن الأولى كان جواب شرط (إنَّ) جملة (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) والخطاب موجه للمشركين الذين يرتابون في نزول التوراة والقرآن معا من عند الله تبعا لأهوائهم، وهذا أمر سفلي مشاهد في سلوك المتحدث عنهم وأخلاقهم الوضيعة[3]، فهو أمر محسوس مشاهد للعيان في رسم الكتاب الكريم في سورة القصص.

أما (فإن لَّم) في هود التي كان جواب شرطها (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) حين أجابهم عن إنكارهم لكون القرآن ليس من عند الله حيث قال في حقهم﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود،13)، ولذا حذفت النون في الحرف (فإن لم) لأَنَّ الإنزال بعلم الله أمر علوي شريف غيبي غير مشاهد بالعين الباصرة[4].

[1] ـ موسوعة الجمال والجلال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم، سامح القليني، 458/1 بتصرف، ط:4 القاهرة 2011

[2] ـ نفسه، ص: 498.

[3] ـ نفسه بتصرف، ص:499.

[4] ـ نفسه، ص: 499.

ولذا خلص الباحث إلى قوله: «فأظهرت "النون" مع الأمر السفلي المكشوف الظاهر، وأخفيت النون مع الأمر الغيبي غير المدرك بالأبصار وفي هذا تناسب حكيم بين إظهار "النون" مع الأول وإخفائه مع الثاني»[1].

وزاد الباحث تعليقا يليق لمقام عظمة القرآن وإعجازه لفظا ومعنى ورسما انطلاقا من هاتين العبارتين (فإن لم)و (فإلَّم) المختلفتين كتابة في القرآن بقوله: «وهكذا قد تجلى لنا السر اللطيف في اختلاف الرسم القرآني الذي يزعم قوم أنه مجرد اختلاف خال من الدلالة عار عن الإفادة، هدانا الله وإياهم لفقه معاني هذا الإعجاز المفحم الذي أنزل بعلم الله لا بعلم سواه»[2].

وهذا مثال من أمثلة تعليل الرسم القرآني كما سبق أن أشرت قبل إلى حرف (الملؤا) و (الميعاد) وغيرهما كما سأرجع إلى أمثلة أخرى نهاية هذا البحث.

أما فقهاؤنا في أنصاصهم فقد اكتفوا بكيفية كتابة حرفي (فإلّم) في هود و (فإن لّم) في القصص بقول أحدهم تسهيلا لمهمة المتعلمين في كتابة القرآن فقال:

فإلّم يستجيبوا غير النون في دابة قضى موسى بالنون

أي في ربع وما من دابة (هود) وربع (فلما قضى موسى الأجل) في القصص.

ومن أمثلة الفصل "فمال".

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله في متن "عقلية اتراب القصائد في علم الرسم القرآني"

ومَالِ هذا فقُل مال الذين فما ل هؤلاء بقطع اللام مُدّكِرًا

[1] ـ نفسه، ص: 499.
[2] ـ نفسه، ص: 500.

وقال شارحه[1] قوله (ومال هذا)هو في موضعين في الكهف (49) (مال هذا الكتاب) وفي الفرقان (7) (مال هذا الرسول) (فمال الذين) في المعارج (36) في قوله تعالى: (فمال الذين كفروا) وكذلك (فمال هؤلاء القوم لا يكادون) النساء (78) كتبت اللام مفصولة عن مجرورها[2].

لما استرعى هذا الفصل انتباه القراء والباحثين لأنه جرت العادة أن تصل (لام) الجر بمجرورها وسأحاول أن أبحث عن العلة عند بعض العلماء، وأحيل الكلام على عالم مغربي مشهور في هذا الباب وهو أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي المتوفى سنة 721 ه في كتابه: "عنوان الدليل من مرسوم التنزيل" الذي اجتهد فيه في تعليل الرسم القرآني، وكان أحد السباقين إلى هذا العلم حتى صار مرجعا لمن جاء بعده في المشرق والمغرب، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، وبهذا الصدد حاول أن يجد السبب والعلة المعنوية لفصل (لام) الجر عن مجروره في هذه الكلمات القرآنية، وذلك بأسلوب عالم له باع طويل في معرفة سر المعاني الخفية وراء كتابة القرآن الكريم برسمه المعهود، وذلك في أربعة أحرف، فتكلم عن ظاهرة الانفصال والاتصال في القرآن بصفة عامة وذكر من جملة ذلك (مال) بقوله: «ومن ذلك (مال) أربعة أحرف محجوزة وذلك أن اللام وصلة فقطعت حيث تقطع الإضافة في الوجود، فأولها في سورة النساء (فمال هؤلاء) هؤلاء القوم المشار إليهم في الآية هم الفريق الذين نافقوا من القوم الذين قيل لهم (كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة) قطعوا وصل السيئة بالحسنة في الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما كما أخبر الله سبحانه عنهم، والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله (قل كل من عند الله) فقطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل بقطع لامه، وصلهم في الخط علامة لذلك وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين وذلك في يوم الفصل»[3]، وختم الحديث

[1] ـ العالم الجليل المعروف بابن القاصح علي بن عثمان بن محمد العذري المصري (ت : 801 هـ) له كتب أخرى منا شرح الشاطبية المسمى (سراج القارئ).
[2] ـ شرح عقيلة اتراب القصائد في علم الرسم القرآني ، تحقيق محمد الله الدسوقي أمين كحيلة، ص :167.
[3] ـ عنوان الدليل في مرسوم التنزيل، ابن البناء، ص: 126.

حول هذا الحرف بما يناسب الفصل بين المنافقين والمؤمنين في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ (الحديد،13).

وآيات النساء التي جاء فيها هذا الحرف (فمال) المفصولة عن مجرورها في هذا السياق القرآني ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)﴾

اكتفيت بمثال لحرف النساء تجنبا للإطالة على أن يقاس عليه الباقي من الأمثلة الثلاثة، وكان ذلك معروفا عند القراء والباحثين في رسم القرآن، فهذا الإمام الداني في المقنع: ففي باب: ذكر ما رسم في المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل والموصولة على اللفظ[1] قال رحمه الله: «ذكر "فمال" قال أبو عمرو: وكتبوا في كل المصاحف: في النساء (78) (فما هؤلاء) وفي الكهف (49) مال هذا الكتاب) وفي الفرقان (7) (مال هذا الرسول) وفي المعارج (36) (فمال الذين كفروا)؛ فقال رحمه الله "هذه الأربعة المواضع بقطع لام الجر فما بعده على المعنى»[2].

و(فمال) كتبت مقطوعة عن المجرور في جميع مصاحف الأمصار، ومن أمثلة الوصل التي همت كثيرا أصحاب الرسم (يومهم) لمراعاة الفرق بين (يوم هم) و (يومهم) لأننا في رسم القرآن كما أشرنا إلى ذلك عدة مرات أن المستهدف هو الطالب القرآني في الكتاب والمسجد، الذي لا يفرق بين اليوم إذا أضيف إلى جماعة الذكور فيكتب (يومهم) وبين يوم منقطع عن الإضافة فيكتب يوم هم حيث الضمير مستقل عن يوم فيصبح مبتدأ، إذ هذه القواعد لا تزال بعيدة عن إدراك الطالب القرآني، ولذا بينوا له:

[1]- المقنع، تأليف الإمام الداني، (ت 444 هـ) ، تحقيق محمد صادق قمحاوي، ص:73.
[2] - نفسه، ص: 80.

(يوم هم) منفصلة بواسطة النص: وقالوا: إن يوم هم بالانفصال في القرآن اثنان ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾(الذاريات،13) و ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ﴾ (غافر،16).

فقال صاحب النص:

الطلبا يا ساداتي يوم هم مفروقات حرفان جاو فالنعت فافهم وتأمـــــــــــــل[1]

الأول في غافر قرينه راه ظاهـــــــــــر والصلا على البشير محمد خير الرسل

بين النص حرف (يوم هم) في القرآن لكي لا يكتبه المتعلم متصلا (يومهم)، وبين للطالب أن يومهم في القرآن كله اثنان أولهما في سورة غافر الآية 16 في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ والثاني في سورة الذاريات 13 والباقي في القرآن يكتب متصلا (يومهم) وعددها خمسة، مطلقا سواء بفتح الميم أو جرها حسب سياقها وموقعها في الإعراب، وما زلت أقول وأكرر: أن "الأنصاص" القرآنية موجهة للمتعلمين الصغار الذين لا يعرفون العربية وقواعد النحو والصرف، ليفرقوا من حيث المعنى بين (يوم هم) و (يومهم)، وإنما النص يكتفي بتصوير الكلمة كما جاءت مكتوبة في المصحف وتداولتها أقلام الحفاظ على مر السنين والأجيال، ومن نوع الاتصال والانفصال أيضا: (كي لا) و (كيلا) ذلك أن حرف (كي لا) و (لكيلا) في القرآن يكتب تارة متصلا هكذا (لكيلا) وتارة منفصل الياء عن (لا) (لكي لا) وما حفظنا من الأنصاص لفك هذا الإشكال قول صاحب النص:

إذ تصعدون والحج نكحتم ألم يـــان لكي لا بالاتصال دال عددهـــــــــــم

وعكسهم قل مفصول ثلاثة يا عاقلا في تولوا ومن يقنت وقال الله العلا

[1] ـ شرح الأنصاص القرآنية المنظومة بالدارجة المغربية برواية ورش عن نافع، عبد اللطيف بوعلام، ص:133.

هذه هي الأماكن والمواضع التي توجد بها (لكيلا) متصلة (ولكي لا) منفصلة.

فالمتصلة (لكيلا) توجد في:

1- إِذْ تُصْعِدُونَ الربع الأخير من حزب لن تنالوا (النساء 122) في قوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾

2 - وفي سورة الحج حزب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ قوله تعالى:﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج،5).

3 - في الربع الثاني اصطلحوا عليه إذا نكحتم لكون الربع بدئ ب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الأحزاب، 50) في قوله تعالى:﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾

4 - وفي الحديد الربع الأخير (ألم يان) ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد، 23)

والمنفصلة (لكي لا) عددها ثلاثة في القرآن

1- في حزب ومن يقنت: قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب،37)

2- في سورة النحل ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل،70)

3 ـ ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر،7).

وفي مثل هذه الحروف التي تكتب مختلفتين في رسمهما في الفصل والوصل يمكن العلماء الذين يبحثون في تعليل مثل هذه الحالات أن يدلوا بدلوهم، ورغم ذلك يبقى مجهودهم مجرد اجتهاد قد يصيبون وقد يخطئون، ولهم في الأخير أجر الاجتهاد حول ما يبذلونه من جهد في شرح كتاب الله، واستنطاق ألفاظه وتراكيبه وتقريبها إلى أفهام الناس وأذهان الباحثين، عن الأسرار الربانية المتوارية وراء هذه الألفاظ والحروف، ولنستمع إلى رأي أحد شيوخ هذا الفن من علمائنا المغاربة الذين برزوا في هذا الميدان قبل غيره على الرغم من أن النص حصن صين منيع، قد لا يسمح بفتح الثغر إلا لمن تسلح بأدوات علمية صوفية أحيانا مغرقة في التجريد ومصطلحات الوجودي والكلي، يقول ابن البناء المراكشي رحمه الله بصدد تعليل (لكيلا) بالاتصال والانفصال (لكي لا) في إطار المتصل والمنفصل في القرآن الكريم أو على حد تعبيره (باب الوصل والحجز) «ومن ذلك (لكي لا) موصول في ثلاثة أحرف وسائرها منفصل»[1].

ودخل الكاتب في التفصيل بذكر الحالات التي يكون فيها الحرف متصلا فقال: «وإنما توصل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلي فيوصل، لأن نفي الكل نفي لجميع جزئياته، فعلة نفيه هي علة نفي أجزائه، وليس للكلي المنفي أفراد في الوجود وإنما ذلك فيه بالتوهم»[2].

ثم ذكر حالات الفصل «وتفصيل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئي، فإن نفي الجزئي لا يفهم منه نفي الكلي فلا تكون علته علته»[3].

هذا الكلام يحتاج إلى التأمل والوقوف على معاني الكلمات، وكيفية رسمها في المصحف بشكل مختلف، والسياق الذي جاءت فيه الكلمة بشكليها كتابة هو الذي يحدد

[1] ـ عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، تحقيق هند شلبي،ص:124.
[2] ـ نفسه، ص:424.
[3] ـ نفسه، ص: 124.

المعنى المراد في كل من (لكيلا) بالاتصال و (لكي لا) بالانفصال، فجئت أستعين ببعض العلماء الذين جاؤوا بعد ابن البناء رحمه الله واشتغلوا بهذا الفن، مثل الإمام الزركشي في كتاب البرهان، فوجدته ناقلا بالحرف ما سطره ابن البناء قبله بنحو ثلاثة وسبعين عاما، لم يزد ولم ينقص، ولم يضف شرحا ولا تحليلا يمكن أن يفيد القارئ والباحث، وخطونا خطوة إلى العصر الحديث لنجد موسوعة: " الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم" للدكتور سامح القليني، ما يمكن اعتباره استئناسا على معالم الطريق المؤدية إلى تقريب معاني تعليل الكلمتين (لكيلا) و(لكي لا) في سياقهما إلى ذهن الباحث المتأمل في المعاني الخفية للقرآن الكريم، بادئا بإشارة إلى باحث آخر "المطعني"[1] أورد كلاما له في الموضوع بقوله : «يقول المطعني: الناظر في المصحف الشريف بوعي وتأمل يلحظ أن (كي) وهي نواصب المضارع إذا اقترنت باللام قبلها وبعدها اختلف رسم حروفها فأحيانا تراها وسط اللامين وهما موصلان بها في الخط هكذا (لكيلا) وأحيانا ترى اللام الثانية مفصولة عنها في الخط هكذا (لكي لا)»[2].

ثم نقل الباحث تعليق الكاتب الذي نقل عنه حول الكلمتين برسمهما المختلف بقوله: « وحاشا أن يكون هذا الاختلاف اعتباطا خاليا من الدلالة على معنى لطيف بل له معنى دقيق يشع منه، ومن غاب عنه هذا المعنى عجل وقال: إن رسم المصحف لا يقاس عليه ولا يبحث فيه عن معنى؟ وهذا قول شنيع لا يليق بكتاب الله عز وجل »[3].

ويضيف الباحث تمهيدا للوصول إلى الفصل بين (لكيلا) المتصلة و (لكي لا) المنفصلة بذكر السبب «والسبب في وصل ما وصل منا وفصل ما فصل هو النظر في اللام التي بعدها ومعلوم أن اللام الأولى في (لكيلا) تعليلية ناصبة للمضارع إذا انفردت أوصلت بها، أما اللام الثانية فهي نافية لما يقع بعدها ومعنى النفي في هذه اللام يأتي على نوعين:

[1] ـ لم يشر في الهامش إلى المرجع أو المصدر أو هوية المنقول عنه هذا الكلام
[2] ـ الجلال والجمال، سامح القليني، ص:487.
[3] ـ نفسه، ص: 487.

الأول: أن يكون نفيا كليا عاما

الثاني: أن يكون نفيا جزئيا خاصا»[1].

وذكر في تفصيل ذلك أن النفي إذا كان نفيا ب (لا) كليا وصلت اللام (كي) فتكتب (لكيلا)، وإذا كان معنى النفي جزئيا خاصا فصلت اللام عن (كي) فتكتب هكذا (لكي لا)[2].

وهذا الكلام في عمومياته وألفاظه لا يعدو ما قاله ابن البناء المراكشي بهذا الصدد في النص السابق حول (لكيلا) و(لكي لا) بقوله: «وإنما توصل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلي فيوصل لأن نفي الكل نفي لجميع جزئياته، فعلة نفيه هي علة نفي أجزائه. وليس للكلي المنفي أفراد في الوجود»[3] وقال في حال الفصل «وتفصل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئي فإن نفي الجزئي لا يفهم منه نفي الكلي فلا تكون علته علته»[4].

وسأحاول تطبيق علة رسم (لكيلا) بالاتصال في سياقها وعلة رسم (لكي لا) في سياقها كذلك في القرآن الكريم، واكتفي بمثال لكل نوع رغبة في الإيضاح والاختصار بحول الله مبينا المعنى الخفي من وراء ذلك مستندا إلى أقوال العلماء والباحثين في الموضوع.

وسأبدأ بمثال (آل عمران) أو بحرف (لكيلا) الوارد في سورة آل عمران الربع الأخير من الحزب السابع ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران، 153) والملاحظ في هذا السياق القرآني الكريم، أن الأمر كان واضحا لحكمة الوصل في (لكيلا)بما مهد له

[1]- الجلال والجمال، سامح القليني، ص:488.

[2] - نفسه، ص:489.

[3] - عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أحمد أبو العباس المراكشي المعروف بابن البناء والموصوف بالعدد لأنه يتعاطى للمنطق والرياضيات لذا كان حاد الذهن، ت 721 هـ بمراكش وقبره معروف. ص: 124.

[4]- عنوان الدليل، ص:124.

في قوله تعالى (أثابكم غما بغم) أي غما موصول بغم آخر دون انقطاع أو راحة بين صعود في الجبل أو إصعاد في الوادي المقارن بالانهزام أمام المشركين «والذي أفاد هذا المعنى هو حرف الباء الذي يسميه علماء اللغة (حرف الإلصاق) ويكون المعنى غما موصولا ملتصقا بغم، وهذا عين ما حدث في غزوة أحد، وكان تصويرا دقيقا لشدة ما نال المسلمون فيها، ولذلك لم يقل القرآن (فأثابكم غما (على) غم أو غما (بعد) غم أو غير ذلك من الألفاظ التي لا تعطى معنى الإلصاق والاتصال لهذا الغم بلا راحة ودون انقطاع الذي ينسجم مع تواصل واتصال كلمة(لكيلا)»[1].

وذلك لمواصلة المعاناة من الانهزام والفرار وصعود الجبل أو الإصعاد في الأرض والوادي فكانت المحن تباعا دون فاصل، فاقتضى السياق أن ترسم (لكيلا) متصلة والله أعلم، والحرف الثاني الذي وقع عليه الاختيار كمثال لتعليل (لكي لا) المفصول فيها اللام عن (كي) (لكي لا) في قوله تعالى في سورة الأحزاب حزب (ومن يقنت)، في سياق جواز زواج الآباء بنساء أبنائهم بالتبني إذا طلقوهن، في معرض تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة رضي اله عنه ابن النبي صلى الله عليه وسلم بالتبني.

فقال تعالى: مخاطبا نبيه ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا، مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ (الأحزاب، 38/37).

وكتابة (لكي لا) هنا في الأحزاب يقتضي السياق القرآني في هذا الموضوع أن تكتب (لكي لا) منفصلة لتعبر برسمها هكذا (لكي لا) عن حالة في ازدواجية الخطاب باتقاء الحرج من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه، دون أن يظهر ذلك للناس مخافة سوء التأويل لهذا التنفيذ للأمر الإلهي، الذي بموجبه يقضي بإبطال حكم كان

[1] ـ الجلال والجمال (م ـ س)، ص:496.

سائدا، وهو تحريم زواج الآباء بزوجات أبنائهم بالتبني، ثم حدث تغير الحكم السابق بفصله عن الحكم اللاحق، بجواز تزويج الآباء بزوجات أبنائهم بالتبني بعد الفصل والقطع بين هذا الزواج بالطلاق، واستئناف حياة زوجية جديدة مشروعة بحكم إلهي، فنفى هذا الحرج بلام مفصولة عن (كي)، والتعليل عن المؤمنين بسبب هذا الحكم الجديد الذي لا ينبغي للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخشى الناس بسببه، والله تعالى الذي يعلم ما يصلح للناس في دنياهم هو الذي يستحق أن يخشى فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهذا الفصل الواقع في الكلمة القرآنية (لكي لا) حدث في الوجود بين زينب رضي اله عنها وزيد بن حارثة رضي الله عنه، وحدث القطع بأمر من الله تعالى.

وحول هذا الموضوع يرى الأستاذ الباحث سامح القليني «أن هذه الآية تحدث عن زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب امرأة الابن بالتبني وليس الابن الصلب، وهذا الزواج فعله النبي صلى الله عليه وسلم ليحله للطرف الآخر وهو الأمة ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾»[1].

ثم قال الباحث: «وهكذا يستدعي الفصل في الكلمة كما حدث الفصل في الوجود في هذا الحكم، إضافة إلى معنى آخر وهو أن الآية تحدثت عن ابتداء تشريع للأمة ، وعن علاقة قائمة (الإبن بالتبني) سيتم قطعها، ففصلت وكتبت (لكي لا) إضافة إلى أنه كما قلنا هذا الأمر مبني على القطع، وهو قطع صلة الزوجية بزينب من زيد قبل أن يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم مع ملاحظة شدة الحدث»[2].

وهذه المعاني الخفية التي استنبطها العلماء من كتابة بعض الحروف التي كتبت ورسمت بشكل مختلف عن نظيرتها في أماكن مختلفة من القرآن الكريم تشهد بحق على أن هذا القرآن فعلا لا تنقضي عجائبه، وأن هذا الاختلاف في الرسم لم يأت اعتباطا أو جهلا بالكتابة كما يدعي المبطلون ولذا جازى الله بالخيرات أئمة المغرب وعلماء المغرب وحفظة القرآن بالمغرب الذين حافظوا على كيفية كتابة القرآن برسمه كما كتبه

[1] ـ الجلال والجمال (م ـ س)، 494/1
[2] الجلال والجمال (م ـ س)، 495/1.

صحابة رسول الله في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما جاء متواترا بنصه وكتابته إلينا، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

واكتفى بمحاولة تعليل رسم (لكيلا) متصلا و (لكي لا) منفصلا عن الأحرف الباقية في كل من أماكن وجودها في القرآن الكريم كما قال صاحب النص:

لكيلا بالاتصال دال عددهـــــــــــــــــم إذ تصعدون والحج نكحتم ألم يان

وعكسهم قل بالفصل جيم عددهم في تولوا من يقنت وقال الله العلا

منهيا الحديث حول ظاهرة الفصل والوصل في رسم القرآن إلا إذا دعت الضرورة خلال عرض بعض النماذج إلى الحديث حول الفصل والوصل مرة أخرى.

وما دمنا في ذكر هذه الكلمات القرآنية التي يعبر رسمها عن معانيها الخفية والبديعة مقارنة مع نظيراتها في أماكن أخرى في القرآن الكريم، نتناولها في عنوان مطل مستقل.

المطلب الثامن: أحرف أو كلمات يوحي مبناها عن معناها الخفي

منها (فنـــــظرة) (فناظرة) الأولى في النمل والثانية في القيامة، ففي سورة النمل قوله تعالى على لسان ملكة سبأ ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَـــــظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾(النمل، 35) ، وفي سورة القيامة قوله تعالى على أحوال المحشر وانتظار في الموقف ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة، 23/22) (فَنَـــــظِرَةٌ) النمل التي كتبت بالألف المحذوفة (فَنَـــــظِرَةٌ) فرسمت كما ترى لأنها متعلقة بهدية ملكة سبأ التي تنتظر الأخبار التي سيرجع بها من أرسلتهم إلى تفقد أحوال نبي الله سليمان، التي تشك في كون ملكا أو نبيا فإن قبل الهدية فهو ملك يرد عرض الدنيا، وإذ ذاك ستقابل هذه الحالة بما يليق من التصدي والمقاتلة، وإن لم يقبل الهدية فهو نبي أو مصلح فتتبعه و تأمر قومها

بإتباعه، وهذا الشك والارتياب في أمر سليمان من قبل الملكة لم يثبت الألف في كتابة (فَنَـــــظِرَةٌ) فرسمت محذوفة الألف لعدم وضوح الموقف الذي بي مشكوكا حتى تنجلي الحقيقة برجوع المرسلين من قبل الملكة إلى نبي الله سليمان ﴿ فَنَـــــظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ الذين أرسلتهم بهدية إلى سليمان.

وقد سبق أن أشرت إلى قضية الحذف والإثبات في حال الميعاد، الذي ورد ثابتا في خمسة مواضع في القرآن الكريم، لأنه متعلق (بميعاد) الله الذي لا يخلفه، وحينما تعلق الأمر (بميعـــد) البشر كتب بألف محذوفة في الأنفال

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَـــدِ﴾[1]، فكتبت بألف محذوفة، وهو غريب في القرآن الكريم، وهذا بعض ما استخلصه بعض العلماء المشتغلون على فهم القرآن من خلال رسمه وكتابته، أما الوجوه الناضرة الجميلة الحسنة المشرقة من أثر النعيم التي تنتظر النظرة الحقيقية وجه الله تعالى يوم القيامة، هذه الرؤية التي ثبتت بالكتاب والسنة، فرسمت (ناظرة) ثابتة الألف لكونها نظرة حقيقية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.

وإن كان بعض المتأولين خارج أهل السنة والجماعة يؤولون (ناظرة) إلى منتظرة، وهذا التأويل لا تقبله اللغة نفسها، حيث ناظرة هنا متلوة ب (إلى) التي تعني النظر بالجارحة، نظر إليه إذا كان يحدق إليه ويبصره بعينه مباشرة.

فحق لهذه الوجوه الناضرة «أن يتمن عليها ذو الجلال والإكرام بوجهه وبهائه وجماله»[2]، وشتان ما بين (فَنَـــــظِرَةٌ) في النحل وبين نظر الوجوه الناضرة والناظرة في القيامة، ونحن على نية أهل السنة والجماعة في هذا الباب، (فَنَـــــظِرَةٌ) النمل من الانتظار والترقب لما سيرجع به المرسلون إلى سليمان، والانتظار فيه احتمال لنتائج مختلفة إما قول الهدية فيحمل على قبول عرض الدنيا، وإما عدم قبول الهدية والرشوة

[1] ـ سورة الأنفال، الآية: 42
[2] ـ شرح الأنصاص القرآنية المنظومة بالدارجة المغربية برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، للشيخ الفقيه عبد اللطيف بوعلام، ص:274

فيعني أنه نبي أو مصلح، وهذان الاحتمالان هما حسب عدم وضوح الرؤية، فحذفت ألف (فَنَـــــظِرَةٌ) أما ف(نَاظِرَةٌ) الثانية في القيامة «فرؤية حقيقية كما عليه مذهب أهل السنة وتسنده الأحاديث الصحيحة»[1].

وفسر قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ أن هذه الزيادة هي رؤية الله تعالى، كما صح هذا الاعتقاد عند الأشاعرة في الرؤية مستدلين عليها من الكتاب بهذه الآية نفسها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، وبحديث رسول الله حين قال: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة التمام».

ولإظهار الألف وإثباته في (ناضرة) و (ناظرة) يقول باحث في الموضوع: « ولذلك عمد الرسم المعجز إلى إظهار الألف هنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ليؤكد على أن هذا كله على الحقيقة وليس على المجاز، فالوجوه ناضرة على الحقيقة شكلا وموضوعا، وكأن الإظهار أيضا في رسم النضرة على الوجوه على الحقيقة ظهر على الكلمة ليشير إلى أنه حقيقة مادية وليس مجازا وهكذا إلى ربها ناظرة على الحقيقة كما ننظر ونرى في الدنيا وليس على المجاز»[2]، وختم الباحث هذه النضرة بقوله بصيغة التعجب «فما أروع وما أبهر هذا الإعجاز»[3].

وما أروع فعلا هذا الإعجاز الذي ينطوي عليه رسم القرآن الكريم الذي يخبرك اختلاف مبنى الكلمة بمعنى خفي كامن وراء تغيير وضع الحرف في الكلمة بين الحذف والإثبات (نـــظرة) و (ناظرة).

وهنا سأقف هنيهة عند مثال آخر من الحذف والثبت في كلمة واحدة يختلف معناها باختلا كونها محذوفة عن حاله، حالها ثابت وأقصد المعنى الخفي طبعا الذي اهتدى إليه أهل الاختصاص في هذا الباب وهذه الكلمة هي (طـــئف) و (طائف) وقد وردت الأولى (طـــئف) في سورة الأعراف الآية 201 في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا

[1] ـ نفسه، ص: 274.
[2] ـ الجلال والجمال، (م ـ س) ص:883/882.
[3] ـ نفسه، ص:883.

مَسَّهُمْ طَــئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ووردت هذه الكلمة هنا في الأعراف محذوفة الألف (طَــئِفٌ)، ونص عليها علماؤنا في الحذفيات فقال صاحب "نضرة الكتاب في رسم الكتاب"[1]، تحت عنوان: حرف الطاء: فقال: هذا باب بيان ذكر ذفه بعد الطاء وبيان الكلم الواقع فيها وقال مسهم طائف حطاما شيطان لفظ الخاطاي الناشطات سلطان[2] فقال في شرح ذلك أما طائف (ففي الأعراف 101) (مسهم طائف من الشيطان تذكروا) واحترز بالمجاوز دفعا لتوهم اندراج (فطاف عليها طائف من ربك) في سورة "ن" والقلم، فذكر الكلمة المجاورة ل (طـــــئف) أعني مسهم لكيلا يتوهم القارئ والباحث الطائف الثابت في سورة القلم (فطاف عليها طائف من ربك) القلم 19.

وسأقف هنيهة على هذين الحرفين على مستوى الكتابة ومكاني وجودهما في القرآن الكريم مستعرضا أقوال المغاربة في منظومتهم في الثبتيات كما الكناوية[3] التي تجمع بين الحذفيات والثبتيات المتعلقة برسم القرآن.

وسأستعين على علة كتابة الكلمتين المختلفتين في الرسم من حيث الحذف والثبت ببعض أوجه التوجيه:

(طـــــئف) في الأعراف،

و (طائف) في القلم،

فيما يتعلق بالأولى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَــئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[4].

وفي الثانية يقول تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[1].

---

[1] ـ سراج الأحباب في حل ألفاظ نضرة الكتاب في رسم الكتاب"، ص: 155، وهو أي هذا النظم للشيخ محمد الهاشمي بن الشريف العلوي السجلماسي، توفي سنة 1370 هـ الموافق 1950 م، حقق النظم وشرحه أبو زكرياء محمد صعيد تحت عنوان: "سراج الأحاب في حل ألفاظ "نصرة الكتاب في رسم الكتاب"

[2] ـ نفسه، ص: 155.

[3] ـ الكناوية كما عرف بها الدكتور عبد العزيز العيادي في سلسلة رقم 2 من الأنصاص القرآنية بقوله: متحدثا عن علماء المغرب المهتمين برسم القرآن: " فإن بعضهم إتجه إلى مزج الحذفيات بالثبتيات وهو ما أطلق على هذه المنظومات إسم الكناوية" ص: 23 من الكناوية ثم وضح الباحث.

[4] ـ الأعراف، الآية: 201

ونحن الآن بصدد البحث عن سر كلمتين متشابهتين حروفا فوجدت واحدة في المصحف محذوفة والأخرى ثابتة الألف.

ذكر بعض الباحثين وجها من أوجه توجيه القراءات[2] وذلك بكون (طـــئف) الأعراف فيها قراءتان متواترتان طائف اسم فاعل من طاف يطوف، وهذه قراءة حفص عن عاصم وأهل المدينة طبعا قراءة نافع التي نقرأ بها في المغرب، وفي (طَـــئِفٌ) قراءة أخرى كقراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي فقد قرأها هؤلاء (طيف) وهو مصدرٌ من طاف يطيف والطيف هو ما يتخيل في القلب أو يرى في النوم[3]، ومن أجل ذلك كتبت الكلمة محذوفة الألف لتقارب القراءتين، بعدم الفصل بين الطاء والفاء، فالألف المحذوفة ليست كالثابتة التي تفصل بين رفين (فطـئف قريب في الرسم من طيف) وكلاها قراءة متواترة فقيل «لكنها جاءت على هذه الهيئة لتشير إلى وجود قراءة أخرى للكلمة»[4].

أما (طائف) الثانية الواردة في الثبت في سورة القلم في قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ و (طائف) هنا هي اسم فاعل، فقد نص أهل اللغة على أنه لا يكون إلا في الليل يدل على ذلك قوله تعالى: (وهم نائمون) وذلك في الحديث حول عرصة الذين كرهوا أن يشاركهم المساكين في الصباح في المحاصيل الزراعية والثمار التي نضجت وحان جنيها، ولما عزم أهل العرصة على حرمان المساكين، عوقبوا بإحراقها فطاف عليها طائف ثابت بالليل قد يكون ملكا فأحرقها، ولهذا كتب هذا الطائف ثابتا في مرسوم خط المصحف، فهذا الطائف ثابت ومنسوب إلى الله تعالى كما ينص على ذلك هذا السياق القرآني الكريم:﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21)أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

---

[1] ـ القلم، الآية: 19.

[2] ـ توجيه القراءات القرآنية علم قائم بذاته يبحث عن علة أو علل القراءات التي يختارها قارئ معين وقد يذكرها أو لايذكرها، ومن علماء هذا الفن الفارسي ومكي وغيرهما.

[3] ـ أسرار الرسم القرآني، محمد وسيم البكري، ص:80، ط 1 ، 2016.

[4] ـ نفسه، ص:80.

صَارِمِينَ (22) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (23) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (25)فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ(30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33)﴾[1].

أتيت بالآيات التي جاءت في هذا السياق لكونها عبرة لكل من لا يرى أن في أموالهم حقا للسائل والمحروم.

وقد اهتم المغاربة في مسائل الحذف والثبت في القرآن الكريم، ففي نظم الكناوية وشرحها يقول الدكتور عبد العزيز العيادي في كتاب الكناوية باب الطاء، ويهمنا هنا ما ورد في الشرح: فذكر حال (طَــئِفٌ) في موضعين في الأعراف والقلم، فقال: الكلمة في الأعراف بها قراءتان فذكر القراء الذين يقرؤون ب (طَــئِفٌ) والذين يقرؤون ب (طيف) فأورد في الموضوع بيتا لابن القاضي ينسب استجاز حذف (طَــئِفٌ) الأعراف إلى ابن سليمان[2] في قوله:

وعن سليمان استحب الحذف إشارة لمن رواه طيف[3]

أما الكلمة الثانية فرسمت بفصل الطاء في مصاحف الأئمة بإشباع فتحة الطاء.

---

[1] ـ سورة القلم (17 ـ 33)

[2] ـ اعتقد أنه ابن نجاح.

[3] ـ الكناوية (سلسلة الأنصاص القرآنية) ص:98 ط 3 طنجة 2011، عبد العزيز العيادي، أشار المرحوم سعيد أعراب في ص:55 من كتاب القراء والقراءات بالمغرب إلى أن ابن القاضي نقل عن جابر الغساني المكناسي في كتاب " الخلاف والتشهير والاستحسان وهي ارجوزة حادى فيها صاحب المورد ومنها هذا البيت: وعن سليمان استحب الجذف +++ إشارة لمن رواه طيف

وفي عرف حافظي القرآن في المغرب أن (طَــئِفٌ) الأعراف محذوفة و (طَائفٌ) القلم ثابتة، وذلك راسخ في الذاكرة المغربية، وهذا ابن البهلول بدوره رحمه الله في منظومته الخاصة برسم القرآن من حيث الحذف وسائر الأبواب يذكر في باب الطاء:

القول في الطاء أتت موصوفة مهملة مسألة محذوفة

فذكر منها: وطـــــئف الأعراف واستطاعوا والنشطات طئراً واستطـــعوا

وهذا ومجاراة لفحو هذا البحث يدور موضوعه حول الرسم القرآني، وكون وجها من أوجه الحضارة المغربية، أذيل هذا الفصل بذكر مسائل في رسم القرآن الكريم

المطلب الثالث: مسائل في رسم القرآن الكريم

هذا المطلب خاص بذكر مسائل في رسم القرآن الكريم، وكيف حافظ الفقهاء المغارة المهتمون برسم القرآن على كيفية كتابة هذه الحروف مع الحفاظ على ضبطها ونطقها "رسما نطقا أداء (صوتا)"، وأذكر في ذاك أحوال بعض الحروف وأبدأ بحال:

1ـ بعض الألفات: والتي تشغل بال المهتمين برسم القرآن مثل ألف أو همزة نقل في حرف: (أن ارضعيه) في قوله تعالى في سورة القصص، الآية: 7 ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[1].

فالهمزة في كلمة (اَرْضِعِيهِ) همزة نقل، وهمزة نقل في اصطلاح القراء أو الألف النقلي عند فقهاء الكتاتيب، هذا الألف النقلي أصلا كان همزة قطع، ولكنها في قراءة نافع التي هي قراءة أهل المدينة، تنقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها مثل (قد أفح) في قراءة حفص عن عاصم فيضبط هكذا (قَدَ أفْلَحَ) في قراءة نافع برواية ورش لأن المدنيين لا يهمزون ويكرهون النبر أي الهمز ، لأن إخراج الهمز في حال تحقيقه فيه

[1] ـ سورة القصص، الآية:7.

مشقة في النطق، وكذلك الشأن في همز أن (اَرضعيه) حيث حركة النون التي كانت سكونا نقلت وتعت لحركة الهمز تسهيلا للنطق بالحركة الخفيفة دون تحقيق الهمزة للخفة، وفي قراءة أهل المدينة، التي قال عنها الإمام مالك سنة، وهذه القاعدة في كل حرف مسكن قبل همزة قطع، يضبط بحركة كسرة أو فتحة مثل (قدَ اَفلحَ) و (وإذا خلوٱ إلى شيـطينهم) البقرة 14، ولا يمكن للمبتدئ في الكتاب أن يفهم هذه القواعد وكيفية قراءة نافع لهذه الهمزة في هذه الأحوال، ولذا وضع صاحب هذا النص هذه القاعدة بقوله:

يا طالبا يقرأ أنَ اَرضعيه النون مفتوح وما يليه

فرفع اللبس بذكره أن النون في الكلمة مفتوح وكذا ما يليه، وهو الألف ، (أنَ اَرضعيه) والألف المعني هنا هو همزة قطع من فعل الأمر (أرضعيه)، وليست همزة "أن" الواردة مفتوحة في سياق المصدر المؤول بأن والفعل (إرضاعه) كما هو معلوم عند علماء النحو.

ويجمل بنا أن نقاررن أن اَرضعيه ب (أنِ اِقدفيه) وكلاهما من وحي الله لأم موسـ أن تمتثل لأمر الله وأن تعتني بولدها موسى لينجو من بطش فرعون الجبار فقال تعالى في سورة طه ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وهكذا كتبت الكلمتان في المصحف كما ضبطها علماء الضبط

(أَنِ اقْذِفِيهِ)

و (أنَ اَرضعيه).

ففي الأولى ألف الوصل الذي تتوصل به إلى النطق بالساكن، وقد ضبط وشكل حسب الحرف الذي قبله، غير أن همزة وصل هذه تنقط وتضبط من اليمين اَ وكما قال بعضهم

وجرة الوصل يمينا تجعل وجرة النقل يساراً نقلـــــــــــــــــوا

ثم هما متصلان بالألف دون بياض فافهم داك يا عارف

وقد جرى العمل بالتسامح إذ داك كله سهل واضـــــــــــــــح

ومن هذه الأبيات التي تحدث الناظم عن شكل ألفي الوصل والنقل تبين دقة المغاربة في مسائل الحفاظ على كتابة القرآن، حسب القواعد التي اصطلح عليها علماء الضب، فجرة الوصل توضع يمين الألف مع التنقيط مثل (وإذِ اِسْتَسْقى)، أما جرة ألف النقل فتجعل على يسار الألف مثل قوله تعالى: (واذَ اَوحينا) هنا الضبط بالحركة دون النقط والحركة في كل منهما متصلة بالألف مباشرة دون ترك بياض بينهما، ولكن قد يقع العكس من باب التسامح، وذلك لعدم تأثير ذلك على مستوى الأداء أو المعنى.

وكما أشار الإمام الداني في المحكم في فصل عقده لأحوال الهمزة سواء كانت وصلية أو نقلية (اِستسقى) (خَلَوا اِلى)، حيث قال احترازا ما كون الهمزة لها أحكام في الروايات والقراءات الأخرى.

فصل : في نقط المصاحف

وأن نقط مصحف على قراءة نافع من رواية ورش عنه جعل على الساكن[1]

وجعل في موضع الهمزة جرة علامة على سقوطها من اللفظ، سقوط همزة الوصل منه وإن كانت الهمزة مفتوحة جعلت الجرة على أعلى الألف التي هي صورتها، وإن كانت مكسورة جعلت الجرة تحتها، وإن كانت مضمومة جعلت الجرة وسطها، دلالة على كيفية حركتها المنقولة إلى الحرف الساكن قبلها[2]. وأتى بأمثلة منها: (هل اَتيـــك) (قَدَ

[1] ـ المحكم في نقط المصاحف، الإمام الداني، تحقيق الدكتور عمر حسين، ط2، دمشق 1986.ص: 87

[2] ـ نفسه، ص: 88.

اَفْلَحَ) (قُلْ تَعَالَوَاْ اَتْلُ) (مِنِ اِلَــهٍ) ، وحكى عن ضبط الهمزة التي تأتي التنوين والسكون فتبدل جرة بعد ألف من أمثلة (من ـــ امن) (ولقد ـــ اتينـــك) (وَكُلٌّ ـــ اتوه) وذلك في قوله: «فإن كان بعد الهمزة المنقول حركتها إلى الساكن ألف سواء كانت مبدلة من همزة أو غير مبدلة»[1] (فأتى بالأمثلة أعلاه وشبهها: «جعلت الصلة في موضع الهمزة عن يمين الألف»[2] (مَنَ ـــ امن) و (كلٌّ ـ اتوه). ثم قال: «وبعض أهل بلدنا يجعل على رأس الألف علامة السكون ليدل بذلك على أن بعد الهمزة المنقول حركتها إلى الساكن ألف»[3]. وهذا السكون المسموح به في نظر الداني والمعمول به عند الأندلسيين والمغاربة هو هكذا (منَ ـــ امنَ)، ثم علق على ذلك بقوله: «وأن أعريت الألف المصورة من ذلك محسن، لأن وقوع الصلة (ـــ) التي هي دليل الهمزة قبل الألف دليل على ذلك»[4].

وننتقل إلى نوع آخر من الصوتيات التي عالجها المغاربة بإبداع يراعي المحافظة على الأصول، وذلك في كيفية كتابة بعض الحروف وطريقة النطق بها من أمثلة: ســـــــيء و سيئت.

من بين الكلمات أو الأحرف القرآنية التي عالجها المغاربة صوتا وأداء وكتابة (رسما) ســـــــيء و ســـيئت ، هذان الحرفان من القرآن الكريم فيهما إشكال في النطق عند أهل الأداء في انب كيفية النطق بهما وكتابتهما، وعالج الحفاظ من المغاربة هذه الكيفية، انطلاقا من آراء علماء الضبط والرسم أصلا، أن هذين الحرفين أصل الياء فيهما واو ،كما في القاعدة اللغوية أن الواو إذا سبقتها ككسرة تقلب ياء كما في كلمة "الميزان"، فالياء فيها أصلها واو لأنها من "النون"، أو كما قال أحدهم محتقراً نفسه بقوله:

فإني كواو بين ياء وكسرة لو رآني النحاة لحذفوني

وجدير به أن يقول: لبدلوني.

---

[1] ـ نفسه، ص: 88.
[2] ـ المحكم في نقط المصاحف، الداني، ص: 88.
[3] ـ المحكم، الداني ، (م ـ س) ص: 88.
[4] ـ نفسه، ص: 88.

وإذا نطلق القراء الكلمتين ســـــيء و ســـــيئت بطريقة خاصة بالنطق بالإشمام (•) وعلامته نقطة كبرى توضع فوق الياء المنقلبة عن الواو، ويشار إلى ذلك في القراءة بمد الشفتين إلى الأمام لمزج نطق الضمة ممزوجة بالكسرة، وهي عملية صعبة لا يحسن النطق بها على هذا الوجه إلا من تلقى العملية مباشرة عن شيخ من شيوخ الأداء بحيث يكون نصيب الضمة أكثر من نصيب الكسرة إفرازا لا شيوعا، وعلماء فن الضبط والرسم اعتنوا بهذه الحركة صوتا وكتابة فقال ابن بري[1] رحمه الله:

وصفات الإشمام إطباق الشفاه بعد السكون والضرير لا يراه

فإلى وقتنا الحاضر لا يزال فقهاؤنا مهتمين برسم القرآن ونطقه، ففي الأنصاص القرآنية المكتوبة بالدارجة المغربية يقول أحدهم:

يا سائلاً ســـــئ وســـــيئت كيخترسمها من القراء تعلمتْها وخديتْها

نقطة فوق السطر درها قبل اليا والمدة حداها بالرفاقة مسَلية

واحذف الكسرة من تحت السين أحصَّلْ على القرآن يافطين

قال الشارح: نقلا عن الإبراهيمي في المحجة، ويعني الإشمام في المفردتين السابقتين أن تلفظ بالسين مضمومة فمكسورة إفرازا وقيل شيوعا، ومعنى الإفراز البدء بالضمة ويليه الكسرة، وتغليب جانب الكسر ليتولد عنه المَدِّية بين السين والهمزة، ومعنى الشيوع مزج الضم بالكسر أول وصلة مع الإتيان بالياء المدية، ولا يعول على غير هذين الوجهين، ومن أجل الحركة المركبة وضع علماء ضبط المصحف نقطة في حجم نقطة همزة الوصل في محل الضمة دليلا على الإشمام[2]، ومن الخطأ وضع نقطة الإشمام بعيدة عن السين، لأنها حركته توضع على السين الأخيرة من السين (ســـــئ)[3].

[1] ـ ابن بري علي الرباطي، صاحب منظومة مشهورة، من رجال المغرب المشهورين في ميدان القراءات والإقراءات

[2] ـ شرح الأنصاص القرآنية المنظومة بالدارجة المغربية برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، للشخ عبد اللطيف بوعلام، ص:16، دار الرسالة، الدار البيضاء، بدون ذكر سنة الطبع.

[3] ـ سورة هود، الآية: 76.

وللمزيد من الإيضاح نورد نظما لأحد المغاربة يوضح فيه كتابة (ســـــــئ و ســـــــــيئت) ونطقهما بقوله:

ونقط ســـئ ضع أمام السين قيل رد الياء خذ تبييني

وتجعل المدة فوق اليـــــــاء والهمز في السطر بعيد الياء

ومثلها ســـيئت ولكن تجعل همزتها من فوق سطر نقلوا

تقرأ بالإشمام بين الضم والكسر حققه أهل العلم

وصفة الإشمام ضم الشفتين من غير صوت اسماع للسَّكتتين

ولاتصل نقطهما بالسطر لأنها شكل بدون نكـــــــر

والمغاربة رعاهم الله في حفظ القرآن اعتمدوا على النقل والضبط عن مشايخ القرآن ورسمه وضبطه كابن بري والخراز والفخاري وابن القاضي وقبلهم الداني وابن نجاح ومكي، بمعنى أن هذه الجهود لم تأت من فراغ كما للتفرغ والإقراء دور فعال كما للمجتمع المدني أيضا دور في توفير الجو المناسب لحملة القرآن بالإكرام والاحترام والتبجيل، كما لسلاطين المغرب عبر العصور اهتمام بالقرآن وأهله.

ومن الحروف التي يصعب النطق بها سليمة في القرآن أيضا حرف (لاتـــامنـــــــنا) في يوسف، لقد أشرت إليها في أحد فصول هذا البحث من باب التعليل، حيث ذكر العلماء سبب صعوبة كتابة الحرف وصعوبة النطق به سالما، ولذا قرئ بالإشمام والإخفاء والاختلاس والفك والإدغام، وقد أرجح العلماء هذه الأوجه الصوتية وطريقة كتابة الحرف إلى شك نبي الله يعقوب في سوء نية الأبناء، وفيما يضمرون من كيد لأخيهم يوسف، وكذلك ما يختلج أنفس الأبناء من الإيقاع بأخيهم والتخلص منه نظراً لكون أبيهم يؤثر عليهم وهنا تداخل شك الأب فيما يضمر الإخوة لأخيهم مع سوء نية الأبناء، فكان هذا الحرف المكون من نفي وفعل مضارع معبرا بغموضه كتابة وصوتا عن هذه الأحوال النفسية، وتلك معجزة أخرى من إعجاز الرسم القرآني حيث لا يمكن

لأي مبتدئ في تعلم القرآن أن يكتب هذا الحرف سالما، ما لم يكن على دراية سابقا برسمه ويرسم هكذا (لاتـــامنـــــنا) .

ولذا اهتم المغاربة بسم هذا الحرف ونطقه فقال صاحب النص:

يا سائلا عن رسم لاتامنـــــنا فالنون محذوفة قبل النون

ونقطة الإشمام اجعل بينهم وهكذا ولاتخالف رسمهم

كيفية النطق لدى الأداء في نون تامنـــــنا بالإخفاء

أن تسرع النطق بضم الحرف مختلسا لها بلا اجحاف

وفكك الأولى وحرك ثانـــــــــه من غير تشديد فخذ بيان

ونص آخر:

كيفية الأداء عند النـــاس في نون تامنـــــنا بلا التباس

تقرأ بنونين بلا إشكـــــال هذا ه المشهور في الأقوال

فالثاني مظهر وأول خفي مع اختلاس فيه جاء فاعرف

من غير شكل وفيها يصاح قله وما عليك من جنـــــــــاح

نص عليه شيخنا ابن القاضي فتق بقوله تفز بالمرْضـــــــــي

جاء النص مليئا بالمصطلحات الصوتية كالإشمام والاختلاس والإخفاء، هذه المصطلحات وكلها من أجل الأداء الجيد الذي حرص عليه علماء الضبط وحافظ عليه المغاربة.

كما هو واضح في النصين بذكر كل ما سمع من أهل الأداء في قراءة هذا الحرف أو كتابته، فالإخفاء هو مرتبة وسط بين الإدغام والإظهار. والاختلاس أن يخطف النطق بحركة النون، ولكن المشهور عند المغاربة أن يقرأ الحرف (بنونين) أي بإخفاء النون الأولى مع وضع الإشمام بين النونين,

وقال آخر في تعريف الإخفاء:

حقيقة الإخفاء عند العلما ما بين الإظهار والإدغام انتما

وعلى الجملة في ضبط (لاتـــامنـــــنا) بالإخفاء والإسراع بنطق ضم النون الأولى واختلاسها، وتحريك الثانية بلا تشديد لفظا ولا خطاً، بين حذف النون الأولى في قراءة، وإدغامها وتوسط نقطة الإشمام بين النون المدغمة والنون الأخيرة.

هكذا كتابة الحرف في مصاحفنا المغربية (لاتـــامنـــــنا) كما أن قراءته بنونين بدون إدغام تعمدت الاستماع إلى القراء المغاربة في القراءات الجماعية منذ أيام الطلب بمدرسة سيدي الزوين المشهورة غر مراكش، إن الطلبة يقرؤون هذا الحرف بالنونين بدون إدغام، وهكذا تلقيتها من الشيخ سي علال العشراوي رحمه الله، نسبة إلى القراءات العشر وسائر الشيوخ في كل مكان من أزيلال ودادس وسوس، فكلهم يقرؤون الحرف بنونين مع الكتابة بالنون الأولى ملحقة كنون ننج هكذا (لاتـــامنـــــنا) بوضع نقطة الإشمام بين النونين إشارة الأصوات التي أشرنا إليها سابقا في قراءة الحرف، ومع ذكر (لاتـــامنـــــنا) اذكر معها (ننج) كما جمعها صاحب النص:

ومخفى تامنـــــنا وننج قد حذف وفي لننظر وننظر اختلف

يعني: أن القراء يقرؤون نون (تامنـــــــنا) الأولى بالإخفاء ويحذفون النون الثانية في (ننج) كتابة ووسط الكلمة، وهذا الحذف أشار إليه الفقيه الرجراجي[1] في منظومته الرسمية فقال:

(تامنـــــــنا) أول نونه احذفا واعكس في (ننج) الأنبيا ويوسف

وقال الشارح: وحذف النون نفسه وسط الكلمة وآخرها معناه: «رسمة كتابته بقلم رشيق رقيق باعتباره لم يكن موجودا، فألحقت النون أو أسقطت كما يلي:

في المصاحف "الأئمة" وزيد في الكتابة ليدل على قراءة أو لهجة معية»[2] (ننج) أو (ننجي)

وتحذف هذه النون وسط الكلمة في ثلاث كلمات في

1- (تامنـــــــنا)

2 ـ وفي كلمة (فننجي) من نشاء (يوسف،110)

3 ـ وكذلك (ننج) المومنين (الأنبياء،88)

وقال صاحب النص:

(وتامنـــــــنا) احذف أوله يا عارف واسقط شكلة تصف وكن متأملا

و(ننج) هما اثنان وحذف الأخِرين ءاتيتني ذا النون لا غيرهم جلا

وهذا الحذف للنون ليس من قبيل حذف النون في الأفعال الخمسة لجازم أو ناصب.

[1] ـ عبد الواحد بن الحسين الركراكي من علماء وادي نون مدخل الصحراء له الإسهامات في الرسم والقراءات، درس عليه السوسيون والصحراويون في علوم القراءات والفلك...، توفي في حدود 900 له طاءات وضاءات القرآن وطاءاته والحذفية والرسمية.

[2] ـ المنهاج في شرحرسمية الرجراجي (الحذفية والرسمية للفقيه عبد الواحد الرجراجي تقديم وإخراج الدكتور عبد العزيز العبادي العروسي، 114، سلسلة الأنصاص القرآنية (3)الطبعة الأولى 2001

وإنما هو حذف النون في الكلمة بكتابته بقلم رقيق ولإشارة أنه محذوف في قراءة أو لهجة معينة، ولكن القراء وعلماء الضبط والرسم اختاروا كتابة هذا النون المحذوف (ننجي) خطا ونطقا إخفاء عند بعض القراء كما في (تامنـــــــنا)، وقد وضح صاحب الأنصاص القرآنية هذا النون المحذوفة بقوله: والمقصود بحذف النون معنيان:

1ـ كتابته بقلم رقيق (شق القلم) لتمييزه عن نظيره الثابت

2ـ إسقاطه من آخر الكلمة[1].

ويعني ذلك في الحالة الأخرى، حيث تحذف النون الأولى أو تخفى تقرأ بالإخفاء، وفي الحالة الثانية (فننجي) في كل من يوسف والأنبياء، وحيث تسقط الثانية في الخط ويرمز إليها بإطالتها فوق السطر أو بوضع نون ضغيرة مقلوبة مكانها مثل (فنـــــــجي أو فننجي) من باب الإلحاق (سَنّا) كما عرف عند المغاربة.

وقال صاحب المطرب في شرح المعرب[2] في شرح بيت له صلة بموضوع نون (ننجي) وياء (ايلـــفهم) (وحذف يا إلفهم من الفا +++ وثاني ننجي الأنبياء ويوسف) يعني أن الياء في (ايلـــفهم)، وعزا هذا القول إلى شارح المورد في الدليل والذي قال عنه إنه « أوصلها همزة فأبدلت لسكونها بعد همزة مكسورة»[3].

وأضاف ننجي بنين ثانيهما ساكنة حرفان لا نظير لهما ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُومِنِينَ﴾ (الأنبياء،87) وفي ﴿فَنُنجِ مَن نَّشَاءُ﴾ (يوسف،110).

وأضاف من نظمه في هذا الباب: في كل هذا جرى الإلحاق +++ والسن أشهر وقوم عرقوا

---

[1]ـ الأنصاص القرآنية، العبادي، ص:167.

[2] ـ المطرب في شرح المعرب في الرسم الاصطلاحي للقرآن حسبما جرى به العمل في المغرب، أرجوزة الركراكي ونظمها عبد الجليل لمغاري، ص: 108، ط1، 2012. اعتمد فيها المؤلف أطال الله عمره على إكمال المغربة في الرسم كالمورد للخراز بشرح الدليل.

[3] ـ نفسه ص: 108

يعني أنه في (ياء) (ايـــلـــفهم) والنون الثانية في ننج تكتب بالإلحاق، والمشهور أنهم يكتبونها (بالسن) عند قوم وآخرون بنون معرفة فوق السطر بالسن هكذا (ننجي) والتعريف (نـــــجي) كيف تكتب وكما اختار المغاربة طريقة الإمام الداني حيث قال:

«وأما النون الثانية من (ننجي) فلإلحاقها صفتان: أن ترسم سنا[1] كما لو كانت ثابتة[2] لكن بشكل دقيق متقاطع مع السطر قليلا، وبهذا جرى العمل في المصاحف كما في الألواح، أو أن ترسم نونا صغيرة معرفة فوق السطر الأسود هكذا (ننجي) وإلى هذا أميل سواء في الياء أو في النون لأنه أوضحفي بيان المحذوف وتمييزه»[3].

غير أن الكاتب يرى أن المغاربة اعتمدوا طريقة الداني «وقد كان المغربة من طبقة الداني يحيرون بين الصفتين حتى استقر العمل في المصاحف والألواح على إلحاقها سِنّاً»[4].

ونظرا لاختلاف القراء وأهل الأداء في قراءة (ننجي) و (ننجي) أقف قليلا على الحرفين على عدة أوجه:

أ ـ على وجه القراءات المختلفة الناتجة عن رسم الكلمتين

ب ـ وجه التوجيه

ج ـ وجه التعليل

أ ـ على وجه القراءات المختلفة يقول ابن مجاهد مسبع[5] القراءات في كتابه المعهود ففي حرف (يوسف 110) «وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحفص (فنُنَجِّي من نشاء) مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة على ما لم يسمى فاعله ـ يعني مبنيا للمجهول ـ وروى الحسن بن اليتيم عن أبي حفص عمرو بن الصباح عن أبي عمر عن

[1] ـ وتعني السن إبراز هذه النون ورفعها شيئا قليلا عن السطر تبدو وكأنه (سن) من أسنان (ننجي)
[2] ـ وثابتة هنا يعني كأنها كتبت عادية وليس معنى الإثبات هنا ما يعرف ضد الحذف.
[3] ـ المطرب شرح المعرب في الرسم الاصطلاحي للقرآن حسبما جرى به العمل، عبد الجليل لمغاري، ص: 106.
[4] ـ نفسه، ص:108.
[5] ـ أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ، ت 245 هـ، مؤلف كتاب "السبعة في القراءات" تحقيق شوقي ضيف.

عاصم (فَنُجِّي) بنون واحدة وروى هبيرة عن حفص عن عاصم (فَنُنْجِي بنونين مضمومة وخفيفة وهذا غلط»[1].

وفي معرض حديثه عن حرف الأنبياء 88 (ننجي) المومنين بنون واحدة مشددة الجيم على ما لم يسم فاعله والياء ساكنة، وروى حفص عن عاصم (ننجي) المومنين بنونين الأولى مصمومة، والثانية ساكنة والجيم خفيفة، وكذلك قرأ حمزة والباقون، وأضاف «وروى عبيد عن أبي عمرو وعبيد عن هارون عن أبي عمر (نُجِّي المومنين) قالا مدغمة وهو هم»[2].

وعلق رحمه الله على هذا الوهم بقوله: «لا يجوز هاهنا الإدغام، لأن النون الأولى متحركة والثانية ساكنة لا تدغم في الجيم، وإنما خفيت لأنها ساكنة تخرج من الخياشيم، حذفت من الكتاب، وهي في اللفظ ثابتة»[3].

ويقصد بالكتاب رسم المصحف ولكنها ثابتة لفظا عند بعض القراء، ولذا تكتب بالنون الملحقة (ننجي) أو بالنون المعرقة فوق السطر (ننجي) وذلك إشارة إلى اختلاف في قراءة الحرف.

ولم يخالف الإمام الداني رحمه الله ما جاء في رواية ابن مجاهد في الجوهر إلا بما اقتضاه سياق الاختصار والإيضاح ففي حرف يوسف 110 (فنجي من نشاء).

ففي كتاب "جامع البيان في القراءات السبع المشهورة" يقول مؤلفه الإمام الداني رحمه الله: (فنجي من نشاء) يوسف 110 «بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله رواية عن أبي عمرو وقرأ الباقون وابن عامر في رواية الوليد بنونين،

[1] ـ كتاب السبعة لابن مجاهد، ص: 352.
[2] ـ نفسه، ص:430.
[3] ـ نفسه، ص:430.

الثانية ساكنة مخفاة عند الجيم وإسكان الياء وقال: وفي رواية عن المسيبي عن نافع موقوفة الياء بنون واحدة»[1].

وواضح في رفع الإبهام حول ما إذا كان الأمر يتعلق بالرسم والخط في المصحف أم بالقراءة والسماع بقوله: «فإن كان أراد بنون واحدة في الخط فقد أصاب إذ هو قول الجماعة»[2].

لأن الجماعة متفقون على أن (نجي) مكتوب بنون واحدة في المصحف، أما قراءة الحرف بنون واحدة في اللفظ فقد خالف الجماعة، وذلك في قوله: «وإن كان أراد بها ذلك في اللفظ فقد أخطأ وخالف الجماعة لأنها لا تكون بنون واحدة إلا مع تشديد الجيم ولم يذكر ذلك»[3].

وهذا الخلاف الدائر حول (نجى) في يوسف وفي الأنبياء، سببه اختلاف الرسم (الكتاب) مع القراءة بنونين، ولكي يحصل التوفيق بين الرسم والقراءة (تكتب) (ننجي) بالنون الثانية محذوفة وملحقة هكذا (ننجي) أو (ننجي) فينطق بالنون الثانية مخفاة ومختلسة، وأضاف الإمام الداني رحمه الله مبينا حرف (نجي المومنين) (الأنبياء 88) فقال: «قرأ ابن عامر من طرقه وعاصم في غير رواية حفص والكسائي في رواية أبي موسى الشيرازي (نجى المومنين) (الأنبياء) بنون واحدة وتشديد الجيم على معنى (ننجي المومنين) ثم حذفت إحدى النونين تخفيفاً، وقرأ الباقون بنونين الثانية ساكنة والجيم مخففة»[4].

[1] ـ جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تأليف الإمام الداني (ت 444 هـ) ، تحقيق محمد صدوق الجزائري، ص:569، الطبعة الأولى، لبنان، 2005.
[2] ـ نفسه، ص:569.
[3] ـ نفسه، ص: 569.
[4] ـ جامع البيان للإمام الداني، ص: 629.

وبعد رواية إسناد قراءة ابن عامر هذه إلى الكثير من العلماء المشتغلين بالقراءات فقال: «ولا يعرف أهل الشام غير ذلك وكذلك روى هشام والجماعة بإسنادهم عن ابن عامر»[1].

وكما أشار الإمام الداني إلى الحرفين في كتاب المقنع بقوله: « حدثنا على بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عبيد قال: رأيت في الذي يقال له مصحف عثمان رضي الله عنه (فنجى من نشاء) (يوسف 110) و(نجى المومنين) (الأنبياء 88) بنون واحدة، قال ثم اجتمعت عليها المصاحف في الأمصار كلها فلا نعلمها اختلفت، قال: ورأيت الحرفين اللذين في يونس 103 (ثن ننجي رسلنا) ونج المومنين) بنونين»[2].

والإمام الشاطبي رحمه الله في رائيته المشهورة " عقلية أتراب القصائد في أسنى المقاصد في رسم المصاحف" والتي ذكر فيها جميع المسائل الواردة في كتاب المقنع للإمام الداني رحمه الله، وفي مطلع هذا النظم المقصود بالقصيدة:

الحمد لله موصولا كما أمر مباركا طيبا يستنزل الدررا

إلى أن قال:

وهاك نظم الذي في مقنع عن أبي عمرو وفيه زيادات قطب عمرا[3].

لخص فيها الناظم جميع ما ورد في كتاب المقنع للإمام الداني وزيادة كما في البيت. والذي يهمنا هو إشارته إلى (ننجى) ففي البيت 83 يقول الشيخ رحمه الله:

ونون ننجى بها والأنبياء حذفوا والكافر الحذف فيه في الإمام جرى

[1] ـ نفسه، ص :630.
[2] ـ المقنع، الإمام الداني، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ص: 95، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة دون ذكر سنة الطبع.
[3] ـ من قصيدة "عقلية أتراب القصائد في أسنى المقاصد في رسم المصاحف" للإمام أبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي الرعيني الضرير (ت 590هـ) والقصيدة شرحها الإمام الشيخ علم الدين السخاوي (ت 643 هـ) في كتاب سماه "كتاب الوسيلة إلى كشف العقلية".

وقال الشارح[1] وقال أبو عمرو عن محمد بن عيسى عن نصير فيما اتفق عليه في يوسف 110 (فنجى من نشاء) بنون واحدة وفي الأنبياء (نجى المومنين) بنون واحدة.

قال أبو عمرو «وكان أبو عبيد يقول (نج) بغير ياء على قراءة عاصم»[2].

فقال: قرأها عاصم كذلك إتباعا للخط، ثم قال أبو عبيد وهذه القراءة أحب إلي لأنه لا نعلم يعني أحد المصاحف العثمانية في الأمصار كلها كتبت إلا بنون واحدة ثم رأيتها في الذي يقال أنه الإمام مصحف عثمان أيضا بنون واحدة، فأما في سورة يوسف فقال: «وقراءة عاصم عندنا أولى بالإتباع لأن الكتاب عليها بنون واحد »[3]. يعني أنهم في الشام اتبعوا قراءة عاصم وكون المصحف الشامي الذي وجهه عثمان إلى الشام كتبت (ننجى) بنون واحدة.

أما عند العكبري فقد اختصر الكلام فقال: « (فننجى) يقرأ بنونين وتخفيف الجيم ويقرأ بنون واحدة وتشديد الجيم على أنه ماض لم يسم فاعله، ويقرأ كذلك إلا أنه بسكون الياء وفيه وجهان: أحدهما أن يكون أبدل النون الثانية جيما وأدغمها وهو مستقبل (يعني المضارع)، والثاني: أن يكون ماضيا وسكن الياء لثقلها بحركتها وانكسار ما قبلها»[4].

ومن العلماء الأفارقة المشتغلين بالرسم القرآني فضيلة أحمد مالك الغوتي الأزهري نسبة إلى كونه درس في الأزهر بمصر، ففي كتابه "مفتاح الإمام في رسم القرآن" الذي شرح به رسم طالب عبد الله الموريتاني المشهور[5].

فقال الناظم: ثاني ننجى يوسف واحذف الأنبياء موءودة النبيين عكس يحيينا

---

[1] ـ الإمام السخاوي.
[2] ـ نفسه، ص: 76
[3] ـ نفسه، ص:76.
[4] ـ إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، الإمام العكبري (ت 616 هـ) المراجعة والتعليق: نجيب الماجدي، ص: 312، الطبعة الأولى، 2002.
[5] ـ سبقت الإشارة إليه في ثنايا هذا البحث المتواضع.

فقال الشارح: «ثاني (ننجى يوسف والأنبياء) أي احذف النون التي من (ننجى) في سورة يوسف وهي (ننجى من نشاء) واحترز في يوسف والأنبياء عن ما وقع في غيرهما نحو (ننج المومنين) في يونس و (ننجى الذين اتقوا) في مريم»[1].

وهكذا وردت كتابة الحرفين في يوسف والأنبياء بنون واحدة في المصادر الأولى للرسم والضبط، غير أن القراءة تختلف بين النون الواحدة والنونين، ولذا تحذف النون الثانية حذف إلحاق لا حذف إسقاط، وسنرى موقف الموجهين للقراءات عسى أن يفيدنا في الحرفين أكثر.

مستوى التوجيه[2]

ونبدأ بما نقله شيخ الموجهين واللغويين أبو علي الفارسي رحمه الله في كتابه: "الحجة في علل القراءات السبع" ليبين ما كان من اختلاف القراء في الحرفين وليس اختلافهم هنا اختلاف تضاد يغير المعنى إذ القراءات في الحرفين كلها متواترة سبعية.

من ذلك قوله: «واختلفوا في قوله تعالى: (فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ) يوسف 110، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي (فننجي من نشاء) بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء التي في (ننجي) ساكنة»[3].

واسترسل في الرد على من يقول بنون واحدة وادغم النون في النون مذكرا قول سابقه ابن مجاهد أحمد بن موسى، وقال: «روى نصير بن علي عن أبيه عن ابن عمرو (فنجى من نشاء) يدغم قال أحمد هذا غلط في قوله: يدغم، ليس هذا موضعا يدغم فيه، إنما أراد أنها محذوفة النون الثانية في الكتاب، وفي اللفظ بنونين الأولى متحركة والثانية

---

[1] ـ مفتاح الأمان في رسم القرآن، أحمد الغوتي الأزهري السينغالي، الدار السنغالية دكار، الطبعة الأولى بدون ذكر تاريخ الطبع.

[2] ـ والتوجيه علم قائم بذاته خاص بتوجيه القراءات القرآنية بحيث يقوم العالم الموجه بذكر الوجه الذي اختاره القارئ لعة يذكرها أولا يذكرها لتفضي النتيجة إلى الاختيار، والاختيار أيضا علم خاص في هذا الميدان.

[3] ـ ، "الحجة في القراءات السبع " أبو علي الفارسي (ت 377 هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور أحمد عيسى حسن المعصراوي، 317/3، ط 1، 2007 ، دار الكتب بيروت لبنان.

ساكنة، والساكن لا يدغم فيه متحرك، وكذلك النون لا تدغم في الجيم، فمن قال يدغم فه غلط، ولكنها حذفت من الكتاب وهي في اللفظ مثبتة»[1].

ومنشأ الاختلاف كما رأينا عند الفارسي وابن مجاهد قبله يرجع إلى اختلاف رسم المصحف (الكتاب) بنون واحدة واللفظ أي القراءة بنونين، ولهذا تقرأ النون الثانية بالإخفاء، ويكتبها المغاربة ملحقة إشارة إلى الاختلاف المذكور في شأنها بين رسم المصحف والقراءة والإلحاق هكذا (ننجى) أو (نىجى)، وزاد أبو على في الإيضاح كعادته «فأما النون الثانية من (ننجي) فهي مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر حروف الفم لا تكون إلا مخفاة»[2].

ثم قال: «فأما حذف النون الثانية من الخط فيشبه أن يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه»[3].

هذا ولا يختلف رأي أبي علي في يوسف عن تعليله لكتابة حرف الأنبياء وقراءته، قال: «وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (وكذلك نجي المومنين) (الأنبياء 88) بنون واحدة مشددة الجيم، على ما لم يسم فاعله والياء ساكنة، وروى حفص عن عاصم (نىجى المومنين) بنونين خفيفة الثانية منهما ساكنة مثل حمزة وكذلك قرأ الباقون»[4].

ثم قال: قال: أبو علي في ذلك «إن عاصما ينبغي أن يكون قرأ (ننجى) بنونين و أخفى الثانية لأن هذه النون تخفى مع حروف الفم وتبيينها لحن»[5]، فلما أخفى عاصم ظن السامع أنه مدغم، لأن النون تخفى مع حروف الفم، ولا تبين فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام، فاحترز أن يقرأ الحرف بالإدغام بقوله تعالى (المومنين) لكون الفعل مبنيا للمعلوم بحجة نصب المومنين، فو كان مبنيا للمجهول، لكان (المومنون)، وبهذه الحجة اللغوية أفاد أبو علي أن قراءة عاصم للحرف بالإخفاء لا بالإدغام، وذلك بقوله: «ومما

---

[1] ـ نفسه، ص:317.
[2] ـ نفسه، ص:318.
[3] ـ نفسه، ص:318.
[4] ـ الحجة في القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ص:318.
[5] ـ نفسه، ص: 318.

يمنع أن يظن ذلك به نصب ـ المومنين ـ من (ننجى) المومنين ولو كان على ما لم يسم فاعله لوجب أن يرتفع»[1]

هكذا أفادنا أبو علي الفارسي بطريقته المعهودة في الاستطراد المحمود الذي يضيف ويعيد جملة لتوضيح الموقف ولو كان الموضوع صعبا.

ومكي ابن أبي طالب القيسي لا يقل استطرادا من سابقه الفارسي رحمهما الله تعالى، ولم يختصر اختصار ابن زنجلة وابن خالويه رحم الله الجميع.

وسنقف مع مكي في توجيه الحرفين في عجالة:

قوله: «(فَنجِّىَ مَن نشاء) قرأ عاصم وابن عامر بنو واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء، وقرأ الباقون بنونين وتخفيف الجيم وإسكان الياء»2.

وبعد ذكر القراءة والذي نسبت إليه شرع كعادته في ذكر الحجة التي اعتمد عليها القارئ في هذا الاختيار فقال: «وحجة من قرأ بنن واحدة أنه جعل الفعل ماضيا لأن القصة قد مضت فطابق بين اللفظ والمعنى، وبين الفعل للمفعول و (من) تقوم مقام الفاعل، ويقوي ذلك أنه قد عطف عليه فعل بني للمفعول أيضا وهو قوله (ولا يرد)، وأيضا فإنها في أكثر المصاحف بنون واحدة»3.

وبعد ذكر حجة من قرأ بنون واحدة انتقل رحمه الله إلى ذكر حجة من قرأ بنوني، «وحجة من قرأ بنونين أنه جعل الفعل حكاية عن حال يكون فيما بعد وجعله من (أنجى) وبناه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه رداً على قوله (جاءهم نصرنا) فأخبر عن نفسه بالنصر ذلك أخبر عن نفسه بالإنجاء، وأيضا فإن بعده إخباراً أيضا وهو قوله (من

---

[1] ـ نفسه، ص: 319.

[2] ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (ت437 هـ) ، تحقيق محي الدين رمضان، 17/2، ط3، بيروت 1984 (كان مكي معاصرا للإمام الداني (ت 444 هـ) وكلاهما من أعمدة القرآن في الغرب الإسلامي بالإضافة إلى ابن نجاح وغيرهم.

[3] ـ الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، 17/2.

نشاء) وقوله (بأسنا) فحمل على (ننجى) على ما قبله وما بعده، فذلك أحسن في المطابقة واتصال بعض الكلام ببعض وهو الاختيار إذ عليه الأكثر»[1].

وختم مكي كعادته باختيار قراءة (ننجى) بنونين بالعلل التي ذكر أضن إلى أن هذه القراءة قراءة الأكثر من القراء والجماعة، ورجع إلى ذكر اختيار أبي عبيد وهي قراءة عاصم وابن عامر من أهل الشام، وذلك بقوله: «و اختار أبو عبيد (فنجى) بنون واحدة على ما لم يسم فاعله وتقب عليه ابن قتيبة في المصحف بنون واحدة لأن الثانية خفيت عن الجيم»[2],

وفي حرف الأنبياء ذكر الشيخ بعض العلل التي جعلها مسوغة لاختيار قراءة (ننجى) بنونين من بين هذه العلل قوله: «ولا يجوز أيضا إدغام النون في الجيم عند أحد، واختار ابن قتيبة (ننجى) بنونين على قراءة الجماعة وهو الصواب»[3].

وعليه فإن قراءة نافع التي نقرأ بها الحرفين في مغربنا هي قراءة الجماعة في الحرفين بيوسف والأنبياء بنونين.

ومن القطر الموريتاني الإفريقي الشقيق نستمع إلى أحد علمائه في موضوع (فننجى) من كتاب "الدخيرة" لمؤلفه لارباس بن محمد لمرابط في شرح قصيدة رسم الطالب عبد الله ومنظومة ابن بري؛ فيما يتعلق بحرف (فننجى) في يوسف والأنبياء يقول الناظم تحت هذا العنوان: "باب الأحرف المحذوفات غير الألف الماد"، وذكر من نظم رسم الطالب عبد الله الشنقيطي رحمه الله:

ثاني ننجي يوسف احذفا الأنبياء موءودة النبيين عكس يحيينا

وقال الشارح: «تكلم المصنف في هذا الباب على حذف النون والواو والياء وألف التنوين وهمزة الوصل والبسملة وصلة ميم الجمع وهاء الضمير فقال: (ثاني ننجي)

---

[1] ـ نفسه،114/2.
[2] ـ نفسه،114/2.
[3] ـ الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، 114/2.

يوسف والأنبياء يعني: أن النون الثانية من (ننجي) في يوسف والأنبياء، وذلك في قوله تعالى: (فننجي من نشاء) يوسف 110، و (وكذلك ننجي المومنين) (الأنبياء 88)، وما سواهما فثابت النونين، نحو (حقا علينا ننج المومنين) في يونس»[1].

ولا بأس بهذا الصدد أن نرى رأي الخراز ناظم مورد الظمآن في رسم القرآن بشرح المراغيني حول (ننجى) يوسف والأنبياء حين قال: والنون من (ننج) في الأنبياء كل وفي الصديق للإخفاء[2].

وقول الشارح «أخبر مع الإطلاق الذي يشير به إلى اتفاق شيوخ النقل عن كتاب المصاحف كلهم بحذف النون الثانية من (ننجى) في سورة الأنبياء وفي سورة الصديق يعني يوسف»[3].

ثم قال: وقد قرأهما الشامي يعني أبا عمرو وشعبة بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم، وأشار إليهما أي رفي (ننجى) في باب الإلحاق كما في النظم:

والحقن ألفي ادارأتم والياء من إيلافهم وترسم

ثاني ننجى بيوسف والأنبيا حمرَاء وأولا بباب حيي

ذكر الشارح هنا أن ستة حروف يلحق الحرف المحذوف منها بالحمراء: يعني بمداد مغاير للسواد اتفاقاً في أربعة منها، وهذه الحروف الستة التي حذف منها الألف (فادّارأتم) في البقرة وحذف الياء من (ايلفهم) قريش.

ومنها حذف النون في (ننجى) في يوسف والأنبياء وتكتب هذه في (ايلفهم) بلون مغاير لأنها ليست حرف مد بل أصلها همزة (ايلفهم) تكتب ملحقة بشطر قلم رقيق وكذلك

---

[1] ـ الدخيرة في شرح الرسم والضبط وجدولة المقرأ مع بعض الملاحقات وفقا لقراءة الإمام نافع، لابارس بن محمد بن لمرابط عبد الفتاح الشنقيطي الموريتاني، ص:98، ط 8، 2012

[2] ـ من مورد الظمآن في فني الرسم والضبط بشرح أحمد المراغيني التونسي تحت عنوان: دليل الحيران على مورد الظمآن في الرسم والضبط، ص: 92 عدم ذكر الطبعة سنة 2001.
والناظم ه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأمري الشريشي الشهير بالخراز، فذكر الشارح أن الخراز رحمه الله ممن أدرك آخر القرن السابع وبداية القرن الثامن للهجرة طبعا قال: ولم أقف على سنة ولادته ووفاته.

[3] ـ دليل الحيران في شرح مورد الظمآن، المراغيني، ص:92.

النون الثانية في (ننجى) تكتب بالحمراء سنّاً رقيقا بشطر القلم دليلا على وجودها مكتوبة في بعض المصاحف، انتهى كلام الشارح بتصرف.[1]

وأضاف موضحا «وقد قدم الناظم في الرسم حذف النون الثانية من (ننجى) في السورتين، وأمرك هنا بأنه تلحقها أي بين النون الكحلا والجيم بأن تجعل سنا (ا) بالحمراء فيها واصلا إلى البيض (ننجى) هذا هو الجاري على ما عليه المحققون من إيصال الملحق إلى السطر، والجاري على مختار اللبيب أن تجعل نونا معرقة فوق السطر (ننجى) مراء وبالأول جرى العمل»[2].

أما مؤلف المطرب شرح المعرب في الرسم الاصطلاحي للقرآن سب ما جرى به العمل في المغرب فيقول ناظمه وشارحه في الآن نفسه:

وحذفوا يا إلفهم من ألفا وثاني (ننجى) الأنبياء ويوسف

فقال على ما ذكره المراغيني في الدليل في هذا البيت حرفان:

إيلفهم تحذف الياء التي هي في محل الفاء منه

كما قال الشيخ إبراهيم في الدليل: «واو أصلها همزة فأبدلت لسكونها بعد همزة مكسورة»[3]، وأضاف «ننجى بنونين ثانيهما ساكنة حرفان لا نظير لهما»[4].

وكذلك (ننجى المومنين) الأنبياء 88 و (فننجى من نشاء) يوسف 110، وكتابتهما بالنونين حسب قراءة الجماعة، أما ابن عامر وشعبة فبالنون الواحدة، ثم لخص في هذا البيت الكلام السابق حول الإلحاق بقوله:

في كل جرى الإلحاق والسنُّ أشهر وقوم عرقوا[5]

---

[1]- دليل الحيران على مورد الظمآن، المراغيني، ص:254.
[2] - نفسه، ص:255.
[3] - المطرب في شرح المعرب في رسم القرآن الاصطلاحي للقرآن حسب ما جرى به العمل في المغرب، ص108.
[4] - نفسه، ص: 108.
[5] - المطرب شرح المعرب، ص: 108.

ثم علق الناظم والشارح على البيت حول (إيلفهم) أو (إ لفهم) حسب كتابة المشارقة بقوله: «أما الياء من إيلافهم فقد كان الأسلاف يلحقونها بلون مغاير وكنا نلحقها في الألواح (سنّاً) بظهر القلم لكن المصاحف المغربية تواطأت على عدم الإلحاق بما في ذلك المصحف الحسني ولا ينبغي، بينما لا زالت مصاحف المشارقة تلحقها ياء مردودة»[1] يعني هكذا (إ لفهم).

أما النون الثانية من (ننجى) فقال الناظم الشارح: «فلإلحاقها صفتان أن ترسم (سنًّا) (ننجى) لكن بشكل دقيق متقاطع مع السطر قليلا، وبهذا جرى العمل في المصاحف وفي الألواح، أو أن ترسم نونا صغيرة معرقة فوق السطر»[2]. يريد أنها ترسم هكذا (نـنجى) لكنه لم يفعل، وقال: «ولهذا أميل سواء في الياء أو النون يعني ياء (إيلافهم) والنون الثانية من (ننجى)، وهذه طريقة المشارقة اليوم وقد كان المغاربة من طبقة الداني يخيرون بين الصفتين حتى استقر العمل في المصاحف والألواح على إلحاقها (سِنًّا)»[3].

وعلى مستوى العمل في المصاحف المحمدية الآن في المغرب أنها أي نون (ننجى) تكتب ملحقة (سنّاً) في يوسف والأنبياء (ننجى)، وبعد فأقول إن في نفسي شيئا من (ننجى) كما قال القراء في شأن حتى.

وبعد ذكر هذه الجوانب المتعلقة بالاختلاف الوارد في قراءة (ننجى) يوسف والأنبياء وفي كتابتهما؛ وذلك لأن علماء الرسم والضبط أرادوا بذلك أن يوفقوا بين الخط الموجود في أحد المصاحف العثمانية ـالشامي ـ بنون واحدة وبين القراءة لفظاً بنونين في قراءة الجماعة[4] من غير ابن عامر وعاصم، لأن القراءتين كليهما سبعية متواترة، والقرآن ما هو معلوم أنزل على سبعة أحرف رحمة بالمسلمين، والمعنى في القراءتين لم يتغير، فاختلاف المعنى لا يعدو أن يكون بين الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول.

---

[1] ـ نفسه، ص:108.
[2] ـ نفسه، ص:108.
[3] ـ نفسه، ص:108.
[4] ـ يقصد بقراءة الجماعة هنا أغلبية القراء بمن فيهم نافع وتلميذه ورش.

وكما قال الفراء بدوره مشيرا إلى الكتابة ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنبياء، وكتابتها بنون واحدة، وذلك أن النون الأولى متحركة والثانية ساكنة، فلا تظهر الساكنة على اللسان فلما خفيت حذفت[1]، أما في حرف يوسف فيقول أبو زكرياء أيضا ﴿فَنجي مَن نَّشَاءُ﴾ القراءة بنونين والكتاب بنون واحدة[2].

والمقصود بهذا النقل عن الإمام الراء أن الإشكال في الحرفين متعلق باختلاف الكتابة في المصاحف العثمانية مع قراءة الجماعة بنونين. وبعد الإشارة إلى اختلاف القراءة والكتابة في الحرفين بعد الإشارة إلى توجيه القراءتين انتقل إلى:

مستوى التعليل:

وليس المقصود بالتعليل بالتعليل، علل أوجه القراءات عند علماء توجيه القراءات كما سبق أن أشرت إلى نماذج من تعليل الفارسي ومكي بن أبي طالب في توجيه القراءات المتواترة بذكر العلة التي اعتمد عليها القارئ حتى اختار هذا الوجه أو ذاك، بذكر السبب كقراءة الجماعة أو إيعاز الوجه إلى لغة قوم أو قبيلة.

ولكنني أعني بالتعليل المتعلق بالرسم في الكلمة القرآنية التي يخالف رسمها الإملاء العادي للغة العرب، وهو ما يصطلح عليه بالرسم الاصطلاحي عكس القياسي أو ما أسماه العلماء في كتب القراءات بمرسوم الخط، وقد أشرت إلى نماذج من هذا التعليل حول بعض الحروف التي خالف رسمها في المصحف كتابة الكلمة بالهجاء المعهود للغة العربية ومنها على الخصوص:

(الملؤا) حيث كتبت الهمزة فوق الواو بدل (الملأ) في الكتابة العادية، وحرف (الميعاد) أو (الميعـــد) وحرف (لكي لا) و (لكيلا)، ذاكرا ما استخلصه علماؤنا من أسرار ربانية تتعلق بكتابة هذه الأحرف بطريقة تخالف الإملاء العادي للخط العربي،

[1] ـ معاني القرآن، تأليف أبي زكرياء الفراء (ت 207 هـ) تحقيق الأستاذ محمد على النجار،، 210/2، الدار المصرية لتأليف والنشر.
[2] ـ نفسه، 56/2.

وهو ما ينسبه بعض الناس إلى الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، ولكن هذه النسبة من كون لجنة كتابة المصحف بإشراف من الخليفة الثالث باعتباره الآمر بتكوين هذه اللجنة حتى قيل: الرسم العثماني، أما في الحقيقة فالمصحف كتبه الصحابة بإيعاز من عثمان رضي الله عنهم جميعا، أعني الصحابة الذين كانوا تلقوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوا في حياته في الوسائل المعهودة، وبقي القرآن مكتوبا إلى أن طلب عثمان من حفصة بن عمر رضي الله عنهما أن تضع هذه الصحف التي كتبت في عهد رسول الله رهن إشارة الصحابة كتبة المصحف العثماني.

وهنا لا أريد أن أبخس حق حرف (ننج) في البحث عن علة كتابته وقراءته كسائر الحروف التي أشرت إلى بعضها، وإن كان العلماء الذين بحثوا في علة بعض الحروف واستنطقوا شكل رسمها مباح لهم بأسرار ربانية كامنة، لم يشيروا في مؤلفاتهم إلى حرف (ننج) إلا قليل منهم، وهنا سأكتفي بما عثرت عليه من هذا القبيل.

ومن المعاصرين في سلسلة "أفلا يتدبرون القرآن، موسوعة الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم" يقول مؤلف الكتاب[1] مشيرا إلى حرف (ننجى) في سورة يوسف ويونس بقوله «وإن كنت أرى أن سياق الماضي ويناسبه بالفعل قراءة (نجى)، فعل ماض خاص بيوسف، ومن مضى بخلاف سياق الآيات في قصة يونس، فالله عز وجل نجى يونس بذكره لله وقال بعدها (وكذلك ننجي المومنين) أي في المستقبل وفي كل زمان، فيناسبها قراءة (ننجى) بنونين التي تتحدث عن المستقبل، والعجيب أنها كتبت بنون فوقها نون أخرى لتشير إلى هذه المعاني»[2].

غير أن الكاتب اختلط عليه (ننجى) في الأنبياء مع (ننج) في يونس، وحرف يوسف والأنبياء هما اللذان كثر الحديث عنهما.

أما (ننج) في يونس فكتب بدون ياء (ننج) مخالف لقواعد اللغة، حيث لم يدخل على الفعل حرف جزم، ولم يقع جوابا للشرط أو فعلا له، وإنما حذف الياء كسائر المحذوفات

[1] ـ سامح القليني.
[2] ـ الجلال والجمال، سامح القليني، 699/2، الكبعة الرابعة، 2011 القاهرة.

من الواو والياء التي فسرها علماء الرسم، وتعليله بعلة سرعة الاستجابة كواو (سندع الزبانية) في العلق، و(يمح الله الباطل)، وكذا (ننج) في يونس، عللوا كذلك حذف الياء والواو بدون فاصل بين الإنجاء والمومنين، وذلك بتحقق الاستجابة المباشرة، وكذلك في حذف (واو) سندع الزبانية للإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وشدة البطش والله أعلم[1].

أما حذف النون في (ننجى) فيقول شملول «حذفت النون من أول كلمتي (فنجى من نشاء) يوسف 110، (وكذلك نـــجى المومنين) الأنبياء والحذف يوحى بالسرعة»[2]

ومن الباحثين المعاصرين أيضا ما ذكره الباحث محمد وسيم البكري في كتابه: " أسرار الرسم القرآني" فيما يتعلق بأحوال (ننجى) في يوسف والأنبياء، وما توصل إليه الباحث حول تتبعه لبعض حروف القرآن الكريم التي يخالف رسمها الإملاء القياسي وبصدد (ننجى) يقول الباحث: «قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس 103، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم 72، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنبياء 88».

فقد جمع الكاتب أو الباحث كلمات (ننجى) في يونس ومريم والأنبياء مع أن جميع الباحثين في الموضوع لا يشيرون إلى (ننج) في مريم مريم، ولكنه أبى إلا أن يقارنه أي حرف (مريم) الذي كتب عاديا بحرفي الأنبياء ويونس اللذين دار الحديث حولهما بسبب حذف ياء (ننج) في يونس وحذف نون (نـــجي) الأنبياء، حيث طرح الباحث السؤال ليجيب عنه بقوله: «والسؤال: ما توجيه ورود كلمة (ننج) بنوين دون ياء في يونس،

[1] - إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، ص33، نقلا عن السيوطي وابن البناء سبق أن أشرت إلى ذلك أثناء البحث في الموضوع.
[2] - إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، ص: 35، ط 3 القاهرة، 2010.

وبنونين وياء في مريم، وبنون واحدة فوقها نون منفصلة عن الكلمة مع ياء في آخرها في الأنبياء (نـــــجى)»[1].

ثم أجاب الباحث عن هذا التساؤل العريض بقوله: «الجواب عن ذلك في وجوه: الأول وردت مادة (نجو) في القرآن الكريم أربعا وثمانين مرة»[2].

ووضع الجانب اللغوي في مادة (نجو) مستشهدا بما ذكره ابن فارس في معجم مقاييس اللغة بقوله: قال ابن فارس: (نجو) النون والجيم والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما على كشط وكشف والآخر على ستر وإخفاء؛ فالأول: نجوت الجلد أنجوه إذا كشطته، ونجا الإنسان ينجو نجاة[3].

وأضاف يقول بتصرف: «آية سورة يونس وردت في سياق آيات تتحدث عن الأمم التي أهلكت بسبب عدم إيمانها بالله وتكذيب رسله، غير أن الباحث ربما أغفل أن قاعدة حذف الياء في (ننج) يونس لم تكن مطردة في حذف ياء آخر الفعل إذا وليه همزة الوصل، إذ قال: وحذفت الياء من كلمة ننج لالتقاء الساكنين (ياء) (ننج) ساكنة وهمزة وصل في كلمة (المومنين) ساكنة أيضا فالفعلين (ننج) و(ننجى) على حالهما»[4].

وأقول فكم فعل معتل في القرآن لم تحذف ياؤه بسبب التقاء الساكنين، إذ لم يكن مجزوما وكذلك (ياء) في الاسم المنقوص: إذا وليتهما همزة وصل إلا ما كان منصوص عليه في كتب تعليل الرسم القرآني، أشار إليها مؤلفو هذه الكتب، وفي مقدمتهم ابن البناء المراكشي وغيره، يقول المراكشي في كتابه المعهود فصل في الياء الناقصة في الخط، واكتفى بذكر بعض الأمثلة فقط: بالنسبة لحذف الياء بدون سبب لغوي في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء 145، وذكر في تعليل ذلك رابطا بسياق الآيات وذلك بقوله:﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ الزخرف 71، وقد ابتدأ ذلك

[1] ـ أسرار الرسم القرآني ، محمد وسيم البكري، ص: 268، الطبعة الأولى الأردن 2016.
[2] ـ نفسه، ص: 268.
[3] ـ أسرار الرسم القرآني، محمد وسيم البكري، ص:268.
[4] ـ نفسه، ص: 268.

لهم في الدنيا متصلا بالآخرة كذلك إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1].

وقد مهد لذكر علة حذف هذه الياء بأسلوبه الفلسفي المعهود «وقال كانت الياء ـ لام ـ الكلمة في الفعل وفي الاسم، فإنها تسقط حيث يكون معنى الكلمة يعتبر من مبدئه الظاهر شيئا بعد شيء، إلى ملكوته الباطن إلى ما لا يدرك منه إلا إيمانا وتسليما فيكون حذف الياء منبها على ذلك، وأنه لم يكمل اعتباره في الظاهر من ذلك الخطاب بحسب غرض الخطاب مثل: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء 145، وفي حذف الياء من الاسم في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ الصافات 163».

قال الشيخ في تعليله: «حذفت الياء لأنه من الاستدلال عليه بأسباب ذلك وهو أتباعه للفتنة إلى حيث لا نهاية لعذابه»[2].

وقد علل الشيخ هذه الانفصال بحذف ياء الفعل أو الاسم بدون مسوغ لغوي في القرآن الكريم إلى أسباب باطنية تفيد الاتصال المعنوي دون اللفظ أو الخط، فقال: «ومن أجل هذه المعاني في هذه الكلمات حذفت لاماتها وأوصلت بما أضيفت إليه أو وصفت به في اللفظ وإن كان منفصلا في العلم والخط، فإن الانفصال يؤول إلى الاتصال، وكل مفترق يعود إلى اجتماع وذلك من آية الحشر والنشر»[3].

وبعد هذه الإشارة إلى أن حذف الياء في الفعل المعتل والاسم المنقوص، لم يرجع إلى التقاء الساكنين كما أشار الكاتب واضطررت للإتيان بأمثاله من الياءات المحذوفة المنصوص عليها في القرآن الكريم عند أهل الاختصاص الذين لم يذكروا سبب الحذف في التقاء الساكنين، وإنما لاعتبارات معنوية باطنية في فهم القرآن الكريم عن طريق رسمه، كما ذكروا ذلك في حذف الواو في (يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) الشورى 22، و (سندع

[1] ـ عنوان الدليل في مرسوم التنزيل، ابن البناء المراكشي، ص:103/102.
[2] ـ عنوان الدليل، ابن البناء، ص: 105.
[3] ـ نفسه، ص: 105.

الزبانية) العلق 18، و (يوم يدع الداع) القمر 6 وحال (ننج المومنين) في يونس، كل هذا الحذف بسبب سرعة الإجابة وذلك بحذف الفاصل، قال في إعجاز رسم القرآن: «وأنما (يدع الداع) فللإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة المدعوين، أما (سندع الزبانية) فللإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وشدة البطش والله أعلم»[1].

وأرجع إلى تتمة تعليل محمد وسيم البكري في (نـــجى) الأنبياء 88 قوله: «أما قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقال فموضوعها هو يونس عليه السلام وقد ذكرته الآية قبلها: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء 87.

قال والآيتان تتحدثان عن يونس عليه السلام فهو فرد واحد: فجاء فعل (نـــجى) على هذه الهيئة لأمور ثلاثة:

أولها: وجود النون المنفصلة فوق الأولى: وهو إشارة إلى أن الأصل في هذا الفعل أن يكون بنونين (ننجى)، النون الأولى للمضارعة مثل نضرب والثانية نون الفعل الأصلية في الجدر، وهذا الفعل مبني للمعلوم وليس مبنيا للمجهول

وثالثها: وهي أقيد إشارة إلى إبعاد النون وهو (الحوت) عن يونس أو نزع يونس عليه السلام من بطن الحوت فكان الفعل (نـــجى) المومنين بهذه الهيئة يقول: نزع إحدى النونين منه يقابله نزع يونس عليه السلام من بطن الحوت ونجاته منه»[2].

قال والخلاصة: «ورود الفعل (نـــجى) المومنين في آية الأنبياء يشير إلى أن الناجي فرد واحد وان خروج يونس عليه السلام من بطن الحوت يستحق إبعاد نون من الفعل (ننجى) فكتب هكذا بنون معرقة فوق السطر بعيدة عنه كما ابتعد يونس عن بطن

[1] ـ إعجاز رسم القرآن، محمد سملول، ص:33.
[2] ـ نفسه ، ص:270.

الحوت»[1] وهو اجتهاد مقبول من الباحث حسب اجتهادات العلماء في أسرار رسم القرآن على مر العصور.

ومن أجل اطمئنان القراء عندنا في المغرب أنهم يقرؤون مع الجماعة في الأمصار بنونين في (ننجى) في كل من يوسف والأنبياء، هذه القراءة التي شهد لها شيخ القراء والمفسرين الإمام الطبري بالصواب بقوله: «قال أبو جعفر والصواب من القراءة التي لا استجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار من قراءته بنونين وتخفيف الجيم لإجماع الحجة من القراء عليه وتخطئتها خلافه»[2].

وليس معنى أن قراءة (نجى) بنون واحدة قراءة شاذة، بل هي قراءة متواترة سبعية قرأ بها أحد القراء السبعة، وإنما الجماع على القراءة بنونين، والقرآن أنزل على سبعة أحرف تيسيرا للأمة.

ولا بأس أن أذيل بحث موضوع (ننجى) بما أملته العبقرية المغربية في خدمة القرآن الكريم ورسمه تعليما وإرشادا للمبتدئين بما نظمه فقهاؤنا من "أنصاص" للاستعانة بها في ترسيخ كيفية رسم الكلمة القرآنية، ومن ذلك ما لا يزال عالقا بالذاكرة من أثار مدرسة سيدي الزوين بحوز مراكش:

ومخفي تامنـــــــنا وننجى قد حذف وفي سننظر وننصر اختلف

يعني صاحب النص الذي كتبه لي شيخي سيدي علال العشراوي رحمه الله أسفل اللوح وقد حفظه هو أيضا عن شيخ له رحم الله الجميع: إن نون (تامنـــــــنا) في يوسف ونون (ننجى) في يوسف والأنبياء قد حذف ويقرأ بالإخفاء ويكتب نونا ملحقة (بالسّن) نون بارزة السن فوق السطر ( ) (تامنـــــــــنا).

وعثرت على نص آخر في كراس أحد الفقهاء مضيفا ما يتعلق بالإلحاق في النون وكيفية كتابة ذلك في الحرفين وذلك بقوله:

---

[1] ـ أسرار الرسم القرآني، ص:270.

[2] ـ تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ج 17 ص: 88، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310 هـ تحقيق: هاني الحج،عماد زكي البارودي و خيرى سعيد ، المكتبة التوفيقية.

ومخفي تامنـــــنا وننجي قد حذف وفي سننظر وننصر اختلف

فكتب بعد هذا "النص" يبين نسبتهما للقيسي:

وصفة الإلحاق هل تعريـــــق أو توصل رأســـًا فحقيـــــــــق

أو يك ضرسا واقفا لا يوصل بالسطر هذا مشكل عنه أَسئل

ونحترم وضع الكلمات كما ورد في "النص" من قبل النحو أو الإملاء، فالضرس في البيت ربما أراد به (السن)، لأن شكل نون الإلحاق عند أهل الضبط يطلقون عليه (السن) والتي جمعها أسنان لشبه هذه النون البارزة فوق السطر بسن وليس بضرس نظرا لرقتها (ننـــجى) وهناك من يقول بكتابة هذا الإلحاق في النون (ننجى) و(ياء) الأول في حيى كما في هذا "النص":

ثاني (ننجى) يوسف والأنبيا حمرا وَاوَّلاَ باب حيى

وفي كتابة الأنصاص القرآنية أتى الدكتور العروسي بنص من بيتين حول (تامنـــــنا) و (ننجى) يوسف والأنبياء:

وتامنـــــنا احذف أوله يا عريف واسقط شكله تصف وكن متأملا

وننجى هما اثنان وحذف الأخيران أتيتني ذا النون فخذهم مكملا

رغم أن النص أدى دوره في كتابة الحرفين، غير أن نظمه ركيك، خال من إيقاع الأنصاص المغربية حتى التي كتبت بالعامية، سواء منها ما كان منظوما على بحر الرجز أو الطويل.

وعلى ذكر نماذج من "الأنصاص" التي استشهدنا به مرارا على رسم بعض الكلمة القرآنية حفاظا على أدائها كتابة ونطقاً، يجمل بي أن أفي بالوعد وأذيل هذا البحث المتواضع الذي كان الحافز منه المساهمة في إحياء المدرسة المغربية، والتذكير بأمجادها في الدراسات القرآنية في جانبها المتعلق بالحفاظ على رسم القرآن، الميدان الذي أولوه

عناية فائقة منذ القرون الأولى من عهدهم بالقرآن لما اخترعوا ظاهرة "الأنصاص"، كقواعد تعنى برسم القرآن وترتيب آياته كما كانت مكتوبة في مصحف الصحابة الذي أشرف على إنجازه الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

وسيكون هذا التذييل مناسبة لعرض نماذج من الوسائل التي اعتمد عليها المغاربة في ترسيخ حفظ القرآن وكتابته ومن هذه الوسائل التي سأعرضها تحت عنوان:

"الذيل والتكملة"

ـ الأنصاص

ـ بعيد

ـ الحَطية أو الوزن

ـ والسطر الأعلى

وأعتذر لمؤلف[1] "الذيل والتكملة" لاستعارة هذا العنوان ليكون تذكرة لما سبق بحثه في هذا البحث المتواضع، وربما لأستدرك بعض الجزئيات الخاصة بالرسم القرآني حسب ما تجود به الذاكرة، وما نجا من محو السنين والنسيان، والعنوان مناسب أيضا لهذه المرحلة من البحث كخلاصة وتعليق، وأقول وبتوفيق من الله لمعالجة هذه العناوين الجزئية التي فرضتها طبيعة موضوع رسم القرآن الكريم، وأبدأ بالأنصاص.

"الأنصاص" جمع "نص" وكما سبقت الإشارة إلى تعريفها في الفصول السابقة أنها اختراع مغربي بامتياز، كان الهدف من نظمها وحفظها الاستعانة بها لخدمة النص القرآني أداء ورسما (كتابة)وتتابعا، ومن أجل أن تؤدي هذا الغرض وتحقق الهدف الذي نظمت من أجله، استقلت بلغة خاصة تخاطب الصبيان واليافعين والشباب غير المتضلعين في قواعد اللغة العربية صرفا ونحوا، ولأن ناظميها كانوا أيضا كذلك، ولهم الفضل في ذلك سواء السابقون منهم والمتأخرون بإسهامهم في تذليل الصعاب أمام

[1] ـ هو محمد بن عبد العالي حول كتاب "الصلة" لابن بشكوال

المتعلمين، فلهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة على السواء، فمعرفة النص القرآني واجب، وكل ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب كما يقول الفقهاء، وعن هذا المنطلق يكون كم الشرع ـ هنا ـ حاضرا كما يقول علماؤنا في ذكر المبادئ العشرة الخاصة بكل علم وفن:

إن مبادئ كل فن عشـــــــرة الحد والموضـــــــــــوع ثم الثمــرة

ونسبة وفضله والواضـــــــــع والاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشــرف

فائدة الرسم القرآني انطلاقا من هذه المبادئ العشرة التي حصر فيها العلماء الأغراض والفوائد المرجوة من أي فن وعلم، وما هي فائدته التي من الممكن أن تفيدنا إذا عرضناها على محك العلم الشرعي، وهنا أخلص إلى الفائدة من الرسم القرآني.

فائدة الرسم القرآني والهدف من المحافظة عليه

أولا: شرط في صحة القراءات:

باعتباره ركنا ثالثا من أركان صحة القراءة إلى جانب الركنين الآخرين: موافقتها للغة العربية ولو بوجه وصحة سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وبحكم اهتمام المغاربة بالقرآن الكريم وشغفهم بحبه وحفظه في صدورهم منذ تلقوه على الفاتحين الأوائل في النصف الثاني من القرن الأول الهجري كما أشرنا إلى ذلك غير ما مرة في هذا البحث المتواضع، أضف إلى ذلك أن بعض العلماء الذين ساهموا في ترسيخ العلوم الضرورية لإقامة الدين والتي يعتبر القرآن الكريم عمودها الأساس، إلى جانب الحديث النبوي والفقه المالكي وعلوم القرآن التي أخذها علماء الغرب الإسلامي

مباشرة عن أئمتها المؤسسين، فهذا الغازي ابن قيس الذي درس على كل من نافع قارئ المدينة ومالك بن أنس إمام دار الهجرة في الفقه كذلك.

والذي يهمنا هنا هو علاقة هؤلاء العلماء الأوائل برسم القرآن، والإمام الداني (ت 444هـ) في كتابه "المقنع في مرسوم مصاحف أهل الأمصار" ينقل عن كثير من هؤلاء الأعلام الأوائل، وتبين أنهم بدورهم اعتنوا برسم القرآن، ذلك ما أبان عنه محقق كتاب المقنع للداني بقوله متحدثا عن الإمام الداني أنه «لم يصرح الإمام الداني بمصادر مكتوبة في كتابين فإنه صرح باسميهما وهما هجاء السنة للغازي ابن قيس، وهجاء المصاحف لمحمد بن عيسى»[1].

وزاد الباحث توضيحا يفيد اهتمام الغازي بن قيس (ت199 ه) برسم القرآن في هذا الكتاب "هجاء السنة" إذ قال وهو يتحدث عن هذا الكتاب لابن قيس: «وهو من الكتب المهمة جدا والقديمة والأصيلة في علم رسم المصاحف ومؤلفه قد كتب مصحفا نقله عن مصحف الإمام نافع وعارضه به 13 مرة، اهتماما منه بكيفية الرسم للكلمات القرآنية وشدة ضبطه لها واجتهاده فيها»[2].

والغرض من هذا النقل أن المغاربة لما أدركتهم حرفة "الأنصاص" لم يكن بدعا، فقد تلقوا معرفة الرسم القرآني منذ الفتح وتدرجوا في هذا الفن من الكتب التي ألفت فيه والمنظومات الخاصة بالرسم كالشاطبية، والعقيلية، والحصرية، والمورد، وعملة البيان، وفتح المنان، إلى أن انتقل نظم الأنصاص كفن خاص ينظم الناظم القاعدة في بيت أو بيتين أو ثلاثة حسب نوعية الكلمة أو الكلمات التي يريد توضيحها للمبتدئ، باللغة التي يسهل عليه فهمها مباشرة، وقد أشرت في مكان من هذا البحث إلى أن الأنصاص القرآنية يرجع تاريخها إلى زمن بعيد عند علماء الأندلس قبل الداني (ت 444ه) وبعده.

[1]- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار، لأبي عمرو الداني، 118/1

[2] - نفسه، 118/1-119.

ولا يزال أثر الداني باديا في الجدر المعرفي لهؤلاء الناظمين للأنصاص من مثل قول أحدهم:

ويحيى ويستحيي ولي وشبهه بعقص ووقص قال الداني وغيره

إذا فالأنصاص القرآنية ثمرة تعاطي المغاربة لعلوم القرآن بصفة عامة وعلم الرسم بصفة خاصة، يستندون من محبرة الداني والخراز وابن بري وميمون الفخار وابن القاضي وغيرهم، إلى ـ أعجلي ـ وعمر بوعسرية وابن البهلول وغيرهم في "جبالة" والريف وتفيلالت وغيرها من مناطق المغرب، وهذه الأنصاص في غالبيتها السحيقة مجهولة القائل والناظم، وسأكتفي بذكر نماذج منها فقط نفسح المجال لإضافة وسائل أخرى غير الأنصاص المستخدمة في ترسيخ القرآن ورسمه عند المبتدئين.

الأنصاص: وأبدأ بأنصاص متعلقة بصور الهمز في بعض الكلمات، سواء همزة نقل أو وصل أو قطع أو ألفات بصفة عامة، وهي حروف يجد الطلبة صعوبة في معرفة كتابتها في الكلمة، وهذه الأنصاص تصورها للطالب ليتمكن من معرفة كتابة الكلمة دون أن يتيه في سببها وعللها النحوية والصرفية، لأنه ليس بعدُ أهلاً لبحث هذه العلل، كقول الناظم:

ياغادي للغرب ولمكناس بلغ سلامنا لأهل فاس

وقل لهم ملْأيــــه قد حولت همزته تحت ياء طرحت

ودارة فوق ألف اللام وجدتها في الصحرا خذ نظامي

أشار صاحب هذا النص ورأيت في بعض المصادر أنه فلالي، مذكرا طلبة جهات أخرى في المغرب بكتابة (ملْأيــــه) صحيحة لأن بعضض المصاحف المشرقية يكتبونها الحرف بالهمزة فوق السطر (ملائه)، والمغاربة يكتبون الحرف كما قال الناظم صاحب النص، ولأن نطق بعض القراءات السبعية أيضا تشير إلى قراءة هذا الحرف بالياء نطقا وهي لغة قوم، وهكذا يكتب المغاربة حرف (ملْأيــــه) بهمزة تحت السطر بين

نقطتين وسكون فوق ألف اللام، وعن كتابة الهمزة مرة وسط الألف ومرة فوق الواو في حالة الأولى يقول صاحب النص:

يا سائلا عن ألف مرسومة وهمزة في وسطها معلومة

أولهم ففي النساء (يستهزأُ) ويوسف وزمر تبوأُ

وظمأٌ ونبأُ في التوبة ومثلها لتَنُوأُ بالعصبة

وتوجد حالة أخرى تكتب فيها الهمزة فوق الألف كما قال صاحب النص:

يا طالبا يقرأ ويبغي الفائدة أن تبوأ بالألف في المائدة

وتوجد حالتان أخريان لوضع الهمزة في الكلمات، الحالة الأولى في السطر كما في الكلمات الآتية كما قال صاحب النص:

شيء دفء جزء[1] السوء والمرء كذا ملء الخبء سبعة فالسطر خذا

والحالة الثانية فوق الواو كما في النص:

يكلؤكم يذرؤكم بالواو تؤزهم يبنؤم قال الراوي

يضاف إلى ذلك(الملؤا) حيث كتبت همزته فوق الواو وذلك في أربع مواضع كما قال صاحب النص:

الملؤا بالهمز فوق الواو أربعة فخذهم قال الراوي

ثلاثة في النمل بالصحيح وواحد في أول الفلاح

وكتابة همزة (الملؤا) فوق الواو أثار انتباه بعض العلماء الذين وهبهم الله سر كتابة بعض الحروف في القرآن الكريم بطريقة تخالف الرسم القياسي منها هذه الأحرف

[1] ـ في حالة إذا كان جزء بالضم، أما في حال النصب فتكون التنوين على الألف كما جاء في البقرة 260 (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا)، والزخرف 15 (وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا)، وكذلك العمل في (شيء) تكون همزته في السطر في حالة الكسر والضم في حالة النصب فتكون التنوين على الألف (شيئاً).

(الملؤا) في المواضع المشار إليها في النص، فكل من سورة (المومنون)، وهذا هو المقصود بالفلاح مأخوذ من (قد أفلح المومنون)، الآية التي استهلت بها السورة، وثلاثة من هذا (الملؤا) في سورة النمل، فقد علل العلماء وجود هذا الهمز راكبا على الواو عكس همز (الملؤا) الذي كتب فوق "لام ألف"، يكون هذا (الملؤا) أي حاشية بلقيس ملكة سبأ، المكونة من كبار القوم الذين استشارتهم في أمر نبي الله سليمان فكان هذا الملأ ذا قيمة وحاشيتها، ولذا عضدت الهمزة[1] وكتبت فوق الواو، والزيادة في المبنى يوذن بالزيادة في المعنى كما يقال، وقد أشرت إلى بعض هذه الحروف في هذا البحث بالإشارة إلى تعليل كتابتها بطريقة تخالف الرسم القياسي حسب سياقات دعت إلى ذكر بعضها كذكر (لكي لا) و(لكيلا)، وعلة فصل الأولى واتصال الثانية كما في النصين من حيث الرسم:

فصل (لكي لا) قطعت في النحل وأول الأحزاب ثم الحشر

وفي حال الاتصال يوجد الحرف في هذه المواضع كما في النص:

ليلا بالاتصال دالٌ عددهم تصعدون والحج ناكتم ألم يان

والدال يرمز إلى العدد (4) عند أهل هذا الفن حسب حساب الجمل : (أبجد هوز).

وقد أشرت بالتفصيل إلى علة الاتصال والانفصال في هذه الحروف حسب ما ذكره علماء الفن في هذا الباب، وأسوق حال حرف الأحزاب زيادة في الإيضاح (ولكي) حرف نصب وتعليل تنصب المضارع مباشرة، وكونها كتبت منفصلة عن حرف نفي (لا) في سورة الأحزاب لفصل الحم السابق عن اللاحق حين أجاز الله تعالى زواج الآباء بزوجات أبنائهم من التبني إذا طلقوهن وقضوا منهن وطرا، كال النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنه بالتبني زيد بن حارثة، في قصة زينب بنت جحش ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا

[1] ـ سبق أن أشرت إلى هذا فيما تقدم عن هذا البحث ولكن السياق أحيانا يفرض علي التكرار.

وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[1] وذلك للجواز ورفع الحرج بالنسبة للآباء والأبناء بالتبني خاصة[2].

سقت هذا الحديث من أجل التنبيه إلى الاهتمام بالرسم القرآني ودوره في فهم القرآن الكريم، ولأن القرآن ورسمه كل لا يتجزأ، وما دمنا في همزة القطع وأحوال وضعها ضمن الكلمة القرآنية كما رأينا انتقل إلى همزة النقل والوصل.

همزة النقل والوصل

والهمز بصفة عامة من الحروف التي لها وجود فعلي في رسم القرآن وضبطه، باعتبار الهمز حرفا ملفوظاً منطوقا، لأن القراءة هي الموضحة للكتابة والقراءة، والكتابة يكمل بعضهما البعض في تثبيت الحرف القرآني باعتماد الكتاب كما ينص القدماء، يعنون بذلك كيف كتبت الكلمة في أحد المصاحف العثمانية، هذه الكتابة التي يقابلونها بالقراءة الصحيحة التي صح سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي رواها عنه الصحابة، خاصة كتاب الوحي الذين يتحرون نسبة القراءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بتقصي الرواية النبوية لمقارنتها بما في الصحف التي كتبت في عهده صلى الله عليه وسلم، والهمز أو النبر موضوع شائك في اختلافات أهل الأداء، يرجع إلى اختلاف نطق القبائل العربية بالهمز بين التسهيل والتحقيق، وأترك هذا الموضوع جانبا إلى حين، لكي لا نخرج عن خطة البحث، وأرجع إلى همزة النقل أو همزة الوصل.

همزة النقل أصلها همزة قطع في القراءات التي فيها يسر في الأداء، وقراءة أهل المدينة سنة، كما قال مالك رواية ورش عن نافع الذي يقرأ بقراءة أهل المدينة، حيث ينقل ورش كل همز قطع إلى همز نقل، إذا ولى هذا الهمز حرف ساكن لسهولة النطق مع الاحتفاظ بالمعنى.

---

[1] ـ الأحزاب، 37

[2] ـ أما حكم زوجات أبناء الصلب فالتحريم جاء ذلك في الآية: (وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ) النساء، 23.

كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ فأصل الواو هنا ساكن بالسكون الظاهر، ولكن مجاورة هذا الواو الساكن لهمزة قطع بعده، نقلت حركة الهمز إلى الأحرف الصحيح قبله، فانكسرت الواو والألف، أو إلى همزة القطع في الأصل ولكنها نقلت إلى همزة النقل، ويكتب هذا الألف فوقه وصلة أو شرطة أو تحته أو وسطه حسب ضبط الحرف الذي يليه من الضم أو الكسر أو الفتح، وهذا الهمز المرسوم بالنقل لا ينقط من الفوق أو الأسفل أو الوسط، ومن أمثلة ذلك التي نص عليها المغاربة في أنصاصهم، قول بعضهم:

يا سائـــــــــــــــلا عن ألف للنقـــــــــل لكنهـــــا مشبهة للوصـــــــــــل[1]

وهي: أو اِصلـــحٍ قل اِصلاحٌ عُلِمَ من اِفكهم من غِلِّ اِخوانا حُتِـــــمْ

أو اِثماً أوِ اِعراضاً من اِمـــــــــــلاق شيئاً اِدّاً كذا من اِستبـــــــــــــــرق

شيئاً اِمراً فان بغـــــت اِحدايهمـــــا قل اِن تخفوا مع قالت اِحداهما

من اِحدى الأمم مَنِ اِن تامنـــــــــه أو اِطعام أتى بالنقل عنـــــــــــــه

واذكر اِسماعيل عن اِبراهيـــــــــــم أو اِخوانهـــــــــــن أو اِخوانهـــــــــم

وزد علـــــى هذا الحساب اثنـــــــــــان يكسب اِثمـــــــا أو إن يـــــشا يان

[1] ـ نقلا عن كتاب تمهيد الطريق إلى معرفة الأنصاص القرآنية بالتعليم العتيق: الرسم والضبط، العدد الأول، ص:33 بالإضافة إلى كراس قديم يأخذ من مشاييخ الكتاتيب.

ولكن اَعبدُ بنقل الألف ودالله معرق خذ واعرف

هذه الألفات كلها أصلها قطعية (إ) فنقلت إلى نقلية، والاكتفاء بشرطة أو وَصلة "من تحت" من حيث الكتابة ودون إظهارها صوتا كذلك في النطق تخفيفا بعدم تحقيق الهم، الذي يخرج من الجوف بمشقة، وقد جمع صاحب هذا النظم بعض الأمثلة من القرآن الكريم إرشاداً للمتعلمين والصبيان الذين لا يعرفون قواعد اللغة والضبط للتفريق بين همزة القطع وألف النقل وألف الوصل، وإنما قام بنقل هذه الكلمات كما يكتبها الحفاظ في المصاحف والألواح تسهيلا على المتعلمين وإعانتهم على معرفة رسم القرآن بجزئياته.

وهمزة القطع هكذا: إ ـ أَ ـ اءُ

وهمزة النقل: اِ ـ اَ ـ ا .

وهمزة الوصل: اَ ـ ا ـ ا

همزة الوصل:

وهمزة وصل هو الحرف الذي يتوصل به إلى النطق بالساكن في بدء الكلام، كما هو الأمر عند علماء الصرف والنحو، وتسقط في درج الكلام وخير مثال للدرج والابتداء في قوله تعالى:

﴿نَسْتَعِينُ اهْدِنَا﴾ الفاتحة ، فإذا وقفنا على نستعين واستأنفنا القراءة ب (اهدنا) ، فإننا ننطق همزة (اهدنا) بكسر الهمزة لتوصل إلى النطق بالساكن في اهدنا، وأما إذا وصلنا نستعين، ولم نقف عليها فإننا نقرأ ودرج ضمة النون مع همزة اهدنا بالضم دون إظهار ضمة الهمزة، ولذا قالوا عنها إنها تسقط في درج الكلام.

وتنقط همزة الوصل في كل (ال) الشمسية والقمرية في القرآن من الفوق كما في المثالين: (الصراط اَلمستقيم)، وفي (ال) الموصولية كما في (اَلذين) ، و(ال) العهدية كما

في (وعصى فرعون الرسول)، إلا أن يكون الألف واللام أصلين في الكلمة سواء كانت فعلا أو إسماً، فتكون الهمزة نقلية ما في (عذابٌ اَليم) أو وصلية كما في (فئتين اِلتقتا) وهنا يسقط المتعلم المبتدئ في فخ كل ألف مجاور للام (ال) ينقط الألف من الفوق، فالألف واللام أصلين في الفعل (اَلتقى الجمعانِ) .

وفي الاسم (من اَلف شهرٍ)، ولذا ينقط ألف (اَلتقى) من الأسفل، و (من أل شهر لا ينقط) لأنه نقلي، يجد المتعلمون عناء فيما يتعلق في الفرق بين الألف الوصلي والنقلي بسبب عدم معرفتهم بأصول اللغة العربية، يفصل في ذلك بواسطة معرفة الفعل الخماسي والسادسي ومصادرهما، وكذلك الفعل الثلاثي ومصادره، وأمر الجميع حيث يبدأ بنطق هذه الحالات بهمزة الوصل، وكذلك الفرق بين الاسم والفعل.

ويعتمد المتعلمون فقط في هذه المرحلة على تصوير الكلمة كما كتبت في اللوح، أو عن طريق معرفة بعض الأنصاص التي تساعد على حفظ مرسوم الكلمات القرآنية كما في هذا النص الذي يوضح صورة همزة لكل من (أنَ اَرضعيه) و (ان اِقذِفيه) بين النقل في (ان اَرضعيه) والوصل في (أن اِقذفيه)

يا سائلا كيف تضبط أن اَرضعيه فانقل لورش يا سيدي الفقيه

اما نقولوا سبحانُ أنِ اِقذفـــــــــيه بالوصل من أسفل يا نبيه

وسأنقل شرح البيتين من كتاب شرح الأنصاص القرآنية المنظومة بالدارجة المغربية بقول الشارح:

«الكلام هنا عن كيفية ضبط مفردتين مشتبهتين فالأولى (أن ارضعيه) بنقل حركة الهمز القطعي إلى ساكن النون المنفصل بموضع (واوحينا إلى موسى أنَ اَرضِعيهِ فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني) القصص 7، وهذه قاعدة عند ورش».

وللزيادة في الإيضاح أشير إلى بعض الألفات التي يقع فيها الإشكال من حيث النقط كألفي (التقى) و (إذا التقيتم) كلاهما في الأنفال، فألف (التقى) همزة وصل منقوط من الأسفل لأن الفعل خماسي في قوله تعالى (يوم التقى الجمعان) الأنفال 41.

وكذا في قوله تعالى: (وإذ يريكموهم إذِ اِلتقيتم) الأنفال 45، فرغم وجود الألف بجانب اللام، فإنه نقط من الأسفل لأنه همزة وصل، وليست خاضعة للقاعدة العامة التي تتبادر إلى ذهن المتعلم بأن كل ألف بجوار اللام (ال) ينقط من الفوق، لأن اللام هنا في (التقى) و(التقيتم) أصلية في الفعل، وليست جزءا في (ال) للتعريف في (ال) الشمسية والقمرية بل الألف همزة وصل في (التقى) واللام حرف أصلي وكذلك عدم نقط (ألف) في (من ألف شهر) لأنه نقلي، لأن الهمزة في (ألف) قطعية وضبطت نقلية تبعا لراية ورش الذي ينقل حركة الهمز إذا وقع ساكن قبله، مثل: (خلوِاْ اِلَى شياطينهم) البقرة 14، (وأَلقوِاْ اِليكم السلم) النساء90، يقول صاحب النص:

حركة الهمز لورش تنتقل للساكن الصحيح المنفصل

كيفية النطق بهمزة الوصل

في حالة البدء حين نقف على الكلمة التي قبل همزة الوصل كمثل (نستعين اهدنا)، ونقرأ اهنا بالكسر، أي بالنقطة وإذا وصلنا نستعين ندرج همزة الوصل وتسقط في درج الكلمة، وتتصل ضمة النون بسكون (ها) (اهدنا) فيسقط الهمز في النطق، أما قاعدة كل ما ثالثه مضموم في أمر ل فعل مضارع على وزن يفعل[1] بضم العين فإن الأمر منه يكون على وزن (افعُل) فثالثه إذن مضموم فتنقط همزة وصل هنا من الوسط، وتنطق بالضم في حال الوقف على الكلمة التي قبل همزة الوصل وتدرج بين الكلمتين في حالة الوصل مثال: (ثم اَدعهن)، فحركة ميم ثم متصلة بسكون الدال، حيث همزة الوصل منقوطة من الوسط كقاعدة كل ما ثالثه مضموم تنقط همزة وصلها من الوسط.

[1] ـ ما لم يكن الفعل رباعيا وإلا فإن الأمر منه (أفْعِلْ) بهمزة القطع كما قال صاحب لامية الأفعال (مِنَ أفعل الأمرُ أفْعِلْ) مثل أكرم يُكرم أكرم

وكما قال صاحب هذا النص:

وحذف همز الوصل للكل بدا في حالة الوصل فخذه مرشدا

وثبته في الابتداء واجـــــــــــــب من فتح أو ضم أو كسر لارب

وربما يريد (لاريب)، ولكن الأمانة العلمية تقتضي الحفاظ بالكلمة كيف كتبت في الكراس.

وهناك مثال آخر ننطق فيه همزة وصل مضمومة في حال الوقف قبلها ﴿ يَخْتلفونَ (اَدْعُ) إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[1] ، ولكنه لما وقفنا على (يختلفون) وأردنا النطق بالساكن في أمر (يدعو) نطقنا بهمزة وصل مضمومة لأنها في حرف ثالثه مضموم (اَ دْعُ) ، لكن همزة وصل في أحوال خاصة يقول صاحب النص:

ولك الابتـــداء دون الـــــــــــوقف بألف المكســـــــــور فخـــــــــذ تليف

أن اشكروا أن اعبدوا أن اغدوا أن اقتلوا أن احكم وكلهم بالوصل

فهذه الألف مشكولة ومنقوطة من الوسط لأن ثالثها مضمومة في عرف أهل الرسم، فتنطق مضمومة وتكتب شكلا ونقطا في الوسط ومن الهمز الوصل المنقوط من الوسط أيضا، وفيه تبيان حال اللام في الكلمتين بين "التعريف" و "الرد" قول صاحب النص:

قيل ادخلِ اِلجنة عرقية قيل اَدْخلي اِلصَّرْحَ بياء فيه

وهنالك همزة وصل أيضا ثالثها مضموم فتقرأ بالفتح تبعا لما قبلها وإن نقطت من الوسط كما في قول صاحب النص:

هنالك ابتلي نقطُه أتـــــــــــى في وسط الألف فافهم يا فتى

[1] ـ سورة النحل، الآية : 125

وقل الآخر:

سبيليَ أَدْعُواْ[1] بقطع اِلالِفِ اِلسَّبيلَ اَدْعوهمْ[2] بوصل الألفِ

وهكذا وقفت وقفة توضيح عند هذه الألفات أو همزات الوصل والنقل والقطع، لأن رسمها وكتابتها بشكل صحيح يصعب على المتعلمين وعلى بعض الحفظة غير المتمكنين من الرسم القرآني من مثل معرفة بعض الحروف التي جاءت غير خاضعة لقاعدة كل ما ثالثه مضموم ينقط من الوسط، فهناك أحرف خرجت من هذه القاعدة فتنقط أو ينقط فيها الألف من الأسفل كقول صاحب النص:

"ابنوا" "اتقوا" فاهدوهم أن "اِمشوا" "اسم" ايتوا ان امرؤ ثم اَقضوا

فنقطه في ضبطه من أسفـــــــــــــــــــل هذا هو الصحيح خذ مقالي

وهذه الجزئيات من الرسم القرآني يصعب ضبطها من قبل المتعلمين، لاسيما ما يتعلق منها بألفات أو همز الوصل والنقل والقطع، والخبير في الصرف والنحو والاشتقاق يمكنه إدراك ذلك الإشكال القائم في معرفة الفرق بين همز الوصل وهمز النقل والقطع، لكن المتعلمين والصبيان في الكتاتيب المنقطعين والمنهمكين على حفظ القرآن يصعب عليهم إدراك بعض الجزئيات من الرسم القرآني، ولذا يقوم الشيوخ والمحفظون بتقريب معرفة هذه الجزئيات من الرسم إلى المتعلمين بواسطة الوسائل المختلفة والتي منها: ظاهرة الأنصاص كما أشرت إلى نماذج منها، كنظم يسهل حفظه وتطبيقه في الأحوال، بتصوير الكلمة كما وردت في المصحف الشريف وكما نص عليها النص كمثل هذا النموذج الذي أشرنا إليه أعلاه في "نص" (ابنوا)[3] و (اتّقُوا)[4] (ان امْشُوا)[5] حيث همز الوصل منقوط من الأسفل رغم قاعدة (كل ما ثالثه مضموم) ينقط من الوسط إلا هذه الكلمات المشار إليها في البيتين.

---

[1] - سورة يوسف، الآية: 108
[2] - سورة الأحزاب، الآية: 5
[3] - الكهف 61 + الصافات 97
[4] - النساء 131
[5] - ص 6

والعلة في ذلك بالنسبة لهذه الحروف أنها في الواقع من حيث الأصل وقع فيها الإبدال والإعلال، فالحرف الثالث في (ان امشوا) الذي يبدو أنه مضموم، هذه الضمة ليست أصلية لأنها نقلت من حرف الياء الذي حذف بحكم القلب والإعلال، إذ أصل الحرف (امشيُوا) وكذا في (اقضيوا) بعد نقل حركة الياء إلى الحرف الصحيح الذي قبله، بعد إزالة حركته فبقيت الياء ساكنة مجاورة لساكن آخر وهو الواو، فالتقى ساكنان وإذا التقى ساكنان وجب حذف السابق منهما، هكذا (امشوا) أصله (امشيوا) نقلت حركة الياء التي هي الضمة إلى ما قبله بعد إزالة حركته فصار (امشيوا) بعد نقل حركة الياء التي هي الضمة، بقيت الياء مسكنة بالسكون الميت، فالتقى ساكنان الياء والواو وجب حذف السابق وهو الياء فصار (امشوا)، إذن هذه الضمة في الحروف ليست أصلية بل نقلت من الحرف الساكن المحذوف من الكلمة وهي الياء، ولهذا كان علماء الضبط والرسم حريصين على ضبط القرآن محافظين على أصول اللغة العربية في صرفها واشتقاقها، فجاء شيوخ الرسم القرآني فحافظوا على تصوير الكلمات كما هي نقلا جيلا عن جيل، وحينما استثنوا هذه الحروف من قاعدة "كل ما ثالثه مضموم" ينقط من الوسط؛ وأصل هذه الحروف كما رأينا ليس ثالثها مضموما لأن هذه الضمة ليست أصيلة بل نقلت من الحرف الذي بعد الشين وبعد الضاد.

وما زلت أحفظ عن أحد شيوخي الألفيين رحمهم الله جميعا بيتين في كيفية هذا القلب بين نقلت الحركة واستثقلت

ما قبل واو ثم يا إن فتحا فقل تحركت تراك ناجحا

ونقلت قل إن مسكنا وقل استُثقلت إن ضُمَّ أو كسر تنل

وتطبيقا نقول في (امشوا) الذي أصله (امشيوا)، استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبله بعد إزالة حركته فصار (امشيوا)، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين كما أشرت إلى ذلك، كما هو الشأن في (وإذا لقوا الذين ءامنوا) أصله (لَقيوا) نقلت حركة الياء التي هي الضمة إلى القاف بعد إزالة حركته، فبقي (لَقُيوا) التقى ساكنان الياء والواو فحذف

السابق فصار (لقوا)، وقس ذلك على كل فعل يشبهه في الوزن والإعلال: فعل ماض على وزن فَعِل معتل اللام أسند إلى واو الجماعة مثل (رضي): (رضوا) بأن يكونوا مع الخوالف)

أما "الوراشة" والقراء من حفظة ورش فقد نصوا على ذلك بدون أن يذكروا العلة اللغوية التي أشرنا إليها بمخالفة الحرف الذي ثالثه مضموم لقاعدة نقط همز الوصل من الوسط باستثناء الحروف التي أشرنا إليها كقول أحدهم وسأحتفظ بكلامه:

وكلـــــــما[1] ثالـــــــــثه مضمـــوم وتنوينٌ من قبلـــه محتـــــــــومُ

فنقطه وشكله من الوســـــط أن ضُمَّ الأولُ نعم بلا شطط

كبعضٍ انظر اركض ادخلوها والغيـــر لا اكله فانقلـــــــــــوها

فبين الناظم من خلال النص:

أن كل ما ثالثه مضموم ينقط من الوسط عند همزة الوصل إن وليها تنوينٌ، كبعض (انظر) (اركض) (ادخلوها) واستثنى من ذلك (مختلفاً ألوانه) فأن ألفه بالنقل.

وقول الآخر كما سبق:

(ابْنُواْ) اِتَّقُواْ فاهدوهم أَنِ اِمْشُواْ اَسمٌ (اَيتوا) أن اِمرؤا ثم اَقْضُواْ

فنقطه في ضبطه من أسفـــــــــل هذا هو الصحيح فخذ مقالـــــي

وقول الآخر المعنى نفسه والكلمات نفسها:

اَقضوا اِتقوا وابنوا أنِ اِمشوا إن اِمرؤا (ايتوا) ينقط تحته[2]

[1] ـ (وكلما) هنا ينبغي أن يكتب (وكل ما)، لأن كتابتها تعني الشرط أو الزمان.

[2] ـ وقد علق كاتب الرسم والضبط في القسم الأول الذي أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: تمهيد إلى معرفة الانصاص القرآنية بالتعليم العتيق: ونص التعليق: "هذه الألفاظ توضع النقطة تحت الألف رغم ضم الحرف الثالث في الكلمة" ص:169.

أما صاحب كتاب شرح الأنصاص القرآنية المنظومة بالدارجة المغربية برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق فأورد نصّاً في المعنى نفسه:

الثالث إيلا كان مضموم أوقبلو التنوين مختوم

شكلُـــــــو ونقطُـــــــو من لوســط لا تغفل لا توقع في الغلـــط

إلا مختلفاً أكله فسورة الأنعام وارد بالنقل على التمـــــــــــام

ضف بغلام اسمه بالوصـــــــل أورسمو من تحتْ وتبع أصل[1]

بمعنى أن نقطة همزة الوصل المسبوقة بالتنوين ترسم في وسط ألفه، إذا كان الثالث مضموما لازما كما في الأمثلة الآتية:

(فَتِيلاً انظُرْ)[2] (خَبِيثَةٍ اجتُثَّتْ)[3] (مَحْظُوراً انْظُرْ)[4] ثم استثنى مثالين لهما علة هما (مُخْتَلِفاً اكْلُهُ) وذلك لأنه همزُ قطع في الأصل، نقل إلى همزِ نقل. وأما (بِغُلاَمٍ اسْمُهُ) فيه إشكال مراعاة للأصل كسابقتها (اقضوا)

وكل ما ثالـــــــــثه مضمـــوم وسكون من قبلـــه محتـــــــوم

فشكله ونقطه من الوســـــط لا تَنْسَيَنَّ واحذرن من الغلط

هذه هي القاعدة التي يعتمد عليها حفاظ ورش ببلدنا، ولكنهم ليستثنوا تلك الكلمات التي أشرت إليها في (ايتوا) و (اتقوا) دون أن يذكروا العلة التي تكمن في أن هذا الحرف في الأصل ليس ثالثا، بل الثالث هو المحذوف في (امشوُاْ) وقد قمنا بعملية الحذف والإعلال حتى وقفنا على الصيغة التي تقرأ بها الكلمة وتكتب (امشُوا).

[1] ـ شرح الأنصاص بالدارجة، عبد اللطيف بوعلام، ص:41
[2] ـ النساء، 50
[3] ـ إبراهيم، 26
[4] ـ الإسراء، 61

فائدة أخرى في الألفات يجب ذكرها لصعوبتها:

منها: همزة الوصل إذا سبقت بهمزة الاستفهام، وهمزة الاستفهام لا تكون ـ طبعا ـ إلا قطعية، وذلك أنها تلغى في هذه الأحوال خاصة في الأفعال وجوبا مثل قوله تعالى: (اصطفى البنات على البنين) والأصل في ذلك: (أاِصطفى)، ولأهمية الحفاظ على رسم القرآن يفيد المعنى أيضا لأننا إذا كتبنا (اصطفى البنات على البنين) بهمزة وصل سنكرس أن الله تعالى يختار ويصطفي البنات على البنين، لما يستفاد من الجملة الخبرية في عرف البلاغيين، أما إذا رسمناها ما هي في المصحف بهمزة قطع سنعرف أن هناك حذفاً من أصل: (أاِصطفى البنات على البنين) على الجملة الإنشائية في عرف البلاغيين كذلك، حيث وقع التساؤل: هل الله تعالى يفضل نوعا من الجنسين على الآخر، والحقيقة أنه لا، وهذا ما يفيد الرسم القرآني زيادة لإيضاح المعنى وهناك عدة حالات تحذف فيها همزة الوصل وتنوب عنها همزة القطع فقد جمعها أو بعضها النص الآتي:

وهمزة وصلٍ بعد الاستفهـــــــــــــــام يحذف في سبع من الكلام

قل اتخذتم في البكر كذلك اَطَّلع جديدٍ اَفتـــــــــرى بفعل وقعا

مع اصطفى البنات أَستكـــــــــبرت اتخذناهم وكذا أستغفرت

وهذه الأفعال السبعة في أصلها:

الأصل	يكتب	السورة	الآية
قل أاتخذتم	قل آتخذتم	البقرة	80
وولداً أاَطلع	وولداً آطلع	مريم	78
جديداً أاَفترى	جديدٍ آفترى	سبأ	8

أأَصطفى	أصطفى	الصافات	153
أأَتخذناهم	أتخذناهم	ص	63
أأَستكبرت	أستكبرت	ص	75
أأَستغفرت	أستغفرت	المنافقين	6

وقد علق القارئ المجود الباحث محمد الإبراهيمي في كتاب المحجة على هذه الأفعال بقوله: «لاحظ أن بعض همزات الاستفهام طرأ عليه الحذف بعد نقل حركته إلى ما قبله وفقا لشروط النقل، ومع ذلك لم يعتد بالحذف، لأن الاعتداد به يؤدي إلى خلاف المعنى المراد وهو جعل الاستفهام خبراً»[1].

وهكذا رأينا أن المحافظة على الرسم المصحفي فيه الكثير من الفوائد منها على العموم: المحافظة على القرآن الكريم الذي وعد الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ومنها أننا نحافظ على المعنى المراد من الحرف القرآني في معانيه الجليلة، ذلك أنه من الوهلة الأولى يدرك كل من له إلمام بأساليب العربية واشتقاقاتها أن كتابة (اصطفى) ومثيلاتها بهمزة قطع وفي أفعال خماسية، يدرك أن هناك شيئا أدخل على الكلمة القرآنية ليجيبه علماء الضبط والرسم بأن ذلك واقع فعلا بقيام همزة القطع هنا مقام همزتين قطع واستفهام ووصل همزة الفعل الخماسي، فكان (أأَصطفى) فصار (أصطفى) كما أشرنا إلى ذلك النص الذي جمع هذه الحالات.

والمغاربة أيضا يستعينون بوسيلة أخرى إلى جانب الأنصاص وهي: وسيلة الحَطية أو الوزن: فكتبوا لنا أسفل اللوح حالتين لنضبط كتابة الحرف، وذلك ب: (لَكَاذِبُونَ أصْطَفَى) أختها: (يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ).بمعنى أن وجود: الواو ويعدها (ن) مفتوح وبعدها همزة قطع وبعدها الصاد الساكنة.

[1] ـ المحجة في تجويد القرآن مقرأ نافع رواية ورش عن طريق الأزرق مذهب الداني، محمد الإبراهيمي، ص:192، الطبعة الأولى 1990.

لا توجد الحالتان في القرآن الكريم إلا في الحالتين المشار إليهما، بمعنى إن أردت أيها الطالب المتعلم أن لا تكتب همزة (لكاذبون اصطفى) بهمزة الوصل فاستعن بمعرفة أختها: (يغضون أصواتهم) وهما حالتان بوجود النون المعرقة بعدها همزة قطع بعد الصاد الساكنة.

(لَكَاذِبُونَ أصْطَفَى)[1] (يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ)[2].

الحطية:

والحطية أو الحطيات مشتقة من الحط وهو ما يحط وينزل فوق الكلمة القرآنية عند تصحيح اللوح، يشير إلى نظائرها أو عدد تكرارها أو وصلها أو وقفها أو سوى ذلك من أحوالها[3].

وسنتعرف على ذلك من خلال النماذج التي سأسوقها في هذا المضمار، بعد مزيد من الإشارة إلى الحطية كتقنية من التقنيات التي ابتدعها الحفاظ حفاظا على الرسم القرآني وأدائه، ليعينوا بذلك تلاميذهم من المتعلمين على معرفة وسيلة تقيهم من الخطأ في القرآن كتابة وأداءً، ويقال إن بعض المتأخرين كمحمد أعجلي السوسي[4] ممن ساهموا في تطوير هذا الفن وهذه الظاهرة التي لعبت دورا مهما في حفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه وأدائه،فكان هذا الحط في بداية الأمر يتعلق بوضع رموز العدد على المتشابهات، لفظا وكتابة في السطر الأول، لكن المتأخرين عمموا ذلك على سائر القرآن، وهذه ميزة مغربية اخترعها المغاربة المنشغلون بالقرآن، فأحصوا ما في القرآن من كلمات وحروف وجمل متكررة أو متشابهة، فوضع فوقها أرقام تدل على عددها مع الإشارة إلى مكان وجودها في القرآن الكريم[5].

---

[1] ـ الصافات، 153

[2] ـ الحجرات، 3

[3] ـ حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية ، عبد الهادي حميتو، 688/2.

[4] ـ وهو محمد بن إبراهيم العقبلي السوسي أخذ القراءات السبع بشمال المغرب ورجع إلى الجنوب شارط بحاحا. والكثير من المسائل في رسم القرآن وضبطه منها الاتصال، الوزن، ميم الجمع، هاء الضمير، الوقفية، والحطية، قال الدكتور عبد الهادي حميتو اشتهر هذا العالم بالقرآن والقراءات في هذا الميدان، وألف كتاب: "الهداية لمن أراد الكفاية في ضبط أواخر اللكم لما صح بالرواية"، أشار الباحث أن نسخة من الكتاب في الخزانة العامة بالرباط. (المرجع "حياة الكتاب وأدبيات المحضرة صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية) 688/2، ط 2006، وحسب نفس المرجع فقد توفي أعجلي سنة 1211هـ .

[5] ـ الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، إبراهيم الوافي،ط1، الدار البيضاء 1999

وسأعرض هنا نماذج منها لنقف على بينة من الهدى منها:

فالحط كمصطلح خاص بخدمة القرآن الكريم كتوظيفه فيما وضع له أصلا، «هو ضبط الكلمات القرآنية التي تتشابه في شكلها وبينها أو في ضبطها أو فيهما معا وأحيانا في وزنها»[1]، كما سيتضحالمقام بذكر بعض الأمثلة:

هناك في القرآن الكريم بعض الحالات تعلق بميم بكسرة وبعدها الألف في أسفلها كسرة وفي أعلاها نقطة (همزة الوصل)، وعدد هذه الحالات أربعة في القرآن كله:

ـ بِسْمِ اِللهِ

ـ بِأَنْعُمِ اِللهِ

ـ بِعِلْمِ اِللهِ

ـ بِأَييمِ اِللهِ

والحالات الأخرى بنون مضمومة وألف مضمومة في الوسط بنقطة في الأسفل (نٱ)

ـ نستعينُ اهْدناَ

ـ فرعونُ ايتُـــوني

ـ يـــهامـــنُ ابْنِ لِي

والحالات الأخرى وإن كانت أقل إشكالا من سابقتها وهي: النون مفتوحة فيليها في الكلمة التي بعد همزة (أ) بعدها نون ساكنة، وهي:

ـ اَلذِينَ أَنْعَمْتَ

ـ اَلذِينَ أَنْفَقُواْ

[1] ـ الكتاتيب القرآنية، محمد الزيات، 227/2 بتصرف

ـ اَلذِينَ أَنْعَمَ

والحالات الأخرى عبارة عن التاء مفتوحة بعد عين مفتوحة كذلك وهي:

ـ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

ـ لَسْتَ عَلَيْهِمْ

ـ اِطَّلَعْتَ عَلَيْهِم[1].

وهذه الحالات ليس فيهل إشكال مطروح بحدة، بخلاف بعض الكلمات التي يبقى المتعلم حائرا فيها كأن يقف أمام كلمة (رفث) فيعجز بين إعجام الثاء وعدمه، ولكي يقرب الفقيه المعلم معرفة كتابة الكلمة إلى ذهن المتعلم، يأتي له بشبيهاتها في القرآن الكريم، فيكتب له فوق هذه الكلمة العدد بالرمز بحطة فوق الكلمة في الحالات الآتية، حفاظا على رسم القرآن والمحافظة على معاني الحروف والكلمات لأن كتابة حرف معجم بدون نقط يعتبر لحناً وتحريفا لكتاب الله تعالى، الذي أوصى بالحفاظ عليه من أي تبديل أو تغيير، ولهذا فكتابة (بث) بالثاء المثلثة تخالف المعنى في (بت) مثلا فالأولى تعني النشر والانتشار، بينما الثانية تعني القطع والحسم في الموضوع.

ولهذا يكتب الفقيه المعلم في لوح المتعلم فوق كلمة (فلا رفث ولا فسوق) والحالات التي توجد منها "التاء" مفتوحة وأمامها الواو المفتوحة ويضع فوقها العدد/الحط، وفي القرآن الكريم توجد هذه الحالات:

ـ فلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ ، البقرة 196

ـ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ، لقمان 33

ـ الخَبَائِثَ ويَضَعُ، الأعراف 57

[1] ـ الحالات الأربع في الأمثلة السابقة من مرجع "الدراسات القرآنية" إبراهيم الداني بتصرف.

ـ يَغُوثَ ويَعُوقَ، نوح 24

بمعنى: الثاء المعجمة بعد واو بفتحة ("ث" "و")

وهكذا أوجد المغاربة علما استنبطوه من القرآن من أجل خدمة القرآن نفسه حين يأتي الفقيه "الطالب" بأمثلة ومتشابهات ونظائر لتصحيح كتابة كلمة قرآنية، وترسيخ ذلك في ذهن المتعلم، لكي لا تؤدي هذه الأخطاء إلى مخالفة ما جاء في المصحف الذي كتبه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأتون بمثال على وزن كلمة أخرى أو اجتماع كلمتين متشابهتين في الحروف من مثل:

ـ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ

ـ غَضِبُواْ هُمِ يَغْفِرُونَ

فنفس المثال الثاني على الأول لتحافظ على الألف التي بعد واو الجمع في (غضبوا) ولا نكتبها بدون ألف (غضبوهم) وهو خطأ في الرسم مخالف لما جاء في المصحف.

وهناك أوزان أو نظائر نعرفها وتعيننا على فهم كتابة القرآن ونطقه كمثل:

ـ اَلْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ

ـ قَدَمَ صِدْقٍ

حيث الميم بفتحة أمامه حرف الصاد بكسرةٍ.

وعلى العموم ف"الحطيات" كوسيلة مساعدة لضبط القرآن رسماً وأداءً عند المغاربة، إلى جانب الأنصاص، ولأهمية هذا اللون نورد فقرة لباحث في رسم القرآن وضبطه، أستاذنا الجليل الدكتور عبد الهادي حميتو، «كما اختصت المحضرة المغربية بالعناية بمعرفة النظائر المتشابهة في الرسم والضبط، فيما يعرف عندهم باسم "الأخوات" أو الوزنيات أو الحط واعتبروا المهارة في حفظ ذلك واستحضاره عند

تصحيح الألواح،ولاستدلال للقواعد وتحديد معالم الرسم والضبط، من تمام الشخصية العلمية ومظاهر الأناقة والشغوف عند القارئ المتصدر»[1].

وكما رأينا في بعض الأمثلة من تمييز الحالات المختلفة حيث «تقوم العملية على تتبع العلاقات اللفظية بين حروف الكلمة نفسها أو بين كلمتين متتابعتين، إما في الرسم وإما في الضبط وإما فيهما، وعلى ملاحظة تكرار اللفظ في القرآن على هذه الصفة فنسميه الربع من الحزب الذي وقع فيه ذلك»[2].

ومن الأوجه المتعلقة بالعدد أو الثبت أو الحذف أو الحمل أو الوقف أو تشابه وضع الكلمة أو الكلمتين مما يستفيد منه المتعلم، قاعدة في الرسم أو في طريقة الأداء أو في بنية الكلمة مع جارتها. من ذلك على سبيل المثال:

إذا كتب المتعلم (عَفَا وَ أَصْلَحَ) وكتب (عفى) بالياء كما تكتب (كفى)، فإن الفقيه المعلم (يجبذها)[3] له في أسفل اللوح أو أعلاه فيكتب فوق (عفـــــــــــــا و أصلح) رمز (اثنين).

بمعنى أن لهذه الحالة نظيرا في قوله تعالى:

ـ عَفَا وَأَصْلَحَ

ـ اَلصَّفَا وَالْمَرْوَةَ

بمعنى وجود الفاء أمامها ألف ثابتة وبعدها واو بفتحة، وإذا صحح الفقيه السطر الأول من الربع (إن الصفا والمروة) مثلا سيضع على كلمة (إنَّ الصَّفَا) رمز (اثنين) مشيرا إلى أن الصفا نظيرتها (إن الصلاة)

ـ إنَّ الصَّفَا

ـ إنَّ الصَّلاَةَ

[1] ـ حياة الكتاب وأدبيات المحضرة،حميتو،687/2.
[2] ـ المرجع نفسه، 687/2.
[3] ـ الاحتفاظ بمصطلح الوراثة المغاربة.

بمعنى وجود الصاد المشددة أمام "إن" في هاتين الحالتين في القرآن كله وكذلك:

ـ الصَّفَـــــا

ـ عَفَـــــــــا

ـ شَفَـــــــــا

لكي لا يكتب المتعلم إحدى الكلمات بياء أو بإضافة الهمز أمام الألف، وتجنب هذا الخطأ هو الهدف من هذا الحط، من أجل سلامة كتابة الكلمة القرآنية برسمها (والمروةَ) يضع الفقيه علامة على الكلمة على أساس أن لها نظيراً وهو : (والمروة) (والمرجان) بوضع الواو بفتحة أمامه ألف وراء الألف اللام القمرية بعدها ميم بفتحة بعد الراء بالسكون.

ـ وَالْمَرْوَةَ

ـ وَالْمَرْجَانُ

ويضيف الفقيه المصحح في السطر الأول من (إِنَّ اَلصَّفَا) عدد المشابهة لقوله تعالى: (مِنْ شَعَائِرِ)

ـ من شعائر

ـ من شهيد

ـ من شافعين

ـ من شر

ـ من شاطئ

بوضع (من) يليه الشين بفتحة خمس كلمات كما رأينا، وما دمنا في (إن الصفا) الربع الأول من حزب (سيقول السفهاء) في سورة البقة يجمل بي أن أشير إلى أخوات (من شعائر الله)

ـ مِنْ شَعَائِرِ اِللهِ

ـ ذِكْرُ اللهِ

ـ أَمْرُ الله

وذلك بضبط الراء بكسرة يليه لفظ الجلالة في ثلاث مواضع كما رأيت.

وتظهر فائدة هذه "الحطيات" أكثر في بعض الحالات:

كما إذا أخطأ المتعلم في ضبط (مائة سنين) بكسرة واحدة، فإن الفقيه المعلم يصححها بكتابة أخواتها، حيث التاء مضبوطة بكسرتين تليها (سين) بكسرة أو بفتحة كما في هذه الحالات:

ـ مائةٍ سنين

ـ بقراتٍ سمانٍ

ـ كلمةٍ سواء

وقد بدأ هذا الفن المساعد على حفظ رسم القرآن وضبطه فيما اصطلح عليه ب (الأخوات) أو الوزنيات أو الحط، ثم تطور فصار لزاما على بعض الحفاظ أن يعرفوا هذا الفن ويطبقونه في تصحيح الألواح في السطر الأعلى فقط.

وعرف عند الحفاظ الأمازيغ ب (أَسَطَّارْ نُوفَلاَّ) أي في السطر الأعلى.

مثال يوضح هذه الخطة الجديدة التي تم تطويرها من أجل تصحيح الفقهاء المعلمين ألواح تلاميذهم من المتعلمين وهي طريقة تعتبر أعلى قمة في تثبيت الرسم القرآني وضبطه وضبط حركات الكلمات المتجاورة والمتشابهة لفظا من مثل:

- على وزن يستبشر - هنا بالوصل يصلون بالواو وبالوقف قفل نابي أظلم فاقم - على وزن ينشرون ننشرون - نكفر عنهم ويكفرون يشترون به - بكلمة من الله
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ
- ندع أبناءنا نتبع أكثرهم نتبع أهواءهم لنغار المؤمنين وليس المؤمنين - أوينا - الذين الذين استكبروا الذين استجابوا - نضرع الى استجيبوا لله
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلّهِ

وهكذا وضعوا لكل كلمة والتي قبلها وزنا لضبطها لكيلا يقع المتعلم في الخطأ فيكتب (ندع ابناءنا) بالواو وأتوا له بمثال: حيث العين مضمومة أمامها همزة قطع في أربع حالات:

- لا يُضيعُ أجر
- يتبعُ أكثرهم
- اتبعُ أهواءهم
- ندعُ أبناءنا

وعليه فهذا السطر الأعلى أو "أَسْطَّارْ أُوفْلاَّ" كما أطلق على هذه الوسيلة، لم تكن عامة لتشمل سائر القرآن الكريم، بل كان فقهاؤنا يضبطون بها بعض الحالات فقط.

كان أستاذي وشيخي سي علال العشراوي العبدي رحمه الله بمدرسة سيدي الزوين سنة 1964م عندما يصحح لي لوحي أحيانا يضع رمزا على كلمة فيشير به لأختها، من مثل: (المستقيمَ صِراط) على وزن (قدمَ صِدْقٍ)، ومعرفة هذه الحالة يعتبر ترفاً حيث الميم مفتوح أمامه حرف الصاد بالكسرة، ولكنه أحياناً يأتي بمثال ليضبط به حالة أخرى من مثل:

فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ[1]

وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ

احترازاً لترك الألف في (غضبوا هم يغفرون).

وتوجد الآن مخطوطات خاصة ضبطت القرآن بهذا اللون، حيث يضع الحافظ فوق كل كلمة وجارتها أخوات لها في القرآن الكريم. وربما كررت بعض الأمثلة من هذا القيل في البحث، وذلك لتقريب وإيضاح المعنى.

وأود أن أشير بالمناسبة إلى أن أحد أبناء هذه الجهة (جهة بني ملال خنيفرة) له دور فعال في المساهمة في هذا الاتجاه، بكتابة مصحف عن طريقة السطر الأعلى غير أنه اكتفى بالسطر الأعلى، وتطبيق الطريقة في بداية كل "حزب" و "ربع" و "نصف" و"ثمن"، وليس على الشكل الذي أحدثه "أعجلي"[2] ومن جاد بعده بتعميم الطريقة على القرآن كله في الوزن والحطية، وعنوان مصحف الفقيه الدمناتي المشار **إليه** هو: **"السطر الفوقاني في رسم وإتقان القرآن" في دقة ووزن نصوص وضبط علوم القرآن، بذل فيه الفقيه إبراهيم ناعوم الدمناتي رحمه الله مجهوداً كبيراً، أنفق فيه زهرة عمره وشبابه وشيخوخته مع كتابة مصاحف أخرى عادية رحمة الله عليه، وفيما يلي نموذج من هذا المصحف:السطر الفوقاني" للفقيه:**

[1] ـ تم تكرار المثال في البحث ولكن نظرا لسهولة ضبطه أتيت به مرة أخرى للإيضاح

[2] ـ الفقيه محمد أعجلي فقيه سوسي قرأ القراءات السبع في بلاد جبالة بشمال المغرب ورجع إلى بلده سوس قيل إنه هو من عمم طريقة السطر الأعلى في تصحيح الألواح في القرآن الكريم.

غير أن الفقيه السيد إبراهيم ناعوم رحمة الله عليه في مؤلفه هذا الذي بذل فيه جهدا يشكر عليه، من أجل خدمة كتاب الله بضبط رسمه وشكل كلماته، أحيانا يصعب على الباحث غير المتخصص أن يستفيد مباشرة بدون عناء من هذا المؤلف، حيث المادة غير مرتبة بعدم كتابة الكلمات التي يريد "وزنها" بمقابلة شبيهاتها فوق السطر، تكون أحيانا بعيدة منا وأحيانا يترك بعضها وأحيانا يقع في بعض الالتباس ربما لغلط في النقل كما في الصفحة 374[1] بمناسبة ذكر مشابهة فكتب:

مِنْ هَادٍ اَفَمَنِ: الزمر 22

شَهِيدٍ اَفَلَمْ ـــــ لم أعثر على الكلمتين

جَدِيدٍ اَفْتَرَى: سبأ 7

فبحثت لأجد في القرآن (شهيد افلم) فلم أجدها وبحثت فوجدت أنه يريد (مَشِيدٍ اَفَلَمْ) في الحج 43. فيكون الوزن:

ـ مَشِيدٍ اَفَلَمْ، الحج 43

ـ جَدِيدٍ اَفْتَرَى، سبأ 7

ـ مِنْ هَادٍ اَفَمَنْ، الزمر 22.

ومن فوائد هذا الوزن وهذا الضبط، أننا ضبطنا بالمثالين:

الأول: مَشِيدٍ اَفَلَمْ

الثاني: مِنْ هَادٍ اَفَمَنْ

[1] ـ السطر الفوقاني، إبراهيم ناعوم، ص:374، الطبعة الأولى 2009

المثال الأوسط: جَدِيدٍ اَفْتَرَى

لأن هذا الحرف فيه كلام كثير، إذ من الوهلة الأولى حيث الفعل خماسي يتبادر إلى الذهن أن الهمزة همزة وصل حسب قواعد الرسم القرآني، فقط الألف من الأسفل، لكم هذه الحالة مع أخواتها خرجت عن المألوف، إذ فيها حذف همزة وصل حيث تنوب عنها همزة قطع التي هي همزة استفهام، كما سبق أن أشرت إلى ذلك في هذا البحث المتواضع، ولكن سياق الحديث يحتم علي إعادة هذه الأمثلة للبيان والإيضاح.

وأبدأ بحالة "جَدِيدٍ اَفْتَرَى" سبأ 7 ، وأصله "جَدِيدٍ أَافْتَرَى" التقت همزة استفهام (أ) مع همزة وصل حيث الفعل خماسي فحذفت همزة وصل نظرا لضعفها أمام همزة الاستفهام القطعية القوية صوتا وشكلا فقامت مقام همزة وصل فصار الفعل "أفترى" فيصعب النطق بهمزتين متتاليتين في كلمة واحدة، أحدهما قطعية والأخرى وصلية، وهكذا ضبط أهل العلم القرآن مستعينين بعلوم اللغة ورسم المصحف.

ومن هنا يتضح لنا دور الرسم في فهم معاني القرآن الكريم، وهناك نص لأحد المغاربة يبين فيه هذه الكلمات أو على الأصح الحالات التي تجتمع فيها همزة الاستفهام مع همزة الوصل فتنوب الأولى عن الثانية، أعيد النص وفي الإعادة إفادة يقول صاحب النص:

وهمزة وصلٍ بعد الاستفهـــــــــــــــــام يحذف في سبع من الكلام

قل اتخذتم في البكر كذلك اَطَّلع جديدٍ اَفتـــــــــرى بفعل وقعا

مع اصطفى البنات أَستكـــــــــــبرت اتخذناهم وكذا أستغفرت

وقد فككت هذه الهمزات في أفعالها (ص: من البحث) ، وكما قلت فالرسم يساعد على فهم معاني القرآن، وذلك حين نقف على حال (أصطفى البنات على البنين) ، وقد شاع حفظ الأنصاص المتعلقة بهذه الحالة حول الاستفهام الداخل على الوصل فقال أحدهم بصيغة أخرى:

يا سائلا عن همزة الاستفهام داخل على الوصل بلا اكتتام

في الأفعال الماضية يا قارئ فاسأل إلهك وقاية النار

أولهم في سورة الأعوان قل اتخذتم جاء بالبيان

اطلع الغيب جديد افترى واصطفى البنات جا مشهرا

اتخذناهم مع استكبرت وفي المنافقين كذا استغفرت

وهكذا أحصى المغاربة القرآن الكريم حرفاً حرفاً، وأتقنوا كتابته وقعدوا له هذه القواعد "الأنصاص" ليسهل حفظها بالنسبة للطلبة.

وهناك وسيلة أخرى يستعين بها المغاربة لضبط الكلمة القرآنية، وهي وسيلة الرمز سواء بالعربية الفصحى أو الدارجة أو الأمازيغية، وذلك لسهولة التعامل مع الرمز واستحضاره في الحين بما يثيره من الترويح عن النفس.

ولست أعني بالرمز الرمزيات المشهورة عند المغربة، وهي الرمزيات التي يعتمدها القراء«المغاربة خاصة بهم، وضعوها واخترعوها تسهيلا منهم لعملية درجوا عليها في القراءات أداء، وهي عملية الجمع والإرداف ... وهي أن يدخلوا في القراءة الواحدة روايات جميع القراء البدور»[1]، وكرمزية المكي ورمزية البصري ورمزية حمزة...

وقد أشرت إلى نموذج من هذه الرمزيات في هذا البحث، وإنما أعني بالرمز تلك القاعدة البسيطة التي تتألف من بعض حروف المعجم، ويشير كل حرف كلمة قرآنية معينة في حد ذاتها أو في جوارها وعلاقتها بكلمة أخرى من مثل (عَمَّتِ): رمز بها لثلاث كلمات في سورة مريم مهملة التاء غالبا يخطئ فيها المتعلمون فينقطونها ثاء مثلثة في حين أنها ليست كذلك.

[1] ـ حياة الكتاب وأدبيات المحضرة (م س)، عبد الهادي حميتو، 737/2.

العين: عتيا (مريم)

السين: ماتيا (مريم)

التاء: تقيا (مريم)

ورمز لكل كلمة بالحرف الأول منها، ومن هذا القبيل رمز: عَذَّبْنَاهُمْ: الياء المنونة بالنصب المفخخة من الشد.

العين: عَالِياً (سورة الدخان، 30)

الدال: دَاعِياً (سورة الأحزاب، 46)

الثاء: ثَاوِياً (سورة القصص، 45)

الواو: وَادِياً (سورة التوبة، 122)

الراء: رَّابِياً (سورة الرعد، 19)

الهاء: هَادِياً (سورة الفرقان، 31)

الميم: مُنَادِياً (آل عمران، 193)

ومن رموز هذه الوسيلة أيضاً لكل ألف وصلي منقوط من الأسفل بعد التنوين:

خَتْمٍ	خَيْرٌ اِهْبِطُواْ ثَلاَثَةٌ اِنْتَهُواْ عَلِيمٌ اِعْمَلُواْ
سَوْحٍ	سبيلا اِتَّخَذُوهُ وأَمْوَالٍ اِقْتَرَفْتُمُوهَا

	حَكِيمٌ اِنْفِرُواْ
أَرْنَسٍ	إِفْكٌ اِفْتَرَاهُ رَجُلٌ اِفْتَرَى نُوحٌ اِبْنَهُ سَبِيلٌ اِسْتَجِيبواْ
شَوْنَعٍ	شَيْئاً اِتَّخَذَهَا وَرَهْبَانِيَّةً اِبْتَدَعُوهَا لَهْواً اِنْفَضُّواْ عَلَقٍ اِقْرَأْ
أَنَّكُمْ	اِلِيمٌ اِسْتَغْفَرَ نُفُوراً اِسْتِكْبَاراً كَرَمَادٍ اِشْتَدَّتْ مَنْشُوراً اِقرَأْ
قَبَخْفَرٍ	قَرْيَةٍ اِستَطْعَمَا بِغُلاَمٍ اِسْمُهُ خَيْرٌ اِطْمَأَنَّ فِتْنَةٌ اِنْقَلَبَ رَاسِيَاتٍ اِعْمَلُواْ

وهكذا أجمع صاحب الرمز أو الرموز كل همزة وصل منقوط من الأسفل بعد التنوين في القرآن الكريم.

ومن الرموز التي تصادف حروفها بعض الكلمات في معانيها الأمازيغية الرمز: أَحَلَّبَ يَفِّ، ومعناه إناء الحليب انهرق[1]، ومعناه يرمز أول حرف في الكلمة الحاء بعدها ألف ثابت بعد (اء)وذلك في الأمثلة الآتية:

الألف: إلحافاً (البقرة)

الحاء: حَافِينَ (الزمر)

اللام: لما عَلَيهَا حافِظٌ (الطارق)

الباء: بصحَافٍ (الزخرف)

الياء: يُحَافظُونَ (الأنعام، المومنون، المعارج)

الفاء: في الحَافِرَةِ (النازعات)

ومن الرموز التي تصادف حروفها معنى أمازيغياً: تَمَجُّطْ نَعَدِّ؛ ومعناها بالأمازيغية المرأة القرعاء الرأس المنسوبة إلى رجل إسمه عدي، ويرمز هذا الرمز إلى كتابة هذه الكلمات التي أولها حروف الرمز إلى الألف الوصلية المخفوضة المنقوطة بعد "أو".

وهذه الحالات فيما يلي:

التاء: أَوِ اِيتِينَا (الأنفال)

الميم: أَوِ اِمْرَأَة (النساء)

الجيم: أَوِ اِجْهَرُواْ (الملك)

الطاء: أَوِ اِطْرَحُوهُ (يوسف)

النون: أَوِ اِنْفِرُوا (النساء)

[1] ـ حياة الكتاب، حميتو (م ـ س)، 691/2، ومقارنتها بكراريس قديمة لمؤلفين مجهولين بفعل ضياع الورقة الأولى أو الأخيرة من هذه الكراريس.

العين: أَوِ اِعْتَمَرَ (البقرة)

الدال: أَوِ اِدْفَعُواْ (آل عمران)

وهذا الرمز يسترعي انتباه المتعلم الذي يتكلم الأمازيغية، ويستعين به لمعرفة هذا الألف الوصلي التابع لحرف "أو"، سيعرف الفرق بين هذا الألف الوصلي المنقوط من الأسفل والألف النقلي الموجود بعد "أو" في أحوال أخرى مثل: (أَوِ اِطْعَامٌ) (أَوِ اِخَوَاناً) بدون نقط الألف لأنه نقلي بمعنى أنه كان في الأصل همزة قطع، ونقل إلى همزة نقل باعتبار قاعدة رواية ورش عن نافع يضبط همزة نقل بدون نقط، ويكتفي بحركة (ـــ) إذا وقعت همزة قطع بعد السكون أو بعد التنوين.

ومن الرموز التي يصادف معناها "الدارجة" المغربية، ويثير انتباه المتعلمين لمعرفة كيفية كتابة كلمات قرآنية منها رمز: وَلَّفْنَـــــا أَتـــَايْ[1]؛ وهي رمز لكلمات قرآنية: ياء متطرفة ثابتة وكل حرف يرمز إلى الحرف الأول في الكلمة المراد كتابتها صحيحة:

الواو: وَأَلْفَيْنَا (يوسف)

اللام: لقيا (الكهف)

الفاء: فاتيا (الشعراء)

النون: نسيا (الكهف)

الألف: أتيا (الكهف)

التاء: تنيا (طه)

الياء: يغنيا (التحريم)

[1]ـ حياة المحضرة، حميتو (م س) 692/2، وكراس قديم بخط أحد الشيوخ.

وذلك ليحتاط المتعلم، ولا يكتب هذه الحروف أو الكلمات القرآنية بالياء والألف المقصورة، لأنه في هذه المرحلة لم يعرف بعد معنى ألف الإثنين، أو ما يعرف عند النحويين (بالتثنية)، أو عندما يسند الفعل إلى المثنى كما في هذه الأمثلة.

ولهذا يستعين الشيوخ في المحضرة والكتاب في المغرب في تعليم القرآن بكل الوسائل الممكنة لضبط الكلمة القرآنية رسما وضبطا وتلقين ذلك للمتعلمين أثناء تصحيح الألواح سواء في أسفل اللوح أو فوق السطر الأعلى.

وأكتفي بهذا القدر من الرموز والحطيات كنماذج من الوسائل التي استعان بها المغاربة إلى جانب "الأنصاص" والمنظومات المطولة المنسوبة إلى أعلام مغربية، وضعوها أصلا لخدمة القرآن الكريم، لتسهيل معرفة كتابته في السطور وحفظه في الصدور فكان الأمر كذلك كما هو معلوم على أرض الواقع على مر الأزمان والعصور.

وأكتفي بهذا القدر كما قلت نظرا لعوامل كثيرة، منها عامل الوقت الذي حدد أجله قانون التمديد المحدد.

نتائج البحث وأهمية الكتابة فيه:

يعتبر موضوع هذا البحث علميا محضا محصورا في الحديث ول جانب من علوم القرآن باعتبار المحافظة على الحرف القرآني واجبا دينيا ووطنيا، باعتبار المغاربة من أنشط الشعوب الإسلامية عناية بكتابة النص القرآني، وعلى هذا الوجه فإنني اجتهدت ما في وسعي أن أساهم كما جاء في البحث، وأن أساعد حملة القرآن على العودة إلى إرثهم الثقافي الحضاري في مجال المحافظة على القرآن الكريم، وذلك بملامسة البحث للجوانب التالية على سبيل الحصر:

ـ حاجة المتعاطين لكتابة القرآن إلى وفرة المراجع المطبوعة لتداولها بينهم وتذكيرهم بإرث الأئمة والشيوخ.

ـ إبراز جهود المشتغلين بالرسم القرآني في جميع جهات المملكة قديما وحديثا، ودور المنطقة الوسطى في هذا المضمار بربط الشمال بالجنوب، والصحراء بإفريقيا أيضا.

ـ إطلاع بعض الجهات التي لا تعلم شيئا عن جهود الجهات الأخرى في هذا الميدان.

ـ إطلاع بعض الجهات التي لا تعرف إلا قليلا عن الوسائل التي أضافتها بعض الجهات الأخرى من الجديد في باب "الحطيات" والرمزيات.

ـ بلورة الجهود المبذولة من طرف باحثين في الميدان.

ـ كشف الغموض الذي يلف اعتبار الخط المغربي الخط العثماني.

ـ تكريس وجوب كتابة القرآن الكريم برسمه وضبطه، وأن ذلك شرط في قرآنية (الكلمة)، إلى جانب الشرطين: صحة السند وموافقة العربية وهو وجه لتعليل رسمها (أن اِمْشوا) مثلا وأخواتها.

ـ الوقوف عند بعض الكلمات القرآنية وتبيان معناها من خلال رسمها (لكيلا) في النساء و(لكي لا) في الأحزاب بين الاتصال والانفصال.

ـ إبراز دور المغاربة في تعليل الرسم القرآني، ولكون غيرهم عالة عليهم في هذا الباب.

وقد تم استغلال بعض الكراسات والمخطوطات المجهولة الكاتب في هذا البحث إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لقوله.

لائحة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية ورش.
2- ابن ماجة
3- أبو داوود
4- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد البناء الدمياطي، تحقيق الدكتور محمد إسماعيل، الطبعة الأولى القاهرة.
5- إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن، تأليف الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني ومن معه .
6- أسرار الرسم القرآني ، محمد وسيم البكري، الطبعة الأولى الأردن .2016
7- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمود شملول، دار السلام للطباعة والنشر، ط: 3، 2010م القاهرة.
8- الإبانة عن معاني القراءات ، مكي بن أبي طالب القيسي، ط 1- 2006 تحقيق محي الدين.
9- الإبريز،الشيخ عبد العزيز الدباغ.
10- الاختلاف في القراءات ـ أحمد البيلي.
11- الإعجاز القرآني في الرسم العثماني، تأليف عبد المنعم كامل شعير.
12- الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي ص: 100 الطبعة السابعة .2010
13- البحر المحيط، أبو حيان الغرناطي.
14- البديع في الرسم العثماني في المصاحف الشريفة.
15- البيان المعرب.
16- التبيان في آداب حملة القرآن للنووي.
17- الترمذي.
18- التوضيح والبيان في مقرأ الإمام نافع بن عبد الرحمان تأليف الشيخ إدريس بن عبد الودغيري الإدريسي الحسن المتوفى سنة 1237 هـ تحقيق الأستاذ عبد العزيز العمراوي مطبعة أنفوا السيدو فاس بدون طبعة ولا سنة الطبع.
19- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق الشيخ هشام سمير البخاري الطبعة الأولى 1995م؛ بيروت لبنان.
20- الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم، الدكتور سامح القليني،256/1، ط 4، مكتبة وهبة القاهرة .2011
21- الحجة في القراءات السبع، أبو علي الفارسي (ت 377 هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور أحمد عيسى حسن المعصراوي، ط 1، 2007 ، دار الكتب بيروت لبنان.
22- الخط العربي: نشأته وتطوره، عادل الألوسي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1 القاهرة .2009

23- الخط العربي، تاريخ ووقائع وآفاق، محمد المغراوي و عمر أبا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2 ، مطبعة النجاح الدار البيضاء .2013
24- الخط لابن السراج، تحقيق خولة صالح حسين الجبوري سنة الطبعة 2015 لبنان.
25- الدخيرة، العلامة الشيخ محمد العاتب من علماء شنقيط توفي بفاس 1327 هـ، ، لارباس بن محمد بن المرابط عبد الفتاح الشنقيطي الموريتاني ط 8، .2012
26- الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، إبراهيم الوافي، ط1، الدار البيضاء .1999
27- الدليل من مرسوم التنزيل، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، تحقيق هند شلبي، ط 1، بيروت لبنان، .1990
28- الرسم القرآني ضابطا من ضوابط القراءة الصحيحة، توفيق بن أحمد، ط الأولى - 2002.
29- السياسة الشرعية، ابن تيمية.
30- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض.
31- الطبقات الكبرى، ابن سعد
32- الفهرست، ابن النديم، الطبعة 3، لبنان - .2010
33- القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، الطبعة الأولى .1990
34- القراءات القرآنية والرسم العثماني في كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني (نولدكة) عرض ونقد ، تأليف الدكتور مالك حسين شعبان حسن، الطبعة 1 ، الدار الاثرية للطباعة والنشر .2014
35- القراءة الجماعية والحزب الراتب في المغرب، عبد الهادي حميتو.
36- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، الطبعة الأولى 2012، دار عالم الكتب الحديثة، إربد الأردن.
37- الكتاتيب القرآنية: الأهداف، الآليات والآفاق، محمد حافظ، منشورات الأوقاف، الطبعة الأولى، .2009
38- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، مكتبة مصر للنشر الطبعة الأولى 2010.
39- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (ت437 هـ) ، تحقيق محي الدين رمضان، 17/2، ط3، بيروت 1984 (كان مكي معاصرا للإمام الداني (ت 444 هـ) وكلاهما من أعمدة القرآن في الغرب الإسلامي بالإضافة إلى ابن نجاح وغيرهم.
40- المحجة في تجويد القرآن مقرأ نافع رواية ورش عن طريق الأزرق مذهب الداني، محمد الإبراهيمي، الطبعة الأولى .1990
41- المحرر الوجيز في *تفسير* الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن *عطية* الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة :الأولى - 1422 هـ .

42- المحكم في نقط المصاحف، الإمام الداني، تحقيق الدكتور عمر حسين، ط2، دمشق 1986.
43- المستدرك، الحاكم النيسابوري.
44- المسند، أحمد.
45- المصاحف، السجستاني.
46- المطرب في شرح المعرب في الرسم الاصطلاحي للقرآن حسبما جرى به العمل في المغرب، أرجوزة الركراكي ونظمها عبد الجليل لمغاري، ط1، 2012.
47- المطرب في شرح المعرب في رسم القرآن الاصطلاحي للقرآن حسب ما جرى به العمل في المغرب.
48- المعجم الوسيط، الزبيدي.
49- المعيار، للونشريسي، تحقيق مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي.
50- المقدمة، عبد الرحمان ابن خلدون، دار النشر لبنان.
51- المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق جمال السيد رفاعي ، ط 1 2007 المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة.
52- المنهاج في شرح رسمية الرجراجي (الحذفية والرسمية للفقيه عبد الواحد الرجراجي تقديم وإخراج الدكتور عبد العزيز العبادي العروسي، سلسلة الأنصاص القرآنية (3)الطبعة الأولى 2001.
53- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير *ابن الجزري*.
54- النقط في شكل المصاحف وكيفية ضبطها للإمام أبي عمر عثمان بن سعيد الداني.
55- الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، ط 10، دار السلام للتوزيع والنشر القاهرة، 2015.
56- إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، الكعبري عبد الله بن الحسين المتوفى سنة 616 هـ ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر الطبعة الأولى.
57- تاريخ ابن خلدون.
58- تاريخ القراءات في الشرق والمغرب، مختار ولد باه، ط 1.
59- تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين.
60- تاريخ الوراقة المغربية وصناعة المخطوط.
61- تاريخ دمشق لابن عساكر.
62- تحفيظ القرآن بتافلالت: التاريخ، المميزات، والمنهج، أبي زكرياء محمد صغيري.
63- ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء، أبي الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي ت 137 هـ ، تحقيق عبد الله بن محمد إكيد.
64- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، القاضي عياض، تحقيق محمد سالم هاشم الطبع الثانية 2012 لبنان.

65- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310 هـ تحقيق: هاني الحج،عماد زكي البارودي و خيرى سعيد ، المكتبة التوفيقية.
66- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تأليف الإمام الداني (ت 444 هـ) ، تحقيق محمد صدوق الجزائري، الطبعة الأولى، لبنان، .2005
67- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي المتوفى سنة 444 هـ ، تحقيق محمد صدوق الجزائري، ط 1 - 2005 المكتبة العلمية بيروت.
68- جامع البيان في القراءات المشهورة، الداني أبو عمرو، تحقيق الحافظ المقرئ محمد صدوق الجزائري، ص: 374، ط 1، بيروت لبنان .2005
69- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط .12
70- حلية الأولياء.
71- حياة الكتاب وأبيات المحضرة، عبد الهادي حميتو.
72- دليل الحيران شرح مورد الظمآن، المارغيني
73- ذيل مورد الظمآن في فن ضبط مرسوم القرآن للإمام الخراز تقديم وتقريت مصطفى البويحياوي، سلسلة علوم المصحف.
74- رسالة ابن تيمية في الأحرف السبعة وهو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ت 768 هـ تحقيق فرغلى سيد عرباوي باحث في علم صوتيات التجويد والقراءات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط 1 ؛ 2008
75- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، شعبان محمد إسماعيل
76- رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد ط 2، دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن، .2009
77- رياض النفوس، للمالكي نقل عنه عبد الهادي حميتو قراءة الإمام نافع عند المغاربة، الطبعة الأولى.
78- سراج الأحباب في حل ألفاظ نضرة الكتاب في رسم الكتاب، للشيخ محمد الهاشمي بن الشريف العلوي السجلماسي، توفي سنة 1370 هـ الموافق 1950 م، حقق النظم وشرحه أبو زكرياء محمد صعيد تحت عنوان: "سراج الأحباب في حل ألفاظ "نصرة الكتاب في رسم الكتاب".
79- سير أعلام النبلاء للذهبي.
80- شرح الأنصاص القرآنية المنظومة بالدارجة المغربية برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، للشخ عبد اللطيف بوعلام، دار الرسالة، الدار البيضاء، بدون ذكر سنة الطبع.
82- شرح النووي على صحيح مسلم.

83- شرح عقيلة اتراب القصائد في علم الرسم القرآني ، تحقيق محمد الله الدسوقي أمين كحيلة.
84- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد القلقشندي.
85- صحيح البخاري.
86- علل القراءات، محي الدين سالم، ط1، 2009، القاهرة.
87- عنوان الدليل من مرسوم التنزيل، أبو العباس المراكشي، تحقيق هند شلبي، ط 1، لبنان .1990
88- غيث النفع في القراءات السبع ، الشيخ علي النوري السفاقسي، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 3، .2008
89- فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني.
90- في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف القاهرة.
91- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري عبد الهادي حميتو، الطبعة الأولى 2003.
92- كتاب الأنصاص القرآنية، الدكتور عبد العزيز العيادي العروسي عضو المجلس العلمي طنجة، الجزء الثاني الطبعة السابعة .2010
93- كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله المتوفى سنة 794 هـ ،ط 1، دار المعارف بيروت لبنان .1990
94- لسان العرب، ابن منظور ط 6 ، دار صابر بيروت 1997م.
95- لطائف الإشارة لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، القاهرة .1972
96- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان.
97- مجلة دعوة الحق عدد فبراير .1969
98- مرجع الطلاب في الخط العربي، إعداد خالد محمد المصري الخطاط مراجعة الأستاذ عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة لبنان، .2007
99- مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان.
100- معاني القرآن، تأليف أبي زكرياء الفراء (ت 207 هـ) تحقيق الأستاذ محمد على النجار، 210/2، الدار المصرية لتأليف والنشر.
101- مفتاح الأمان في رسم القرآن، أحمد الغوتي الأزهري السينغالي، الدار السنغالية دكار، الطبعة الأولى بدون ذكر تاريخ الطبع.
102- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد شمس الدين ج 1، دار الكتب العلمية بيروت، ط 4 ، .2013
103- منجد المقرئين، ابن الجزري.

104- مورد الظمآن في فني الرسم والضبط بشرح أحمد المراغيني التونسي تحت عنوان: دليل الحيران على مورد الظمآن في الرسم والضبط، ص: 92 عدم ذكر الطبعة سنة 2001.
105- نظم حرز الأماني للشاطبي.

فهرس المحتويات

Sommaire

إهداء 1
شكر وتقدير 3
الباب الأول 10
الفصل الأول: تاريخ الرسم القرآني 10
المبحث الأول: دور الرسم في القراءات قبل كتابة مصحف عثمان 10
ب ـ دور تدوين المصاحف العثمانية في توحيد الرسم والقراءة 13
المطلب الأول: أنصار الإتباع وحججهم: 14
الباب الثاني: 20
الفصل الأول: 21
المبحث الأول: تعريف الرسم القرآني 21
المبحث الثاني: بعض مظاهر الاختلاف بين الرسم القياسي ورسم المصحف المعروف بالرسم العثماني 25
تمهيد: 25
أ ـ علاقة الرسم بفنون أخرى كالتوجيه: 26
ب ـ أمثلة: 26

المحور الثالث: تعليل مظاهر الاختلاف في كتابة بعض الكلمات القرآنية بين القياس اللغوي وهيئة كتابتها في المصحف.....28
المبحث الأول: تعليل الرسم القرآني محاولة في فهم أسراره. 29
المبحث الثاني: تغيير المبنى يؤدي إلى تغيير المعنى.....30
علة أثر المبنى في المعنى 31
التيار الرافض لتعليل الرسم القرآني الاصطلاحي: 64
التيار المؤيد لتعليل الرسم القرآني غير القياسي أو التوفيقي.....71
دور الحروف السبعة في تيسير النطق بالقرآن 82
المحور الرابع: "الأنصاص" القرآنية وجه من الحضارة الإسلامية بالمغرب.....88
تمهيد:.....88
الفصل الأول: صلة المغاربة الأولى بالقرآن الكريم 88
المبحث الأول: عن طريق الفاتحين الأوائل.....88
المبحث الثاني: عن طريق الرحلات إلى الحج وطلب العلم. 91
توحيد القراءة والمذاهب أسباب ونتائج 93
الفصل الثاني: عناية المغاربة بالقرآن الكريم 96
البداية الأولى لتأسيس المكاتب 97
الفصل الثالث: خصائص المدرسة المغربية في حفظ القرآن. 97
المبحث الأول: تخصيص أماكن خاصة للحفظ.....97
المبحث الثاني: عدم الخلط بين المراحل:.....98
المبحث الثالث: التدرج في التعلم 99
المبحث الرابع: الحفظ.....100
المطلب الثالث: تطبيق البرنامج اليومي بكامله. 101
المطلب الرابع: التكرار. 101

المطلب الخامس: القراءة الجماعية:.....101
المطلب السادس: قراءة الحزب الراتب.....108
المطلب السابع: وقف الهبطي أو الوقف النظري.....112
المطلب الثامن: صلاة التراويح 117
الفصل الرابع: اعتبار العناية بالرسم القرآني وجها من وجوه الحضارة الإسلامية بالمغرب 118
المطلب الأول: الخط العربي.....119
المطلب الثاني: تطور الخط العربي قبل نزول القرآن وبعد نزوله. 121
أنواع الخط العربي 122
المطلب الثالث: الخط المغربي.....125
كيف تطور الخط المغربي عبر التاريخ 128
ملامح الخط المغربي.....129
الفرق بين الخط المغربي والرسم العثماني.....130
الفصل الخامس: ظاهرة "الأنصاص" القرآنية المغربية أمثلة ونماذج.....131
نماذج من نظم الموريتانيين في رسم القرآن وفي السنيغال والسودان.....131
1- عبد الله بن الطالب.....131
أمثلة من شرح هذا النظم.....142
الفصل السادس: الأنصاص المغربية ودورها في ضبط القرآن بالمغرب رسما و أداء.....146
المطلب الأول: تعريفها.....146
1- تعريف الأنصاص: 147
2 - ظهورها أو نشأتها: 147
المطلب الثاني: موضوعات الأنصاص ومجالها 149
المطلب الثالث: مصادر هذه الأنصاص وواضعوها.....150
المطلب الرابع: الفائدة من الأنصاص.....152

المطلب الخامس: دور الأنصاص ومجالاتها.....154
المطلب السادس: الفصل والوصل.....164
المطلب الثامن: أحرف أو كلمات يوحي مبناها عن معناها الخفي.....182
المطلب الثالث: مسائل في رسم القرآن الكريم.....188
فصل : في نقط المصاحف.....190
مستوى التوجيه.....203
مستوى التعليل: 210
فائدة الرسم القرآني والهدف من المحافظة عليه 219
أولا: شرط في صحة القراءات: 219
الأنصاص:.....221
همزة النقل والوصل.....224
همزة الوصل: 226
كيفية النطق بهمزة الوصل 228
فائدة أخرى في الألفات يجب ذكرها لصعوبتها:.....234
الحطية:.....236
نتائج البحث وأهمية الكتابة فيه:.....252
فهرس المحتويات 259
لائحة المصادر والمراجع.....263